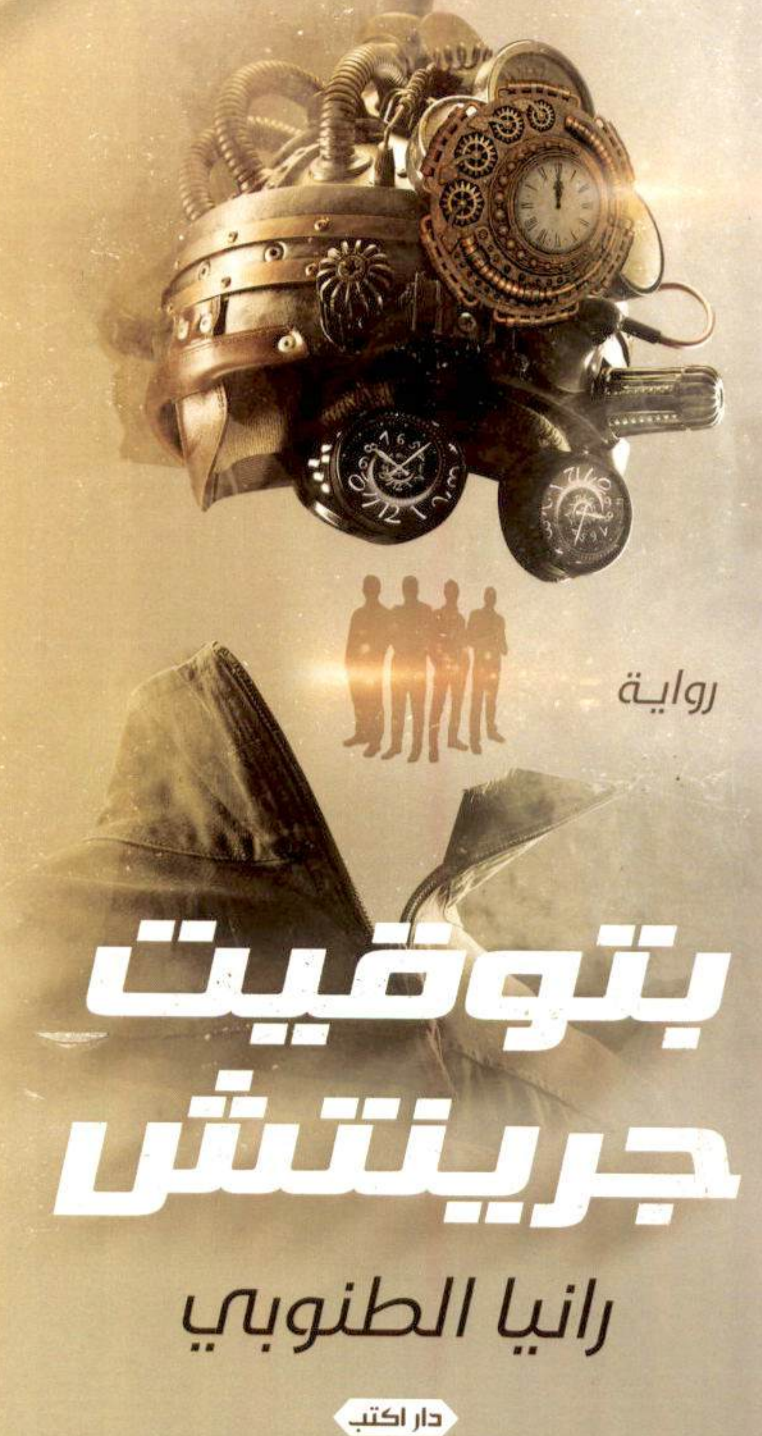

رواية
بتوقيت جرينتش
رانيا الطنوبي
دار اكتب

٢٣٧٨٣٨

بتوقيت جرينتش

بتوقيت جرينتش

رانيا الطنوبي

الطبعة الأولى ، القاهرة 2018م

غلاف : أحمد فرج

تدقيق لغوي : خالد رجب عواد

رقم الإيداع : 4681 /2018

I.S.B.N: 978-977-488- 570 - 9



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01111947957

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

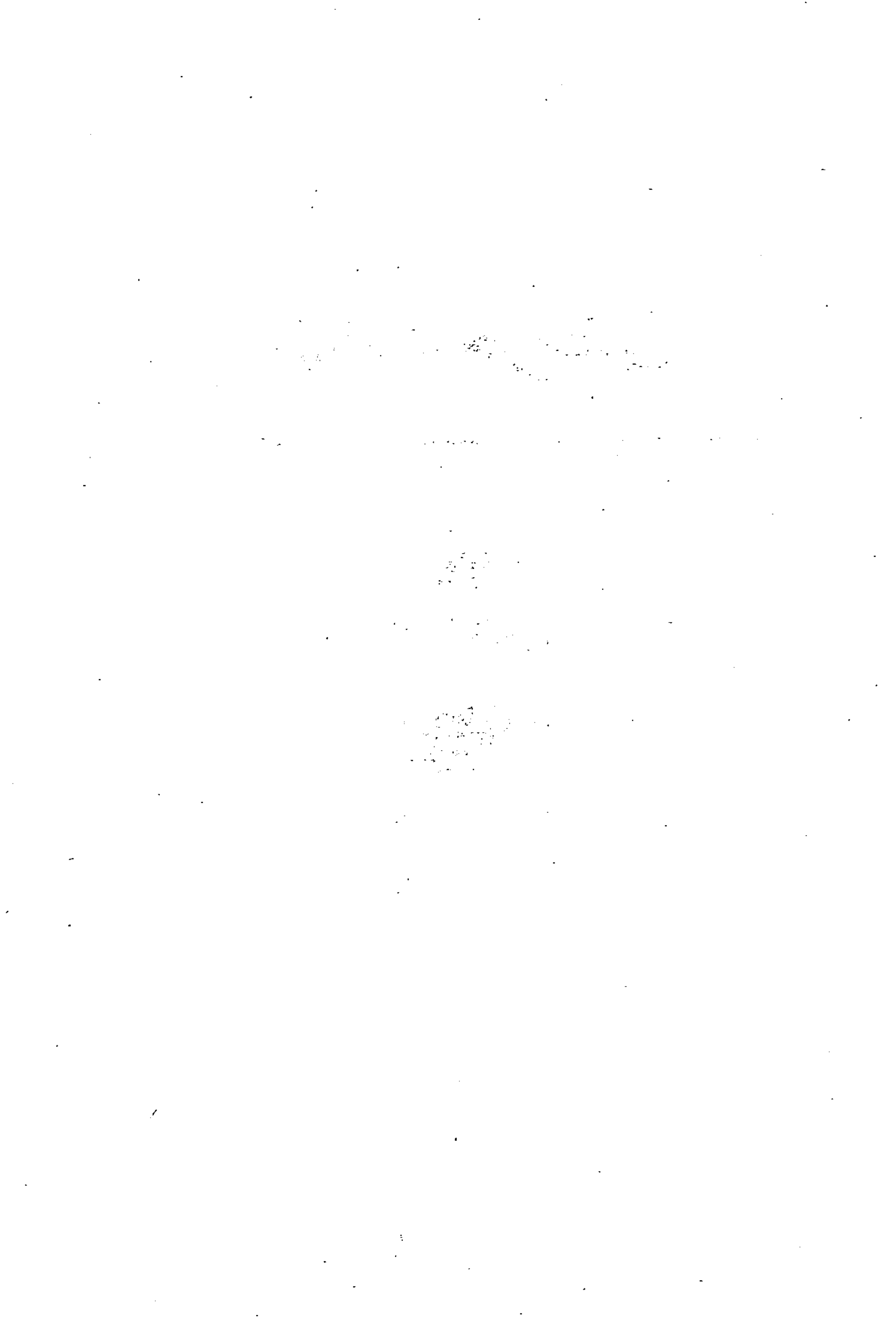
بتوقيت جرينتش

رواية

رانيا الطنوبي



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

إلى صاحبة الفضل بدعواتها ورضاها، إلى أمي بارك الله في عطائها، وإلى من علمتها فكانت صاحبة الفضل على كلينا، جدتي رحمة الله عليها..وإلى أبي وزوجي الحبيب وإخوتي أحمد وإيمان ودعاء وآية....أهدي سطور تلك الحكاية.



قبل مرور عام

كان يجوب الغرفة ذهابًا وإيابًا يُمنِّي نفسه بمجيئها، ولكنها كعادتها تأخَّرت، نظر لساعته وزفر ثم فَرَكَ يده وتوجَّه للنافذة المطلة على ساحة الجامعة ووقف بها شاردًا يتساءل بقلق: هل وافقوا على إجراء التجربة؟

وعلى الرغم من عشقه لـ"ربما"، فإنه هذه المرة تمنى أن يكون موقفهم حاسمًا.

وقبل أن يتلاعب به الشك قرر التأكيد لنفسه بثقة.

أنت عارف أبو العزم وهم يعرفون ذلك جيدًا، يعرفون الرجل الذي لطالما جعل من "ربما" مبدأه ليفتح معها فضاء الاحتمالات على مصراعيه لكل فكرة يتردد أي عالمٍ في تنفيذها.

فلولا "ربما" ما كانت أحلام البشر، وما كان هو ليهاجر منذ عشرين سنة تاركًا كل شيء خلف ظهره ليدرس الطب الإيحائي وعلوم البرمجة العقلية ويصنع جهازه الذي سيغير مجرى حياة البشر.

وأخيرا وصلت إيميلي، صوتها الحاد انتشله من أحلامه التي كان ينسجها عن نجاحه وغناه، وبمكتبها كان اجتماعهما لتخبره ببرود الإنجليز أن بحثه وتجربته قد تم رفضهما، سعى للمناقشة لكنها حسمت الأمر بصيغة قاطعة:

"إنها مجرد نظرية مبنية على افتراض، أضف إلى ذلك أن القوانين لن تسمح لك بالتلاعب بعقول البشر".

ترفَّع عن الجدال وغادر حانقًا، وبمكتبة الكلية انزوى، شاردًا لا يدري من أين البداية حتى أتاه همس آدم يقطع عليه شروده:

– ما أكثر العاديين يا عارف.

– ربما.

قالها بضيق وقد بدا مُشوَّشًا، فرد آدم بثقة:

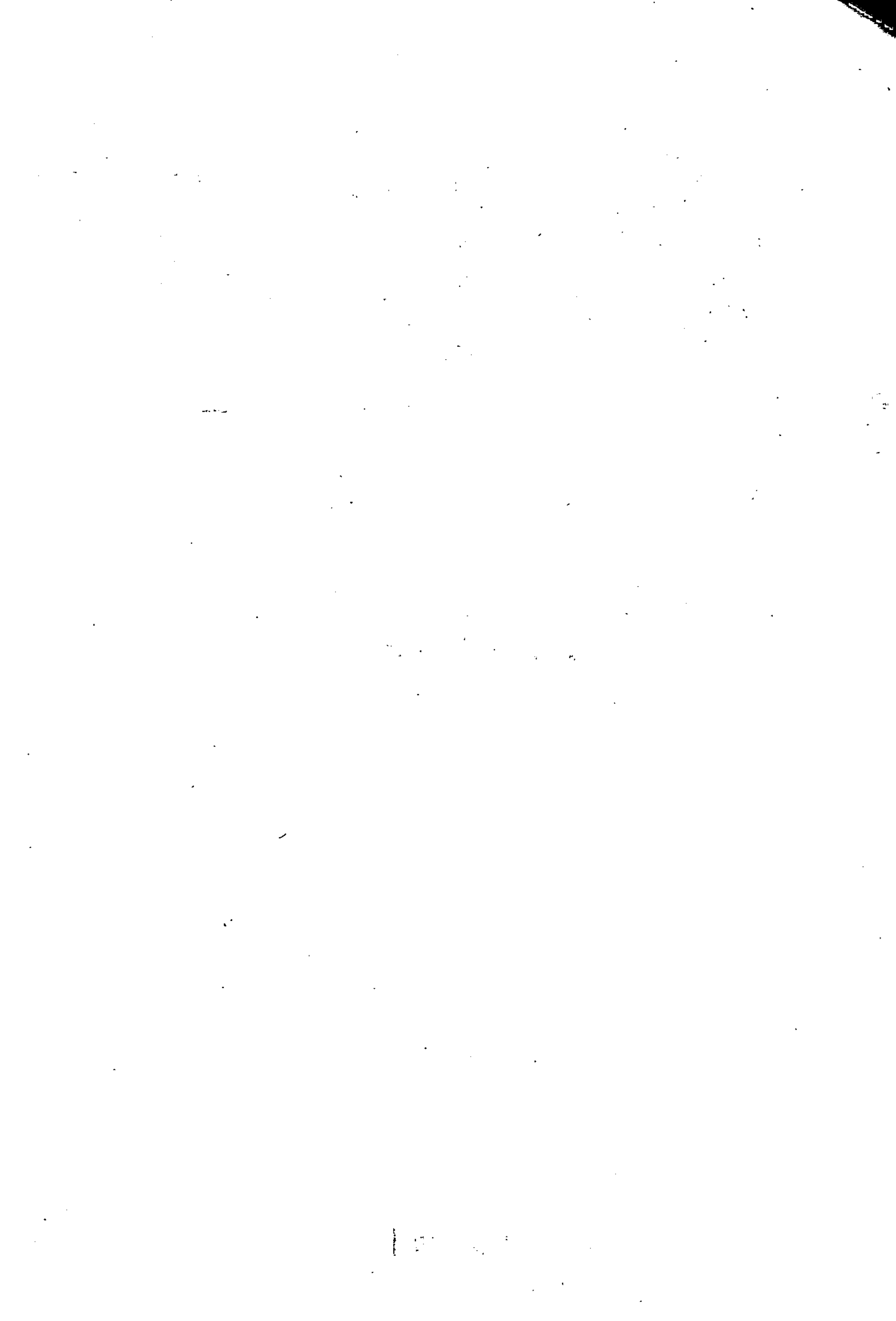
– ربما هنا ليس مكانهم.

– محتمل.

– حاول وستجدهم.

وعندها تبادلا النظرات وقد استوقفت ابتسامته عارف متسائلا: أهي لحثه على المجازفة أم أنه يعرض المساعدة؟ وبغض النظر عن السبب يكفيه أنه قد حسمَ أمره بـــ"ربما" تنجح التجربة.

قبل التجربة



(1)

إرساء القواعد

القاعدة الأولى

(إذا أردتَ أن تبيع الوهم سوّق له بشكلٍ جيد)

"أن تكون نفسك".

"أن تعرف من أنت".

"أن تدرك ذاتك الحقيقية".

كلمات قد تكون عنوانًا لدورة تدريبية، أو مقدمة كتاب كُتبَ على غلافه:

"الهري الأكثر مبيعًا في تاريخ البشرية".

ولأنه يدرك كم هي براقة كلمات التغيير قرر أن تكون هي مدخله، فما أسهل إقناع البشر بأن تحقيق الأحلام هين، وبأن ثمة طُرقًا بسيطة لا تحتاج لتعب وعندها لن يصدقوا وحسب بل جميعهم سينفذون ما يُلقى على مسامعهم حتى لو بدا غير منطقي.

عاد عارف للقاهرة بعدما انصرم عام قضاهُ في التخطيط لعودته لتكون استثنائية ومبهرة، وصل مطار القاهرة، حاملًا أغراضه وقفصين وبكل قفص "قرد".

ليبدو كمشهد من أحد الأفلام، إلا أنه قد بدل في صورته فحتى لو كان عائدًا من بريطانيا فهو لم يمسك بيده "pipe" يدخنه، ولم يتحدث بكلمات ما بين الإنجليزية والعربية، بل بدا رجلًا في بداية الخمسين من عمره وملامحه مصرية بامتياز.

رت مصر يا فندم.

لها ضابط المطار وقد مَدَّ عارف يده بجواز سفره وعندها تابَعَ: — حضرتك بروفيسور؟

— أيوه.

— وإيه اللعب اللي معاك دي؟ دي قرود؟

وقبل أن يرد عارف نظر الضابط لزميله وعقَّب بتأكيد: صناعة لعب الأطفال في العالم كله اتطورت، أول امبارح كانت واحدة جايبة معها قطة، شيء خيالي يا أخي متفرقهاش عن الحقيقة، أه وربنا.

ثم بادر بسؤاله لعارف:

— ودول بزمبلك ولا بريموت؟

بابتسامة ساخرة أجابه:

— لا دول بيشتغلوا بالتصقيف تصقف القرد يتنطط، وأول ما تبطل تصقيف يبطل تنطيط.

وجاءته الإجابة بانبهار:

— لا مش ممكن، طيب تسمحلنا نتفرج.

وهذا ما حدث، صقفوا معًا والقرد قفز، وعلت بعدها التمتمة.

"الغرب دول عليهم حاجات يا أخي، أنا في الأول كنت فاكرهم حقيقيين، ودول حضرتك جايبهم لمين هنا".

- لولاد أختي أصلهم قرود برضو.

- ما شاء الله ربنا يخلي، لا حضرتك نورت مصر والله وأنا سعيد إني شوفت حضرتك.

وقبل رحيله رجاه:

- طيب تسمحلنا بس بصورة سيلفي مع القرد.

وبالتأكيد وافق، ثم أُنهيت أوراق عارف، وغادر بعدها لتبدأ التمتمة، فالجميع حوله ما بين هامز ولامز، محور حديثهم جملة واحدة: "شوفت القرود".

لكنه لن يبالي، فكل ما يرجوه الآن هو أن يبدأ بحثه عن العاديين، وسؤال واحد يشغله هل سيجدهم؟!

***

هو كملايين يحلم، وأحلامه ليست معضلة أبدًا، يريد أن يبدل حالة شقته من إيجار جديد لتمليك حتى لا يكون تحت رحمة مالكها، أن يضمن لزوجته وما تحمل بأحشائها غدًا خاليًا من الديون، وهامشًا لا بأس به من الرفاهية، لعل حماته المصون ترضى عنه ذات يوم، تلك التي رحلت منذ ساعات بعدما أفسدت عليه يوم إجازته كعادة كل جمعة تأتي فيها لبيته لتساعد ابنتها كونها بالشهور الأخيرة لحملها.

ي بغرفة صغيرة بمنزله يسميها مجازًا غرفة مكتبه، دون اسمه
ساخرة على آخر خطاب كتبه والذي سيقوم بإرساله غدًا"

"مسعود سعيد أبو السعد"

فهل سيتحقق حلمه يومًا بالسفر؟

ربما!

فتح بريده الإلكتروني ليتأكد أنه لم يصله ردٌّ من أي شركة راسلها، فزفر ثم نظر للخطاب الذي قرَّر إرساله بريديًّا، ومنَّى نفسه أن يتحقق حلمه بأي الطرق، أغلقت درة التلفاز ونادته لينام، فقام بعدما تثاءب وجاورها وقد تمدَّد واضعًا كلتا يديه أسفل رأسه يطالع سقف الغرفة بشرود مبتسم، مستسلمًا للذة أمنية من فرط الرجاء باتت غالية، تقلبت زوجته في نومها فظن أنها ما زلت مستيقظة، فالتفت ليسألها بشوق:

- أنتِ نمتي يا حبيبتي؟

والرد جاءه من يدها وهي تتقلب مرة أخرى وقد صفعته دون قصد، صفعة كاد يردها من فرط غيظه إلا أنها كانت بالفعل مستغرقة بالنوم، فلم يملك إلا أن يوليها ظهره وهو يلعن الزواج، ليكون الرد منها ركلة باغتته فسقط معها أرضًا ليقف ويزعق عندها:

- وكمان بترفصي، ده إيه العيشة دي يا ربي!

ولم يملك إلا اتخاذ أريكة الصالون ملاذًا لينام ما تبقى من ليلته، فالاعتراض على أي تصرف لدرة يعني حزنها ومحاضرة مُطوَّلة من حماته بأن الحامل لا بد أن تنعم بجوٍّ من الراحة وخصوصًا زوجته كونها حاملًا بتوأمهما والويل له لو نسيَ.

وفي الصباح كان منها العتاب بفرط أسى، لزوجها الذي ما عاد يحبها وها هي البداية: نايم في الريسبشن، دي أخرتها، بتدور على أي فرصة عشان تبعد عني.

ومقصدها الحقيقي كان إظهار الضيق من فكرة سفره، هو يريد الغربة وهي لا تريدها، هو يريد تحسين ظروفهما وهي ببساطة راضية.

ولم تصمت بعدما وضعت الفطور، بل ظلت تتبرم بكلمات مفادها لعن السفر والغربة والفراق لتفرض عليه الرد معترضًا:

- يعني عجباكي عيشتنا؟

- إحنا أحسن من غيرنا؟

- أهو ده كلام الناس الخيبة، اللي معندهاش طموح ولا بتفكر لبكرة، وكفاية بقى عشان أنا زهقت وعايز أروح شغلي.

أكمل هندامه وتناول فطوره في صمت ثم رحل بعدما حسم النقاش ببتره، يكفيه ما يتلاقاه بالمترو حين يرتمي بجسده في خضم التلاحم البشري، تكاد تتهشم نظارته إذا لم يكن قد حدث هذا مرتين من قبل، وبين أمنية "سكة يا أستاذ، قدام فاضي على فكرة".

مرورًا بـــ"ما نساعي بعض يا جماعة، ما كلنا عندنا أشغال".

يسند جسده على أحد الأعمدة المعدنية، تطوف على مِحياه ابتسامة أسى وهو ينظر لنفسه، اتسخ حذاؤه لكن ملابسه نجت ونظارته وبفضل الله لا تزال سليمة.

***

ومن مسعود لخايب الرجا كما تنعته زوجته:

"عبد الشكور رسمي عبد الصبور"

بنفور رددت المدرسة بالحضانة المتميزة اسمه وكأنها تريد السخرية، مستغربة من اسم زوجته رنا وابنته كتري والتي لم تجب عن أسئلتها التي طرحتها على مسامعها باللغة الإنجليزية لتنتهي المقابلة التي سمعت لها رنا برفض الحضانة لابنتها "الفاشلة".

فينقلب اليوم رأسًا على عقب، لن تكتب على حسابها بالفيس بوك أن ابنتها بحضانة منتسوري كبقية أصحابها، وبالتأكيد عبد الشكور هو السبب كونه رفض اقتراحها بأن يتحدثا بالإنجليزية أمام ابنتهما كي تتحدثها بطلاقة:

"نعم".

هتف بها وكاد يشق ملابسه وهو يكمل:

– يا شيخة اتقي الله ده كنت باجيب فيه درجة النجاح.

زاد غضبها فردت:

– ما أنت لوسمعت كلامي كان زمانك fluent.

ولم يكن يعرف معنى الكلمة فشعر بالحرج، لكنه قرَّر تدارك الموقف والرد بثقة:

- مش أنا الراجل اللي يقبل حاجة زي دي على نفسه.

ظنته يمزح فزفرت وهي تضرب قدمها اليسرى في الأرض من الغيظ ثم تركت له الغرفة، جلس على طرف السرير ثم تنهد بأسي وشرد، هل سيتحقق حلمه يوما برضاها؟

ربما!

هو يبذل قصار جهده ليوفر لبيته كل ما يستطيع لكن اللعنة على راتبه الذي ينقضي قبل نصف الشهر، ورغم هذا هو لا يقدر على كسر خاطرها ورفض دخول ابنته لحضانة تكاد تقترب مصروفاتها من نصف راتبه أو أكثر لكنه لا يملك حيلة أمام إلحاحها.

"ربنا يهديكي يا رنا".

تمتم بها وهو يُمني نفسه عدولها عن الفكرة لكن مع صباح اليوم التالي تفاجأ بها وقد أعدت طبقًا به "كيس كرواسان" بجوار علبة عصير، ثم وضعت قبلة دافئة على خده، وإذا عرف السبب بطل العجب؛ حضانة أخرى بمميزات أكثر وقد عددت: مصروفاتها أقل بكتير من اللي قبلها ومدرسين على أعلى مستوى، قلت إيه يا شيكو

- شيكو تعب وربنا.

وبدا لها حين خرج أن دلالها قد فقد أثره بينما هو بسيارته زفر، من تظن نفسها لا يدري، ألم تنظر بعين صادقة ولو لمرة واحدة لإمكانياتهم، لسيارتهم الـ 128 التي ورثها عن والده، تلك التي تكركر أكثر منها تمشي، وها هي قد فعلتها ثانيًا "كركرت"، فأخرج رأسه من النافذة، وهتف بأحد المارة بعشم مواطن مصري: زقة بس، معلش.

وبين انعدام المبالاة مرورًا بجملة: يا أخي هي ناقصاك ع الصبح، لم يجد عبد الشكور بُدًّا فنادى على بواب منزله:

– معلش يا لؤي إيدك معايا.

فاتجه إليه واضعًا جلبابه بين أسنانه ليدفع سيارته التي يكاد يجزم أنها من مخلفات الحرب العالمية الثانية، بينما هو يكاد يجزم أنها أدمنت السير بقوة الدفع لا البنزين.

***

إلى أحد شوارع الحلمية وقد بدا صباح مختلف، فقد طفحت المجاري ليلًا فلم يملك الأهالي إلا رصَّ قطع من الطوب ليتمكنوا من السير فوقها، عندها شمر عن ساقيه مقررًا الوثب فوقها لتفادي المياه.

"فهل يفعلها عم إسماعيل؟

وكاد لولا أن انزلقت قدمه فسقطت أرغفة الخبز من يده وسقطت عصاه وتعالى هتاف بائعة الجرجير.

"يا بشير الحق جدك وقع في المجاري".

فركضَ مُسرعًا ليجد جده يزعق بمن وقفوا حوله:

– دي رصة طوب يا بهايم، مش اللي يرص الطوب يرصه عدل.

سعى لإسناده لكنه وكزه بعصاه ليبعده عائدًا لمنزله، فجده كعادته يأبى الاعتراف بما خطه الزمن ويُصر أنه لا يزال كما هو، وما إن وصل حتى احتدم الشجار بينه وبين ابنته، أصرَّ أن يجلب الفطور فأتلف الخبز، ووقف بشير كالعادة بالمنتصف ساعيا للتهدئة.

لكنه لم يملك حيلة قط مع عنادهم، وبالنهاية انزوى جده بغرفته مقررًا

"لن يفطر".

وبعد نظرة عتاب من بشير لوالدته اتجه هو للفرن لجلب خبز بديل، ثم إلى محل الفول والطعمية المجاور ثم عاد، أعد صينية الفطور ثم طرق الباب وهتف:

– والله يا حاج إسماعيل لو ما فطرت ما هافطر.

وأمام جملته رضخ جده فقبل جبهته ليسترضيه وعندها ابتسم إسماعيل وسأل:

- جيبت طعمية؟

- سخنة ومحشية ومنسيتش المخلل.

- طيب اقعد خلينا ناكل عشان تلحق تروح شغلك.

رِضاه بالتأكيد الأهم، حتى لو كان الثمن التأخير على موقف الميكروباصات وإيجاد ما توقعه.

"مفيش ميكروباصات".

جملة تحمل بين طياتها أسوأ التوقعات، فإما نصف المسافة أو أجرة مضاعفة، هذا إن أتى ميكروباص بالأساس، وانتظر فهو لا يملك خيارات أخرى حتى أتى واحد وهتف سائقه:

- الأجرة بقت خمسة جنية يا بهوات.

ولم يعترض أحد، بالنهاية مقعد عن طريقه ستصل لوظيفتك، بغض النظر عن شكل جلستك، أما هو فقد انحشر بالأريكة الأخيرة وسط رجل وامرأة.

وتعالت الهمهمة ففُهم منها أنها دعاء على السائق المستغل وهنا اعترض أحدهم:

- يا جدعان متدعوش عليه، استنوا أما ننزل الأول.

"ونعم الأخلاق!"

هي الوصف الأدق لكل ما دار حوله بل أنها تأكدت حين اكتشف بشير أنه لا يحمل بمحفظته إلا ورقة نقدية واحدة من فئة الخمسين جنيهًا ولا يحمل غيرها.

لتأتيه من بعدها التعليقات تباعا ابتداءً بالسائق الزاعق لأنه لا يملك فكة، مرورًا بالركاب وتعليقاتهم.

"مكونتش قادر تفك من أي كشك - شكله كل اللي معاه خمسينات وميات - الله يحنن عليك يا عم".

- وربنا ما معايا غيرها.

وصوت انتشل الجميع وفرض على السائق أن يُوقف العربة فجأة

"فاضي يا أسطى"؟

- طبعا يا آنسة اتفضلي.

وتناسى الجميع أمر الخمسين جنيهًا وساد الصمت لدقائق يتابعون فيها الآنسة التي ما إن لمحها بشير حتى تمنى لو انشقت الأرض وابتلعته، رُحماك ربي إنها صبا، زميلته في العمل و....

ستة أشهر يتابعها في صمت وأول موقف يجمعه بها يكون هُنا، انكمش في مقعده أكثر وفي نيته لن يشعرها بوجوده، لكن هيات فالسائق قرر نزوله ما دام لم يدفع أجرته، ثم نظر باتجاه صبا وأعطاها نقوده لتعطيه إياها، وحانت الالتفاتة لتكتشف أنه بشير مسئول قسم

الحسابات، وما إن مد يده ليتناول النقود ويتجه للنزول حتى هتفت هي:

- الأجرة عندي يا أسطى.

أتدفع نيابة عنه؟ عرفته بالتأكيد، ذلك المرتبك الذي يتفادى دومًا النظر لوجهها ولو نظر يكاد يغرق في تصبب وجهه بالعرق، انكمش أكثر وشعر ببالغ الأسى، أهذا هو الموقف المنتظر؟

أبعد كل هذا من الممكن أن يتحقق حلمه وتكون زوجته؟

"ربما؟!"

صُدم إلى حد أنه آثر الصمت دون شكرها بينما الهمهمات عادت من حوله للحد الذي فرض على من جلس أمامه أن يلتفت إليه ولسان حاله يكاد يهتف "يا ريتني كنت أنا يا أخي".

***

متى يكبُر؟

سؤال تسأله كل أم تُمني نفسها برؤية ابنها رجلًا.

لكن ماذا لو كان هذا الرجل يبدو لها بكل تصرفاته طفلًا؟

بالأمس نام حتى المغرب كعادته بيوم إجازته، وعندما استيقظ طلب شايًا بلبن، ثم خرج برفقة أصدقائه على المقهى وتناول شايًا بلبن

ثم عاد وجوارها مساء وتفادى الحديث معها بعدما أنهى يومه بكوب شاي بلبن، وها هو الآن ينهي هندامه أمام المرآة وقد أغدق على ملابسه نصف زجاجة العطر ثم انطلق ليجاورها ليتناول فطوره المعتاد شايًا باللبن وبقسماطًا بالسمسم، وعندها علا هتافها بضيق: برضو هتسقي يا عيسوي.

ودون تعقيب واصل التهام البقسماط اللين بتلذذ، وهو يغمض عينيه ليعبر عن مدى اشتهائه لما يأكل، والابتسامة تعلو شفتيه، أتراها تصمت وتتركه؟! لن تفعل وراحت تعيد ذات حوار الأمس الذي هرب منه سائلة:

- كلمت عماد؟

زفر بشدة ثم وضع البقسماط من يده وهتف:

- يا ماما حرام والله هو ليل نهار مفيش موضوع ممكن نتكلم فيه غير جوازي؟

لوت شفتيها بضيق وعقّبت:

- مش أنت اللي قلت هتكلمه عشان يحددلك ميعاد مع بنت خالته.

زفر ثم قرر أن يريحها فأجاب:

- حاضر يا ماما، أول ما أوصل الشغل هاكلمه يحددلنا معاهم ميعاد، حلو كده؟

ابتسمت برضا ثم رفعت يدها بالدعاء:

- يا رب الموضوع المرة دي ينفع واخلص منك بقى.

- يا رب يا أم عيسوي.

وأسرع بالتقاط كوبه وشربه دفعة واحدة وسحب مفاتيحه وأسرع بالخروج وهو يُمني نفسه أن تتناسى مشيرة أمر زواجه.

فهل سيتحقق حلمه بأن تتركه وشأنه؟

"ربما؟!"

ركب دراجته البخارية وانطلق حتى توقف أمام مقر شركته، كانت الثامنة صباحًا بتوقيت القاهرة، لمح صبا تمشي بتمهُّل وما كان هذا ليستوقفه إلا عندما لمح بشير آتيًا من خلفها فلمعت عيناه مقررًا أن يثير ضجر ذلك المتحذلق دائم السفسطة كونه معجبًا بها، فاقترب منها عند مدخل البناية وسعى خلف فتح أي حوار مفاده التلكؤ، المهم أن يمر بشير بجوارهما فيمنحه ابتسامة باردة تفرض على بشير الشعور بالغضب من ذلك المزعج العابث الفوضوي، وكونه خجولًا صعد الدرج تاركًا المصعد لهما.

أما عبد الشكور فبعد معاناة وصل، ركن سيارته وأسرع إلى عربة عم شلتوت ليشتري فطوره المعتاد - سندوتشات الفول والمخلل- وأسرع باتجاه الشركة، كاد يرتطم بذلك المهندس المتغطرس الذي لا يُلقي السلام أبدًا على أحد.

وما استشعره مسعود عندها أنه تمالَكَ نفسه بمعجزة حتى لا يصفع ذلك التافه المسمى عبد الشكور، أي كيس هذا الذي يحمله وكاد يلطخ به ملابسه التي نجت بأعجوبة من المترو، بادلا بعضهما البعض الصمت حين حملهما المصعد بينما اتجه كل واحد منهما إلى مكتبه، متمنيًا مرور يومه دون مشكلات بالعمل، لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه وبمكتب عبد الشكور كانت البداية حين علا رنين الهاتف فأجاب: شركة الفيروز للانشاءات والاستثمار العقاري، نحن من نصنع الفرق بحياتك، لسنا متفردين ولكننا مميزون.

- يا شيخ اتنيل.

انتصبت قامته وابتلع ريقه وهو يهتف:

- فيروز هانم صباح الخير.

- خير، هو اللي يعرفكم يعرف خير تعالالي فورًا على مكتبي يا أستاذ، اتفضل.

أغلقت الخط ثم هاتفت صبا سكرتيرتها تطلب منها إبلاغ الجميع بأن هناك اجتماعا بمكتبها خلال عشر دقائق.

وما إن اجتمعوا حتى تعالى هتافها بهم:

- ده اسمه استهتار يا أساتذة، دعاية للمشروع تكلفتها قُرب المليون جنيه وفي الآخر أراجع برشورات الدعاية الاقي فيها أخطاء، إزاي ده يحصل.

حدقوا ببعضهم البعض، لن يمر اليوم على خير، عادت فيروز لزعيقها نظرت لواحد لواحد منهم وقامت بتوبيخه، دون فرصة واحدة لشرح الأمر أو تفهم أين الخطأ أو حتى الدعوة للبحث عن السبب، يكفيها أنها فرغت طاقة الغضب وأنهت كلامها محذرة:

- أنا هاكتفي بتلات أيام خصم لكل واحد فيكم لكن أقسم بالله لو اتكررت الغلطة دي مرة تانية هتكون النتيجة إني أقولكم بالسلامة، مفهوم.

بالطبع ومن هو الذي لن يفهم معنى حصوله على راتب أقل، مضافًا إلى ذلك بالغ شعوره بالحنق لأنه لم يكن صاحب الذنب.

وهذا ما استشعره مسعود بالضبط وهو يصفع باب مكتبه خلفه ثم يركل بقدمه المقعد المقابل لمكتبه هاتفًا بحنق:

- اللي اسمه عبد الشكور ده يتنيل يغلط وأنا اللي أشيل قرفه.

وما زاد الطين بلة رنين هاتف لم يكن بوقته من درة ولم تصدق أنها صُفعت بإحدى كلماته فقط لأنها سألت ببراءة:

"مسقعة ولا بامية".

أما عبد الشكور فارتمى على المقعد المقابل لمكتبه ببالغ الأسى، سيحملونه المسؤلية عما حدث، والحجة مسئول قسم التسويق، ولكن من المسئول عن المراجعة النهائية قبل أن يعتمدها، أليس هو ذلك المتغطرس والآخر الفوضوي؟ وكالعادة لن يجد من يشعر به، هو

يحترق ليجلب المال ويُوَبخ حتى لو أخطأ غيره، وبالنهاية أين رنا؟ فهي لم يعنِها يومًا ما يتكبده.

وبشير يئنُّ بمكتبه، أين الخطأ؟ لكن ما الأهمية بعدما تحطمت آماله على إثر كل ما حدث؟

"هو يوم باين من أوله".

والأسوأ أن صبا كانت شاهد عيان على كل ما حدث.

وبالنهاية لم يكن عيسوي يشعر بالغيظ من شيء بقدر رنين هاتفه المتواصل، فقرر ألا يجيب والدته، فلم تستسلم وأرسلت له رسالة مفادها:

"كلمت عماد".

عَضَّ كف يده من فرط الغيظ هاتفًا:

- والله ما هترتاحي إلا لما تشليني.

"طيب عماد جايلك في السكة أنا قُلته يعدي عليك".

رسالة أخرى أكدت، لقد وضِع لا محالة بخانة اليك، ولن تهدأ مشيرة إلا برؤيته بجوار المأذون.

عاديون؟

ربما؟!

مميزون؟

احتمال؟!

لكنهم بنهاية المطاف بشر، يملكون بعض الأحلام بجوار سؤال تئنُّ به عقولهم، متى سيتمكنون من تحقيقها؟

***

(2)

القاعدة الثانية

(اصنع لنفسك هالة، كن محور الأحاديث، والتزم الصمت).

"شوفت القرود".

"بيقولوا حقيقيين".

"لا لا لعب أطفال".

"يا شباب ده فيديو أنا رفعته على يوتيوب للدكتور أبو قرود، مشاهدة ممتعة".

بوستات بوستات بوستات، تويتات تويتات تويتات، ألا أونا..ألا دوي...ألا تري.

ها قد بدأ المزاد!

ومر الأسبوع الأول على مجيء عارف.

***

بأحد المجموعة الأدبية كتبت منشورها ثم انتظرت الردود:

"عايزة رواية يكون فيها البطل اغتصب البطلة أو اتجوزها غصب والآخر حبوا بعض، بسرعة بليز".

ثم اتجهت للمطبخ، أعدت مشروبها المفضل الشوكولا الساخنة، وقطعة من المعجانات ولوح شوكولاتة، ثم عادت لغرفتها، فرحت

حين وجدت روابط تحميل بالتعليقات لروايات لم تكن قرأتها من قبل، قامت بتحملها ثم انهمكت بالقراءة وهي تقضم الشوكولاتة ثم تحتسي المشروب ثم تبتسم تارة وتارة تتنهد:

"هيييييح".

وتكمل، وطيف حُلم يتصدر المشهد، فارس يشبه أولئك الذين تقرأ عنهم، مواصفات بسيطة تتمنى أن تجدها في فارس أحلامها، وسيم مؤدب أسمر وأشقر غيور وراقٍ، ناعم وصلد عصبي وحكيم وقح وجريء وبتاع بنات ، ملتزم متدين وبار بأهله".

توليفة ولا أروع، لرجل من زحل لكن رغم هذا هي تمتلك اليقين بأنها قد تجد واحدًا على الأرض ولو مصادفة.

"هيييييح مرة أخرى".

ثم دموع وبكاء قد يصل حد "الشحتفة"، ثم ابتسامة وتنهيدة وشرود بسؤال:

متى ستجد الحب؟

ولماذا لم يحالفها الحظ بعد، كانت تظن أن عملها كسكرتيرة سيكون البداية، ستقابل رجل الأعمال الوسيم الناجح الذي قد ورث شركته عن والده، لكنها صُدمت حين وجدت نفسها أمام فيروز، وعدة موظفين عاديين جدًّا، بعضهم متزوج والباقين دون المستوى، ولم يلفت نظرها أيٌّ منهم.

ووالدها يعلم ويحمل فوق صدره هم أب يخشى على ابنته وبشدة، فالناس تغيروا إلى حد فرض عليه أن يطلب منها ألا تركب سيارة أجرة أو تقود سيارة بمفردها.

عاد لمنزله ولم تستشعر عودته فاكتفى بالاطمئنان عليها دون قطع شرودها، واتجه لغرفته وتمدد على سريره شاردًا بدوره، يتذكر ذلك العريس الذي أتى منذ عدة أيام ويعتلي قلبه الحسرة.

– شاعر.

– شاعر بإيه بالظبط.

– لا أقصد إن ده شغلي.

وطالع بعدها صبا مبتسمًا بينما زفر والدها ولوى شفتيه متمتمًا في نفسه "أدي أخرة الفيس ومجاييه".

ثم عاد العريس ليكمل:

– أنا حتى كنت كاتب حاجة كده أتمنى تعجب حضرتك.

وأخرج من بنطاله ورقة وزادت الابتسامة وقد باغت والدها وبدأ يقرأها.

"صبا صبا يا صبا يا صبا يا صبا".

وأمام صدمة والدها تنحنح ثم عاد وأكمل:

- صبا صبا يا صبا، تعالي يا صبا، خدي تعالي أنا عايزك، عايز أقولك كلمتين، اتنين بس والله، أنتِ الحب يا صبا ودق القلب يا صبا، وكل الكل مش بعض الكل وزي الفل، صبا يا صبا تعالي يا صبا".

واندهش لا مما سمعه بل مما رآه، هل صفقت صبا واتسعت ابتسامتها وخجلت:

- الله عليك يا أوستاذ، رائع.

- متشكر جدًّا.

وانتهت المقابلة بوعد منه بأنه سيفكر، وفي قرارة نفسه رفض بل وانزوى بغرفته حزينًا يريد لابنته رجلًا يطمئن عليها في كنفه وهذا ال- ... ماذا يملك؟

- عنده فلورز كتير ع الفيس.

قالتها وهي تشرح امتيازاته لوالدها، فهتف في حنق:

- والفلورز دول اللي هيصرفوا عليكم.

- يا بابا ده كتبه وأشعاره مغرقة السوق، وأعلى مبيعات له هو.

- هو الاستهبال ده كان شعر.

- اعتبرها خواطر.

- هي دي مشكلتك يا صبا.

وزفر حانقًا، لكنه اطمأن حين أخبرته أها سترفضه، أراحه القرار وأتعبه السبب.

"أنفه كبير، وليس بقدر الوسامة التي تحلم بها".

تنهدِ بأسى وسؤال لاح بالأفق: "متى تكبرين يا طفلتي؟

أهت الرواية وتمددت على سريرها تحلم بعدما تشبع عقلها بالخيال، أغمضت عينيها ونفسها تشبثت بالأمل، سيأتي بالتأكيد وستتغير حياها رأسًا على عقب، سيضمها إليه حتى يكاد يهشم ضلوعها، سيحملها بين ذراعيه ويجري بها في الشقة من دون سبب، يقذفها بالوسائد ويتطاير قطنها، وكلاهما لن يفكر أن المنجد لم يحسن عمله.

أليس هذا هو الحب؟

"ربما".

***

"هي إيه حكاية عارف أبو العزم دي؟ وإيه الحدوتة في أنه بروفيسور وراجع مصر ومعاه أبحاثه وقرود؟ هو إحنا ليه بقينا أوفر كده؟"

#قالك_شوفت_القرد

- "إيه الطب الإيحائي ده يا أخوانا هو أي كلام وخلاص".

#قالك_شوفت_القرد

"يا جدعان كفاية بقى، أنتم متخيلين إن الهشتاج ده أخد أعلى تريند!"

#قالك_شوفت_القرد

بوستات بوستات بوستات، تويتات تويتات تويتات، ألا أونا..ألا دوي...ألا تري.

ها قد بدأ المزاد!

ومر الأسبوع الثاني.

***

كان القلق هو سيد الموقف، تطل برأسها من الشرفة تنظر للمارين بخيبة أمل ثم تعود أدراجها للمطبخ، تغسل عددًا من الأطباق، ثم تعود للشرفة.

"فاطمة يا فاطمة"

- يوووووه

"يا فاطمة يا فاطمة هو جرى إيه؟"

والتفتت لتجد الثلاثة يحدقون إليها بدهشة، عبد الغفور وإلى جواره أشجان وشجون، فعلى الرغم من إدراكهم أن فاطمة هي أحد

ملوك التراجيديا إلا أنها اليوم قد زادت الجرعة، هي قلقة دوما كأي أم ولكنه اليوم بالنسبة لها ذو نكهة خاصة.

" عريس يا خالتي".

تدوي في أذنيها منذ أن قالها عماد، وشجن لن تتوانى عن "تطفيشه"، لكن أتراه عاد إلى مترله على قدميه أم نقالة.

"ربنا يستر".

قالتها وقد زاد توترها، وعندها أتاها التعقيب من عبد الغفور: متقلقيش يا فاطمة، شجن بميت راجل.

وكأنه لا يدرك أن هذا بالضبط ما يقلقها ومن هو الذي سيتزوج برجل مثله؟

وأخيرا عادت شجن، بصعوبة تكتم ضحكاتها كلما تذكرت صديق ابن خالتها وحالته وهو يغادر العيادة، ولم تدعها فاطمة تابعتها وأغلقت عليهما باب غرفتها وسألت:

– إيه الأخبار؟

زفرت بفراغ صبر وأجابت:

– مفيش نصيب.

– ليه، أوعى تكوني طفشتيه.

قالتها ونظرت لعينها بغيظ فمطت شفتيها وأجابت:

- أنا، ده هو اللي فرفور.

"آه منك يا شجن ومن عمايلك، بنت أبوكي".

قالتها وهي تجلس بالمقعد المقابل لسريرها تسند كل كف من يدها على ركبتيها وتنظر لها بتحفُز.

- عملتي إيه فيه؟

- والله ما عملت حاجة، هو اللي جاي بأسنانه بايظة، غلطت أنا لما خلعتهومله.

- يا لهوي، يا ترى أنت عامل ايه دلوقتي يا ابني.

***

"اااااااااااااه".

- خلاص اهد وقوم خد المضاد.

- بتألشي ما أنا ناقص، صح.

كانت هذه حالة عيسوي منذ أن عاد بعدما رأى شجن بنت خالة عماد، يتأوّه من فرط ألم أسنانه رغم ابتلاعه المسكنات، وكلما تذكرها تساءل: لماذا لم يحاول لكمها وتكسير صف أسنانها، كونها استغلت الموقف وخلعت ضروسه عنوة؟

واللعنة على جملة لولاها ما كان ليضيع زهرة شبابنا:

"بس شوفها ما يمكن تعجبك".

تلك الجملة التي أوشكت على ضياع نصف شباب مصر، وضيعت وبصدق النصف الآخر، وعلى كل حال تم إقناعه.

والحجة أنه سيراها بمكان عملها، زيارة يمقُتها لشدة شعوره بالافتعال، ولكنه لا يملك لإرضاء والدته خيارات أخرى، وتجنبًا للمواقف الحرجة قرر أن يحدد اسمها:

"دكتورة شجن".

ولن ينكر أنه امتلك فضول رجل يريد المطالعة بل التحديق لو تمكن، وقف على عتبات الغرفة ينظر لمن أولته ظهرها ترتب أدواها المعدنية، نظرة من رأسها المغطى بوشاح أسود إلى أخمصي قدميها المحتوية على كروكس أبيض.

ثم التفتت لتصدمه، فوجهها قد ابتلع نصفه الأعلى نظارة كبيرة وأنفها وفمها قد غطتهم بكمامة طبية.

"أنا شايفة أنك مكبر الموضوع قوي".

قالتها مشيرة بعدما انتهى من سرده فهتف: أنا.

- أه، بص لنص الكوباية المليان، ضروسك كانوا مسوسين، وهي كتر خيرها خلعتهوملك تقوم تزعل ده بدل ما تشكرها.

وهذه المرة فقد إمكانية عض يده لألم أسنانه، فقرر ضمها وضربها بالحائط المجاور للسرير حيث مجلسه دون رد وعندها أردفت:

- إحنا نروحلهم البيت منه تشوفها ومنه تشكرها.

ولم تترك له أي مجال للرد، وهربت من أمامه واتجهت حيث قرار التنفيذ وقد قررت الاتصال بعماد.

***

أحد برامج التوك الشو، أحد المذيعين ونترك لكم ما قال:

"آه القرد، وشوفت القرد، وقالك شوفت القرد، فراااااااااغ فراااغ، قرد ايه اللي أنتم قالبين الدنيا عليه، لا واخرتها أغاني عشان القرد من بقية عليتكم القرد، قال القرد القرد خد أعلى تريند".

ولن تتعجب حين تجدها مدوية في المقاهي، أو تتردد مع سائقي الميكروباصات.

"وأنا اللي كنت فاكره الصاحب والصديق، استنى منه اللايك يجيني بحق وحقيق، مطلعشي فلور ولا فريند، استخسرها فيا وادها للي القرد".

ووووووووووووووووووو

والقرد القرد .... خد أعلى تريند

إيه القرد القرد .... خد أعلى تريند

"يا نهار أبيض يا جماعة هي وصلت للأغاني".

"شير يا جدعان دي الأغنية جامدة فحت".

بوستات بوستات بوستات، تويتات تويتات تويتات، ألا أونا..ألا دوي...ألا تري.

ها قد بدأ المزاد!

ومَرَّ الأسبوع الثالث.

***

وحين يكون جدك إسماعيل اسمع نصائحه ونفِّذ دون مناقشة، فالخبير حين يتكلم يعرف ما ينبغي فعله.

"طالما بتحبها صارحها من غير لف ودوران، صبا أنا بحبك وعايز أقابل والدك".

"طيب افرض...."

وافتح القوس وعدد، فحجج بشير لن تنتهي، وإسماعيل لا يملك له حِيَلًا، وأحيانًا يعذره، بل يعذر جيله بأكمله.

- خلاص لحلها، سهلة.

- طيب وموضوع مها، دي ماما مصرة.

– اتعلم تحسم، اتعلم تقول لا.

"طيب افرض.."

زفر إسماعيل عائدًا لغرفته وهو يتمتم:

– أبو شكلكم كلكم.

دار بشير بغرفته والحيرة ما زلت تتلقفه بين زميلة يحبها وقريبة تُفرض عليه لا يُكنُّ لها إلا الاحترام.

والآن ماذا ستفعل مع صبا؟ سأستند على نصيحة جدي ولكن بطريقتي!

***

ومع صباح اليوم التالي تطلعت صبا لورقة وُضعت على مكتبها حاولت فك الطلاسم المكتوبة بها لكنها عجزت.

"ده خط بشير".

كاد يهتف بها من وقف خلفها يطالع بفضول الورقة ذاتها لكنه ابتلعها وصمت واستدرك يفكر وابتسامة هازئة تعبث بثغره.

"هل يُريد التقرب من صبا بعدة أبيات شعرية، من أي زمن أنت يا بشير حتى تكتب شعرًا جاهليًّا، ومن؛ البحتري، شعر أن عليه استغلال الموقف فهتف:

- إيه قلة الأدب دي، معقول حد من الشركة فكر يغلس عليك.

التفتت للصوت وهي مستغربة شارحة:

- أنا معرفش مين حاطها، أنا حتى مش عارفة أقراها ولا فاهمة إيه ده.

وتناول الورقة من يدها وسعى لقراءقما ولم يفهم شيئًا فعقّب:

- ده أكيد حد مش محترم.

ونال الغيظ من بشير المتواري عنهم للمراقبة، لمحه عيسوي فزادت ابتسامته، بل يا لوقاحته يلتفت لينظر لبشير وكأنه يقرُّ بأنه قد فهم.

طوت صبا الورقة وألقتها بسلة القمامة المجاورة لمكتبها:

"أحسن".

والكلمة كانت لسان حال عيسوي دون النطق بها.

والتفت بشير ليعود أدراجه إلى مكتبه ورغم طيبته غلبه غيظه فقرر الرد حين ثنى السجادة بطريق عيسوي وهو عائد لمكتبه، وصوت ارتطام أحدهم بالأرض أكد له أن ما أراده قد حدث، والباشمهندس عيسوي قد انزلق:

"أحسن".

والكلمة كانت لسان حال بشير وهو يستدير بتشف على صوت تأوه عبد الشكور.

"أنت كويس".

وكان السؤال من صبا حين زعق عبد الشكور بغضب:

- مين الحيوان اللي تنى السجادة كده؟

وبينما زاد غضب بشير كان عيسوي يكتم ضحكاته بصعوبة وعبد الشكور يستند على الحائط ليقف مُدركًا بأسى أن بنطاله تمزق لكنها ليست المشكلة.

"هل تهشم الـــ "CD" الخاص بدعاية كومبوند مدينة نصر؟

وآه لو أن الإجابة نعم، نظر للعلبة المحفوظ بها وأدرك أن الإجابة لا، فتركهم مسرعًا صوب مكتب فيروز والتي نادت صبا مطالبة إياها أن تخبر موظفيها بضرورة الاجتماع بمكتبها.

"استر يا رب".

وبمكتبها سألت عبد الشكور:

- ومين بقى اللي عملت الإعلان المرة دي؟

وبجدية أجاب:

- السيزون ده بتاع لوللا حضرتك

- لوللا.

وما إن أكدت فيروز الاسم حتى تطلع الأربعة بفضول للشاشة المواجهة لمكتب فيروز، حيث طلبت من صبا تشغيل الـــ CD.

وما إن ظهرت لوللا حتى تسمَّر الجميع بمكانه وقد تعلقت أنظارهم بها، استقام مسعود واعتدل عبد الشكور بينما عيسوي وقف، وبشير سعى أن يرى متمنيًا ألا تلاحظه صبا.

وصوت سقوط الصينية التي كانت تحمل فنجان القهوة من يد مدبولي الذي فتح الباب مندفعًا فرأى تلك ال-"لوللا" أمامه كان خير دليل لصبا، أن فارسها الذي يغضُّ بصره في الروايات لم يُخلق بعد على كوكب الأرض.

"حتى أنت يا عم مدبولي؟"

كادت تقولها صبا حينما زعقت فيروز به وأمرته أن ينظف ما فعله

"ونعم الطلب".

بل إنه قد يتراقص فرحًا لأنه سيكون معهم في الغرفة بحجة التنظيف ليطالع الإعلان ذاته.

ظهرت لوللا، ويا له من ظهور! تقف وقد أولتهم ظهرها، نصفه عارٍ وقد ظهر لأن شعرها الأشقر كان قصيرًا للغاية، شورت جينز لا

يكاد يصل إلى......"ما علينا"، وقد مالت إلى اليمين قليلًا ويدها اليسرى قد أسندها على خصرها.

وحانت اللحظة واستدارت، ويا لها من استدارة! فالبلوزة التي ارتدتها يبدو أنها قد سترت صدرها بمعجزة!

"ممتاز".

قالها عيسوي وقد ابتسم ببلاهة:

– هووووووش.

قالتها فيروز فأردف وهو يتنحنح:

– الإعلان ممتاز جدًّا.

هل ما يراه مسعود حقيقي، هل اندهش عبد الشكور بالفعل، أليس من حق بشير التخلي عن أخلاقه لمدة ثلاث دقائق فقط.

وأتاهم صوتها الناعم المفعم بالأنوثة:

"نفسك تسكن قريب من النيييييل، في كمبوند يوفرلك خدمات كتشييييير ومتدفعش إلا مقدم قليييييل، والشقة بحيز كبييييييير".

"ده في مصباح علاء الدين".

"مين الفصيل؟"

هتف بها مدبولي حين اختفت الموديل الأنثوي ليظهر بدلًا منها رجل قد هتف بالسؤال، وما إن التفتوا له بـ"هووووش" جماعية، حتى صمت وعاد للتنظيف وقد عادت لوللا، وضعت يدها بيد الرجل الموجود معها بالإعلان وهي تشير إلى صورة إحدى العمارات وترد:

"يا حبيبي دي شركة الفيروز اللي بتعمل عروض ممتازة لكل عريس وعروس".

"لكن أنا منحوس".

"منحوس، أمال أنا أقول إيه، حسبي الله ونعم الوكيل فيكي يا درة".

وكانت تمتمة مسعود:

"منحوس، ده أنت دقيقة وتبوس، حسبي الله ونعم الوكيل فيكي يا رنا".

وكانت تمتمة عبد الشكور:

"منحوس، روح يا شيخ، منك لله".

وكانت تمتمة بشير.

ولكن عيسوي غيَّر، إذ علا هتافه:

– المخرج ده عامل شوية كلوزات ممتازة.

وحانت التفاتة غيظ من الجميع فأردف:

- للعمارة، ده أنا اللي مصممها ومع ذلك حاسس أنها بقت على إيده حاجة تانية خالص.

"لكن أنا منحوس".

كان قد كررها فأكملت: أوعي تقول على نفسك كده يا بيبي

"مع عروض شركة الفيروز، الكل هيسكن بأسعار زمان، وخدمات جنان، تسهيلات ولا في الخيال".

"مستني إيه، قوم أحجزلك شقة،أو اتنين، بسعر مغري، والتقسيط على سنتين".

"مع شركة الفيروز، نحن نختلف عن الآخريييين".

انتهى الإعلان.

ومعه صدق الجميع أن العمارات التي صممها عيسوي، وأشرف على بنائها مسعود، وراجع حسابتها بشير، وسوَّق لها عبد الشكور تحمل تلك الامتيازات التي يدركون حقيقة الإدراك أنها محض كذب، فالكمبوند ما هو إلا ثلاث عمارات متجاورة مُحاطة بسور والخدمات ما هي إلا دش مركزي وإنترنت مركزي فقط.

"أنا مبسوطة".

قالتها فيروز برضا على حملة الدعاية التي ستأتي بمبيعات ممتازة، ولكنها لن تضيف لراتب أي منهم أي شيء، الميزة الوحيدة هي أن اليوم سيمر دون زعيق.

***

(ولا يزال البحث مستمرًّا لحضانة جيدة لكتري).

مُضافًا إليها عدة نصائح أخوية من الأصدقاء والعائلة حول اختيار المدرسة، والحيرة تملؤه كأب يريد لأولاده الأفضل ولكن كيف والعملية التعليمية باتت حسابية بحتة (ادفع لتجد ما يسرك).

"مستمعينا الأعزاء هنطلع فاصل مع أغنية الموسم ونرجعلكم مرة تانية".

سمعها عبر الراديو وقد بدأت:

"آه لو لعبت...

وعلق عندها بحسرة:

- آه لو لعبت يا زهر.

ولكنه صُدم حين اكتملت:

"آه لو لعبت يا قرد واتبدلت الأحوال".

"قرد، قرد إيه هي ناقصة؟"

والاستغراب ارتسم على وجهه وهو يركن سيارته جانبًا لشراء البطيخ فتمتم: "حاولوا مع الزهر هنج جابوا القرد، ما هي دي أخرهًا".

أما هي فظلت طوال النهار تتابع إحدى جروبات الطبخ ساعية لعمل طبق المسابقة وتصويره بالخطوات، حتى انتهت من إعداده وحان وقت المنشور:

"دي كانت كل خطوات الفيتوتشيني ألفريدو وادعولي بقى تعجب جوزي".

"ماما ماما الحقي حاجة بتتحرق".

انتفضت على هتاف صغيرها فهتف: الفيتوتشيني.

رفعت القدر مسرعة علها تلحق كمية ما لم يصيبها الاحتراق، وبأعجوبة نجت كمية لا بأس بها أزالت آثار المحروق جملت الطبق وتمتمت:

- كده كده عبد الشكور ميعرفش طعمه.

وما إن عاد حتى كان شجارهما.

البطيخة **VS** الفتوتشيني

"إزاي تطلع بيها قدام الجيران كده".

قالتها بضيق بينما طالع هو ما أعدت باشمئزاز معقبًا: إيه القرف ده، فين الغدا؟

وبدأ الزعيق بكونه لا يعرف بالطعام فالمحشي والملوخية وتلك الأصناف باتت موضة قديمة.

- هو الأكل كمان بقى فيه موضة.

- أيوة هو ده الأكل اللي ناس بقت بتاكلوه

"يووووووووووه".

هتفت بها كتري ثم تركت لهما المائدة وانزوت بغرفتها تلعب مع أخوها تيم بينما الشجار لا يزال مستمرًا.

***

أيام قليلة وستضع توأمهما، كان القلق يعتريها وقد شعرت أن الموت بانتظارها، إنها المرة الأولى التي ستدخل فيها إلى غرفة عمليات وبالتأكيد تخشى اللحظة، بكت حتى أتعبها البكاء فقررت أن تنام.

بينما ظل هو شاردًا بمكتبه، ادخر حوالي أربعة آلاف جنيه بينما بقي ما يقارب ثلاثة آلاف أخرى عليه تدبيرها، فكر حتى أتعبه التفكير فقرر أن ينام، تجاورا وكل منهما يولي الآخر ظهره.

هو يفكر في أخذ سُلفة لاستكمال مصروفات الولادة وهي قطعت الصمت وسألت:

- لو مت هتتجوز؟

سألت بأسى وقد شعر هو بقلق من ذلك السؤال المفخخ، فالتفت لها وأجاب بحسم:

- ربنا يخليكي ليا وميحرمنيش من وجودك أبدًا.

ابتسمت براحة وقد وضعت رأسها على كتفه ثم عقبت:

- أنا باتكلم في حالة إني أموت، أكيد هتكمل حياتك طبعًا.

وتصميمها أكد أن الليلة لن تمر على خير، فانتقى رده:

- مستحيل، ده أنا يمكن أموت وراكي من الفر....

ثم ابتلعها وصحح:

من القهرة.

- بس أكيد مش هتقدر على التوأم لوحدك.

- فعلًا.

"فعلا".

من أين خرجت الكلمة بالظبط كونه كاد يرى أحبالها الصوتية تتجلى أمامه، وكم عدد الوسائد بالغرفة لأنه شعر أن عددها قد تضاعف بينما وجهه كان يتلقاها:

"آه يا صنف نمرود، تاخدوا الواحدة لحم وترموها عضم".

ثم هدأت أو بالمعنى الأصح تعبت شعرت بدوار فرض عليها أن ترخي ظهرها، وألم بأسفل معدتها فهتفت:

- ألحقني يا مسعود شكلي هأولد.

ولطم خديه بصدق كونه لن يجيد التصرف ثم هتف فيها بزعيق:

- يعني حبكت نناقش التعدد النهاردة.

- يا رب ما تتهنى معها يا مسعود.

ولم يملك ردًا وهو يُهرع ليتصل بوالدتها والطبيبة بينما تعضُّ هي إحدى الوسائد وقد تعرق وجهها وزادت صرخاتها.

***

كان يجول شوارع القاهرة يصنع تحدياته بيده، يبحث عن الشخصيات التي سيقوم برسمها أو للدقة نحتها، ككاتب يكتب رواية ولكن في روايته لن تكون شخصياته على الورق، توقف أمام أحد بارات القاهرة، وهتفت نفسه:

"هنا بُغيتك".

فدخل باحثًا بعينيه يتفقد المكان جيدًا، بالتأكيد سيجد واحدة، لعوبًا تسعى خلف زبون وبعض أوراق نقدية وليلة خاصة، أهذا ما يريده؟

بالطبع لا، هو فقط يطرح سؤالًا ويريد إجابته.

هل بإمكانك أن تحول عاهرة لسيدة مجتمع في خمسة أشهر؟

صعب جدًّا ولكن لو تدربت.......

هل بإمكانك أن تحول عاهرة لسيدة مجتمع في خمسة أسابيع؟

قد تحتاج لمشقـ......

هل بإمكانك أن تحول عاهرة لسيدة مجتمع في خمسة أيام؟

- مستحيـ.....

هل بإمكانك أن تحول عاهرة لسيدة مجتمع في خمس دقائق؟

- أنت بتستعبط يا جدع أنت؟

وانزوت الابتسامة على شفتيه على إثر سماع صوتها، التفت ليراها وكانت كما تمنى.

طالعها بهدوء وكان هذا كفيلًا لتقترب ذات الرداء الأسود المخملي القصير جدًّا حد إيضاح الجوارب الدانتيل، أو ربما هي تظن أن جمع هذه الملابس الرخيصة بيديها فاتنة، وكلما اقتربت بات واضحًا أنها ليست رخيصة، وحسب بل هي تجاهد حتى لا تصير بالية تمامًا كصاحبتها.

يريد النادل لفظها خارج المكان وهي تطالع الوجوه باستجداء واضح سعيًا خلف مشروب وعشاء، تسعى لإشعال سيجارة تحركها بفمها مستخدمة تلك الحيلة الغبية "قداحة لا تشتعل".

ربما يقترب أحدهم ويشعل سيجارتها وهذا ما فعله متعمدًا إظهار قداحته الذهبية.

بداية جيدة عقبها جلوس كليهما أمام البار، ولم تنتظر سؤاله وهي من هتفت بالنادل:

- إزازتين بيرة مشبرين.

"مشبرين".

عقب عارف وقد زاد شعوره بالاشمئزاز حين شربت زجاجة دفعة واحدة ثم تجشأت ثم ضحكت بوقاحة وسألت:

- هتعشيني فين يا أخ؟

"أخ"؟

وقاطعته بدورها هاتفة:

- يا عم ما تنجز، هتجيب حاجة نطفح ولا أقوم وأشوف غيرك "rubbish".

لكنه في أمس الحاجة لوجودها:

- اللي تطلبيه ومش هنختلف.

- حلاوتك يا اسمك إيه

ثم تساءلت:

- ألا أنت اسمك إيه صحيح؟

- مش مهم، أنتِ اسمك إيه؟

- نبيهة.

وتعالت ضحكاته ولا تدري السبب ربما هي سخرية القدر، لكنه استشعرها واضحة، لقد وجد بُغيته وها هي أمامه كما رآها وظنها والبداية بها.

وأخيرا

انتهت البوستات، انتهت التويتات.

ألا أونا...ألا دوي...ألا تري.

وانتهى المزاد.

***

(3)

القاعدة الثالثة

(إذا أردتَ النصر، فكل الطرق متاحة،

الحب الحرب و....والنصب).

بينما كانت الميديا من حوله منشغلة بقصته، انشغل هو بإعداد منزله، بمنطقة نائية بأطراف القاهرة كانت فيلته، وجهز بها معمله تحديدًا "بالبدروم"، حيث استقرَّ "توقيت جرينتش".

جهازه الذي قد يبدو عاديًّا كونه مكونًا من "ساعة، نظارة، سماعات وثلاثتهم تم إيصاله بحاسوب".

وفي الخلفية مكتبة بها عدة كتب وحاسوب آخر غير المستخدم بالتجربة.

هنا صومعة الأفكار والوجه الآخر لفضاء الاحتمالات، هنا لـــ"ربما" البطولة المطلقة وهنا.....هنا العاهرة.

"مُخدَّرة".

"مُنوَّمة".

إثر جلسة تنويم إيحائي، لا يهم السبب، المهم أنها مسلوبة الإرادة، وهكذا سيبدأ عمله.

خطوة (1)

كانت مصفدة اليدين والقدمين في وضعية الجلوس بالمقعد الخاص بجهازه.

خطوة (2)

فوق عينيها النظارات الخاصة بإحلال الذاكرة البصرية، في أذنيها السماعات الخاصة بإحلال الذاكرة السمعية، في معصمها الساعة الخاصة بإحلال ذاكرة الوقت.

وجميعهم تم إيصاله بأسلاك في نهايتها أقطاب تعمل ذات الدور للأعصاب الحسية، ترسل نبضات استثارة عبر المخ للأماكن التي قرر عارف استهدافها بالفص الأمامي والصدغي والـ "hippocampus"— مركز الذاكرة — وكأنه سؤال كان ولا يزال محور تجارب شتى!

ما الشيء الذي إذا قررنا أن نتزعه عنك نكون قد محوناك؟

ولنُعِد الكرَّة ثانيًا.

"أن تكون نفسك".

"أن تعرف من أنت".

"أن تدرك ذاتك الحقيقية".

ليست دومًا كلمات رنانة وحسب، ولا نظريات فلسفية، ولا أحد أوجه دراسة "نظرية الهوية الشخصية" وعارف يعرف كونه كان مولعًا دومًا بـــ "جون لوك" و"ديفيد هيوم".

إنها آلية عمل الذاكرة، وحفظ المعلومات في المخ، ذلك العقل الغامض وكيفية السيطرة عليه، والآن هو يريد تسجيل براءة اختراع لفكرة هو أول من فكر بها.

مفادها:

"إحلال الذاكرة دونِ تدخلات جراحية، فقط بالإيحاء، الإيحاء سيكون صاحب البصمة في تجربته".

"ولن تكون نفسك".

"ولن تعرف من أنت".

"ومبارك عليك ذاتك الجديدة".

ماضٍ مختلف، حكايات ستجزم أنك عاصرتها، ربما لغة لم تنطق بها من قبل، وأناس هم أهلك وأصدقاؤك دون سابق معرفة.

ونبيهة البداية، تلك اللاشيء ستكون بعد خمس دقائق فقط.

بروفيسور "نانسي أبو العزم".

وبدأ التشغيل، وحدد الأماكن التي سيبدأ بمحوها.

"الذاكرة قصيرة المدى، الذاكرة طويلة المدى".

Done

"ذاكرة الصور، الذاكرة السمعية، الذاكرة الوقتية".

Done

"ذاكرة حفظ اللغة، ذاكرة حفظ المهارات، ذاكرة المبادئ والمفاهيم العامة".

Done

والنتيجة أتته بصوت صدر من حاسوبه

The mind you are working on is ready, Now

ولمعت عيناه بولَع، حانت اللحظة التي كان يرجوها منذ زمن، عقل فارغ من هويته، وهو من بات يملك صك ملكيته، يملؤه وفق رغباته، خيرًا أو شرًا، علمًا أو جهلًا، سعادة أو قهرًا، فهو المنوط بكتابة تاريخه؛ ماضيه حاضره بل ومستقبله.

وأخيرا...

خطوة (3)

وكانت بتحديد كل المعلومات التي يريد وضعها بكل ذاكرة، وظهر مستطيل طويل كان يسجل النبضات الحسية بالتوازي مع إشارة ملء المستطيل المكتوب فوقه:

"loading"

باغته القلق وصوت أنين خفيض على مقربة، تتوجع تقاوم، وبطء مرور الدقائق يكاد يفتك به

"Done"

"All operations are completed successfully"

هل ما قرأه صحيح بصدق؟

نجح نجح نجح، هتف هتف هتف:

YES، YES،YES

دار رقصٌ صاح قفز، أينشتاين عصره ظهر، ونظر بإعجاب للمصفدة، فك الأصفاد وضمها إليه يرقص بها، أتراه اشتهاها، أم أنه فرح بدميته، ولحظة التملك هي سِر نشوته:

"لم يكن يظن أنه سادي، لكنه اكتشف أن للسادية أوجهًا أخرى، نكهات أخرى، لم يعرفها إلا عندما قابلها".

وكما عبث بالعقل، قرَّر أن ينتهك الجسد، صعد بها لغرفته، نالها بلذة، لذة مسيطر، باتت شهوته الأولى عشق السيطرة، وجوارها قرير العين بانتظار نتيجته.

***

"شوفتوا القرد؟"

"بسم الله الرحمن الرحيم"

"الإجابة ...... نعم".

والمولد بعد الضجيج انتهى، كعادة وحال كل شيء في يومنا.

"خبر ضجيج كوميكسات فيديوهات تسليط ضوء حوار يتبعه صوت صرصور الحقل وكأن شيئًا لم يكن".

تلاشى القرد ولكن بقى أثره، سؤال يدور والجميع حوله:

"مين عارف أبو العزم بقى؟"

بيقولك؟

بيقوله...

"بيقولوا عليه بروفيسور كبير، في جامعة متشيجن".

"بس متقولوش بروفيسور، ده هي دبلومة وعادية جدًا من السربون".

"أبو العزم ده مش محل جزم".

"عارفاه ده تخصصه مسالك وعيادته في روض الفرج".

أما هو فتركهم يقولون ما يريدون واكتفى بالمشاهدة.

تثاءبت وحاولت النهوض من الفراش رغم التكاسل، تُرى أين اختفى عارف؟ اغتسلت، بدَّلت ملابسها، وطالعت المرآة وقد أقرت أن عارف بالتأكيد يُحضر لها الفطور كعادته.

وكان هو غارقًا في الشرود، يحلم بالنتائج، يطالع حديقة فيلته الجرداء عبر النافذة الموجودة بحجرة مكتبه، يدخن سيجاره الفاخر وهو يستعيد كل المعلومات التي وضعها بعقل تلك الساقطة..

"نانسي أبو العزم".

تعرف إليها منذ خمسة عشر عامًا، جمعتهم الجامعة وعشق ذات الجمال، وأحبت عارف رغم أنه يكبرها بثلاثة عشر عامًا، وتزوجته رغم معارضة والدها الإنجليزية التي كانت تكره أن تفعل ابنتها مثلما فعلت وتتزوج بعربي، ولم تكن تجيد التحدث بالعربية على الإطلاق لذا أضافت إلى دراستها تعلُم العربية الفصحى بأحد المراكز المخصصة لذلك، ومرت السنوات تدعم هي عارف بقدر ما يدعمها وكل ذكرى خطها بعقلها شاهد على ذلك.

سمع وقع أقدامها وهي تنزل الدرج فابتسم، ها هي نانسي قد استيقظت، زادت الابتسامة حَدَّ تراقص القلب من شدة الفرح وما إن التفت لها حتى صُعق، وكاد يهتف بأسى لوعة حزن فزع، فما رآه أذهله..

"هل فشلت التجربة؟"

- عارف أين أنت يا رجُل؟

والأداء بدا لعاهرة سقطت من فيلم "فجر الإسلام" لتوها، لغة الجسد لا تتناغم مع ملابسها المحتشمة ولا النظارة الطبية التي تتوسط وجهها مضافًا إليها فصحى مزرية كون مخارج الحروف تبدو ذات إعاقة واضحة.

تتمايل تقترب تسحبه من رابطة عنقه وهي تعض شفتيها بأسنانها لإغوائه وكأنه "زبون الحانة المنتظر" ثم همس بدلال:

- ألم يتعبك الشوق؟

ثم تغمز بعينيها وتسأل:

- أم نسيت ما كان بيننا بالأمس يا رجُل.

تركته وتوجهت للمطبخ، فتحت الثلاجة وأخرجت منها زجاجة عصير، تجرعتها دفعة واحدة وبعد دقيقة تجشأت، ثم التفتت لتسأله:

- أين الطعام فمعدتي تئنُّ من الجوع؟

مُسمر هو في مكانه لا يقدر على الحراك قيد أنمُلة، بينما تحركت هي تعبث بالمطبخ ومحتوياته، تخرج بيضًا، تبحث عن مقلاة، عيش جبن، وبمجرد أن انتهت جلست وهي تشير له أن يرافقها، ولأنها جائعة لن تنتظر، مزقت الرغيف وبدأت بالتهام الطعام بيدها عن طريق "التغميس" ولن تنسى لعق يدها بعد كل "لقمة" ولم يسع عارف إلا الركض للحمام والتقيؤ.

"هل فشلت التجربة؟"

أثرت في معلوماقا العقلية ولكنها لم تستطع التأثير على عادقا، لغة جسدها بل مخارج الحروف وطريقة نطقها، والآن ما العمل؟

تطلع إلى صورته في المرآة وقد بدا بدوره مزريًا، أغلق الصنبور وظَلَّ يبحث بعينه عن منشفة، حتى وجدها تُحدِّق فيه بهدوء، وقد مدت يدها بها.

– ما الذي دهاك يا رجل؟ ألدغك عقرب؟

– أنت مين نبيهة ولا نانسي؟

(ههي ههههى هههههي)

ضحكة رقيعة حقيرة، أهذا ما كان ينقصه، وإجابة أكدت أن التجربة قد تمت.

– بالطبع نانسي، وكأنك نسيت ما كان بيننا.

***

تلك اللحظة التي تفتح فيها أي أم "النيش" على مصراعيه هي بالتأكيد لحظة استثنائية.

– وجالك قلب يا فاطمة.

– مقدر ومكتوب يا عبد الغفور.

خرج طقم الكاسات وتوجه للمطبخ في لحة تاريخية لن تكرر كون عريس ابنتها سيأتي اليوم.

فقد وُضع عيسوي بمأزق حين هاتفت والدته والدهما وقُضي الأمر وقُدِّر لهم اللقاء يوم السبت، مكره ذهب معها وقد أغلقت عليه كل أبواب الأعذار، فهي من أعدت ملابسه وهي من اشترت الحلوى وهي من حدَّدت الموعد، وحين وجد أن كل خططه لإثنائها فشلت، قام بثني السجادة عند دخوله منزلهم أسوة ببشير كي يضمن كارثة لو انزلقت عروسه المصون بأكواب العصير.

أما هي فكانت بغرفتها وقد ضيقت فاطمة عليها الخناق كي تضمن كبح تهورها إلا أنها قد خبَّأت عبلة من دواء "اللاكتلوز" بملابسها، وما إن سمح لها بالخروج والتوجُّه للمطبخ حتى قامت بسكبها بدورق العصير كله.

– منورنا والله يا أستاذ عيسوي.

– ده نورك والله يا طنط فاطمة.

وبدا الانسجام واضحًا على حموات المستقبل حد التشديد على تذوق البيتي فور إلا أنه اعتذر بابتسامة وهو يؤكد:

– شكرًا يا طنط أنا مليش في الحلو قوي.

– طيب نعمل شاي بلبن ونجيب بقسماط.

قالها عبد الغفور مازحا وقد تعالت ضحكاته وزوجته بينما مطت مشيرة شفتيها وتمتمت بجواره:

- ده عماد حكالهم.

- خلاص يلا نروح.

- اقعد.

وأخيرا دخلت فرفع عينه وأبصرها، وجه ملائكي بعيد كل البعد عن تصرفاتها، وزرقة عينيها الواسعة تكفي.

- بسم الله ما شاء الله.

وكانت الجملة من مشيرة حين أطلت، يتبعها سؤالِ خرج ببلاهة من فم عِيسوي:

- مين دي؟

والإجابة من فاطمة:

- دي شجن يا ابني

- دي شجن، دي حلوة.

وكانت التمتمة منه وهو يهبُّ واقفًا إلى جوار والدته والتي وقفت لاستقبالها، خطوة أخرى وبعدها تذكر "السجادة".

"حسبي".

قالها وهو يبعدها كي لا تسقط، لكنه لم يكن يعرف أنه قد فات أوان تحذيرها.

"طراخ طوخ تيييش بووم تيييش".

"ابني".

وكان الهتاف من مشيرة:

"طقم الكاسات".

وكان الهتاف من فاطمة:

"شوفلنا إسعاف بسرعة، الواد سايح دمه".

وكانت زعقة عبد الغفور.

وشجن مصدومة مما فعله، لماذا جرى من مكانه ووقف في طريقها وحاول التقاط الصينية وكأنه يظن نفسه "عصام الحضري"، ها هي انفلتت من يدها وسقطت أكوابها الستة فوق رأسه، ولوحة عشوائية رسمت على ملابسه من امتزاج الدماء من جرح قطعي في منتصف جبهته مع عصير الجوافة بينما تمتم هو..

"الله يخرب بيتك يا عماد".

ومنذ ذلك اليوم وحتى بعد مرور عدة أيام وجد نفسه رغم أنفه يفكر فيها بجدية؛ هل يعقل؟

معجب بوالدها؟

كونه أسعفه وذهب معه للمشفى ثم رافقه للمترل ثم انتهى المطاف بالكل وقد صمت:

"إيه حكايتك يا ابن حافظ".

شارد دائمًا ولا يحتسي إلا الشاي باللبن، كل محاولاته للاتصال بعماد باءت بالفشل كونه قد تسبَّب بقطيعة رحم بين والدته وخالته على إثر تكسير "طقم الكاسات".

زفر وهو يدور بغرفته ثم طالع صورته بالمرآة، لا يزال هناك ندبة مكان الجرح القطعي، وأسنانه تعافت بعد التورم:

"أمك محتاجالك يا عيسوي".

لكنه رغم ذلك قرر مقابلتها، توجه نحو العيادة متحججًا بموعد استشارته ودخل:

– دقيقة واحدة وأكون مع حضرتك.

– براحتك.

وصوته فرض عليها الالتفات ليكون أمام وجهها وحسب دون كمامات أو نظارات، والجدية تليق بها، لحد جعله لا يصدق أنها ذات الشخص الذي سعى لـ"تطفيشه".

– أنت بتعمل إيه هنا، اتفضل اطلع برة.

– يا آنسة شش......

ولم تمنحه أي فرصة اتجهت نحو الباب لتنادي أحدهم، إلا أنه حال بينها وبين فتحه معقبًا بجدية:

– الموضوع مش مستاهل كل ده، أنا جاي الاستشارة بتاعتي.

– بجد؟

والنبرة ساخرة يملؤها الغيظ، وكونه يتسبب بغيظها يبتسم، ابتسامة فرضت عليها الزفر وهي تكمل:

– طيب اتفضل يا أستاذ عيسوي.

شعر بالانتصار وهو يجلس ولكن ابتسامته تلاشت حين خرجت وأتاه رجل، وأكد البالطو الأبيض أنه زميلها فلم ينتظر عيسوي وخرج، هرول وهو ينزل الدرج كونه أدرك أنها غادرت، رآها تسرع خطواتها تريد اللحاق بالأتوبيس فأسرع خلفها وما إن رأت الزحام حتى قررت أن تنتظر التالي فظن أن الفرصة قد أتت، إلا أن ركضه بجوار الأتوبيس جعل المتعلقين ببابه يظنون أنه يريد الركوب وبعفوية مصرية خالصة امتدت أكثر من يد وجذبته من ملابسه ودفعوه للداخل بينما هو يهتف:

– أنا مش عايز أركب.

والرد صارم من كل من حاولوا مساعدته:

- ولما أنت مش عايز تركب بتجري جنب الأتوبيس ليه؟

ولم يملك إجابة بقدر كتم غيظه، بينما شجن انفجرت في الضحك فهتف:

- والله لأوريكي يا شجن.

***

صباح جديد بشركة الفيروز وقد سنحت الفرصةِ لبشير حين وجد مكتب صبا فارغًا كي يضع ورقته على مكتبها، ثم التفت ليرحل مسرعًا، إلا أن صوتها استوقفه وقد خرجت لتوها من مكتب فيروز لتكلل محاولاته بما لم يتوقعه، حين جاهدت نفسها لتقرأ ولم تفهم فقرر مساعدتها وأخذ منها الورقة وقرأها، هل سيختلف الأمر اليوم

- فهمت حاجة؟

ومع ابتسامة قرأ:

رمتِ الفؤادَ مليحة عذراء

بسهامِ لحظٍ ما لهنَّ دواءُ

مَرّتْ أوَانَ العيدِ بَيْنَ نَوَاهد

مِثْلِ الشُّمُوسِ لِحَاظُهُنَّ ظِبَاءُ

فاغتالني سقمي الّذي في باطني

أخفيتهُ فأذاعهُ الإخفاءُ

خطرتْ فقلتُ قضيبُ بانٍ حركت

أعْطَافَه بَعْدَ الجَنُوب صَبَاءُ

– يعني عايز يقول إيه؟

– هه.

صمت بينما زفرت هي معقبة:

– مكنش قادر يكتب حاجة أبسط؟

مهتمة؛ لن تنكر فمن هي المرأة التي قد تغفل الاهتمام وهي له دوما تتطلع.

– هو.....

وحثته نفسه فتجرأ::

– خلاص مش مهم.

– لا استنى.

تنحنح واستجمع أنفاسه وأكمل:

– هو عايز يقول إن نظرة عينيها زي السهم اللي ملوش دوا، وأنها في عينه استثناء لما بتكون وسط كل البنات اللي بيشبهوها، وإن

حبه ليها ظهر لكل اللي حواليهم وكان واضح من كتر ما اتمنى أنه يخفيه جواه، وأنها....

- هه.

ثم أكمل ببالغ ارتباكه:

- يعني هو بيقول أنها زي غصن البان لما بتتحرك بيحس أنها بتحرك قلبه، بس كده.

واتسعت ابتسامتها حين فهمت المقصد لتحظى الورقة بمنزلة أعلى، كونها توسطت حقيبتها، وما إن التفتت لتشكره حتى تبخر، خرج ولكنه اختبأ يراقبها بينما هي شردت تفكر بذلك التقليدي الذي يوم اختار الشعر اختار عنترة العبسي، تقليدي بشير؛ نعم لكنه تقليدي حد التفرد.

***

"خلصتي السلطة يا مها؟"

جملة انتشلتها من الشرود حين هتفت بها اعتماد فانتبهت أنها أمام الطبق ولم تقطع شيئًا.

- اللي واخد عقلك.

وكأن اعتماد لا تعرف، وكأنهم لم يقرروا منذ الطفولة أن:

"بشير لها ومها لبشير" دون سؤالهما أو الرجوع إليهما، لكنها ليست غبية.

يتفاداها دومًا ويشدد على مسامعها أنها كأخته الصغرى، وجدها يداوم على نصيحتها، لا تكوني إلا لمن يستحقك.

– لا ده أنتِ مش هنا خالص.

– هاخلص حاضر.

– طيب اطلعي هاتي من ع السطوح نعناع.

طلبت منها الصعود لصومعة بشير؛ جيد، حيث مزروعاته ومكتبته وكتبه، وما إن صعدت حتى تناست أمر النعناع واتجهت لمكتبته، عبثت بكتبه أوراقه وأقلامه، بل كشكول خواطره، وتوقفت عن العبث حين أدركت أن هناك اسمًا واحدًا بين الخواطر يتكرر:

"صبا".

الآن فهمت!

***

ترك لبناته المترل واتجه للمقهى، مسكينة مها وليته قادر على إخبارها ومسكين بشير بدوره، فحتى لو ضمن صبا فاعتماد ستعلنها حربًا.

"حاج إسماعيل فينك معدش حد بيشوفك زي الأول؟"

- إزيك يا دعبس.

وكان السؤال من صبي المقهى والذي نادى جميع الجيران من حوله فاجتمعوا وكان الترحيب به والالتفاف حوله، كونه يمثل تاريخ المكان بحكاياته وقصصه، بصوت العود حين يبدأ بالدندنة، بجواره أحدهم يسأله أن يغني كما عوَّدهم، ورغم اقتحام خلوته إلا أن هذا كان له على الدوام مُفرحًا، يكفيه أنه بمرور الزمن لم يُنس، وصوت بشير أكمل المشهد، حين استوقفه وسحب أحد المقاعد وجلس إلى جواره ليسمع:

"شد الحزام على وسطك غيره ما يفيدك".

وللحالة ذكرى خاصة، ذكرى تفرض على بشير النظر لجده بفخر مطلق، هو حفيد هذا الرجل الذي داوم على دعمه منذ أن توفي والده في صغره، وصوقم فرض على دخيل أتعبته قدمه من كثرة السير أن يهوي إلى أقرب مقعد ليستريح، ثم تطلع إلى الرجل العجوز وبالتأكيد سأل صبي المقهى عنه:

- ده الحاج إسماعيل، ده عايش هنا في الحلمية من قبل ما يعملوا مسلسل ليالي الحلمية.

ظل يُحدِّق إلى الجميع حتى سأله صبي المقهى:

- أجيبلك إيه يا أستاذ.

- اتنين قهوة، واحدة مظبوطة والتانية للحاج إسماعيل وقوله أنها مني.

ذهب صبي المقهى ثم عادِ بطلباته فأخرج من جيبه ورقة من فئة مائة جنيه وحدد:

- خد تمن القهوة وخلي الباقي عشانك.

هل يعرف كم سيتبقى؟

وهتافه جاء بصدمة بجوار صوت فوران القهوة.

- 80 جنية بقشيش.

والمبلغ ليس هين، يكفي أنه من الممكن أن يشتري دجاجة كاملة، تابع عارف فرحة صبي المقهى ثم غادر، غاب عشر دقائق ثم عاد وعندها قرر أن يجلس بجوار المستمعين لإسماعيل في هدوء ثم...

"مش أنت بتاع القرد؟"

قالها أحدهم فتوقف صوت العود، توقف الغناء، والتفت الجميع نحوه.

والغريب هو أن لا دعبس ولا أغلب الجالسين بالمقهى كانوا على دراية بالقصة من أساسها ورغم ذلك آثرهم الفضول لمعرفة المقصد من السؤال.

- إيه موضوع القرد ده؟

أول جملة جانبية.

– أه صحيح، بتاع المطار، هو أنت صح؟

ثاني جملة جانبية.

ثم همهمات من كل اثنين متجاورين، وكل واحدٍ منهما لديه قصة تخصه، يحكيها وعارف بدوره يبتسم ويسمع، ولم يتوقفوا إلا بهتاف إسماعيل:

– جرى إيه منك له؟

ثم نظر باتجاه عارف وأردف:

– متأخذناش يا أستاذ، حاكم احنا كده ما بنصدق نلاقي حاجة ونفتي فيها.

كانت القهوة قد أتت، وقَبِل إسماعيل نفحة كرم عارف برضا، هو رجل مدخله التقدير وعارف يعرف، يعرف أنه لو أراد الاستحواذ على الجميع عليه أن يبدأ بأهمهم والآن بعد القهوة والحوارات الجانبية حان دوره هو.

"صدقوني يا جماعة، القصة اتفهمت غلط خالص، أنا كان نفسي من زمان يكون عندي فرصة أوضح فيها الموضوع، وكويس أنها بدأت من عندكم".

وبدأ في السرد، والجميع يسمع، هو دكتور في التنمية البشرية.

- وده لما يوجعني إيه بالظبط أروحله.

والسؤال همس كان من إسماعيل لأذن بشير والذي كان يسمع باهتمام: ده متخصص ف...هابقى أقولك بعدين.

"والجهاز بتاعك ده يعني هيفيد الناس بإيه؟"

والسؤال جاء من أحدهم، وهنا قرر عارف أن يفكر جيدًا وهو يحدق إلى الجمع الوجولي، لو قال الحقيقة سينفض الجمع في لحظة، ولأنه بنفوس البشر خبير، عرف بالضبط ما هو بحاجة إليه.

حين تحتاج المساعدة خاطب في الناس مصالحهم لا تعاطفهم

الجهاز ده مخصوص للرجالة، ساعة بتضاعف قوة الراجل اللي بيلبسها، أربع أضعاف القوة الطبيعية.

"في كل حاجة".

كان استفسارًا جماعيًّا تابعه رد عارف بثقة:

- أكيد، خصوصا علاقته بالجنس الآخر، وده كان واضح جدًّا مع القرد، لدرجة إن مفيش قردة كانت قادرة عليه.

"هات للراجل ده فخفخينا يا دعبس".

والزعقة كانت من صاحب المقهى، بالإضافة إلى ثلاثة قربوا مقاعدهم، وأربعة استوقفهم الجمع بالمقهى فدخلوا، وهنا قام إسماعيل

من مكانه وقرر الرحيل ولم ينتبه سوى عارف، فنظرة إسماعيل له ضايقته.

خرج وخرج بشير خلفه يهتف به علّه ينتظره، وما إن جاور جده المُسرع حتى سأله عن رحيله وكانت إجابته ببساطة:

– هذا الرجل يكذب.

– أهو كنا عرفنا حكاية القرد.

– يا شيخ اتنيل، أنت عارف تخطب، ده أنت محتاس بين مها وصبا ومش عارف تاخد موقف.

وبعد ثوانٍ من الصمت أجابه وهم يتجهون للصعود نحو منزلهم:

– هاخد موقف يا جدي واللي يحصل يحصل.

وما إن وصلا حتى استوقفهم صوت زعيق اعتماد وأمنية وكل منهما باتت تكيل للأخرى، بينما مها هتف فيهما:

– كفاية بقى حرام عليكم.

– فيه إيه يا غجر؟ صوتكم جايب آخر الشارع، إيه اللي حصل؟

والصمت بصوت إسماعيل حل، انتفضت مها دون النظر لأحد مقررة الرحيل ورغم زعيق إسماعيل فيهم كي يفهم إلا أن مها ترجته أن يدعها الآن، هي تدرك أنه الوحيد الذي سيفهمها، ولكنها لن تشرح، وفي خضم الضجيج كما العادة آثر بشير الصمت، فهم أن الشجار كان بسبب أن مها قالتها قاطعة؛ لا أريد الزواج من بشير.

وهل امتلكت الجرأة؟

نعم، ورحلت بعدما سمعت آخر جملتين من خالتها ووالدها ومفادهما قطيعة رحم واضحة ما دامت الزيجة لن تتم.

وانتهى الشجار فانزوى إسماعيل بغرفته بعدما صفع بابها بوجه بشير ووالدته والتي ربتت على كتف ابنها وهي تؤكد:

– أوعى تزعل نفسك.

ورغم شعور بالراحة أن الأمر قد حُسم فإنه لم يفرح، تركها وصَعَدَ لسطح منزله، والعبث بكشكول خواطره كان واضحًا، والفاعل ضميرها حين استيقظ من سباته وعرف الحقيقة المُرّة، فكانت هي من تصدى للمواجهة نيابة عنه.

حَلَّ الليل ولا يزال جده بغرفته، ولم يخرج حتى ليأكل، قرَّر بشير جلب الطعام له وأصرَّ على الدخول.

فتح إسماعيل الباب ثم عاد ليجلس أمام حاسوبه، يتصفح صفحة الفيس بوك خاصته، دون النظر لبشير.

– طيب حتى كُل، أنت مأكلتش من الصبح.

قالها وهو يضع صينية الطعام من يده فكان رد إسماعيل:

– أنت مش حطيت الأكل، اتفضل بقى، عشان أنا بصراحة كده لا طايقك ولا طايق أمك.

- طب أنا ذنبي إيه؟

قالها ببالغ الأسى وبصوت متحشرج على إثر دموع هي على وشك النزول.

- امشي يا بشير.

وما كان له إلا أن يفعل، التفت ليرحل وقد بكى فعلًا، وقبل الخروج من الغرفة ناداه جده، وحين التفت ورأى دموعه أكمل:

- تعالى يا بشير، أنا عايزك.

جلس إلى جواره بصمت، نظر إليه وبعد لحظة دفن رأسه بصدر جده وبكى والصوت المتحشرج بالدموع قرر "الفضفضة".

"أنا مقصدتش أعمل في مها كده، والله ما كان قصدي".

"أنا مخنوق قوي".

فربت إسماعيل على كتفه وحثه ألا يبكي، فالرجال لا تبكي، لماذا، لأنها قناعة تم إقرارها، فالرجال أقوياء، وما علاقة القوة بالبكاء؟ البكاء ضعف، ما علاقة الضعف بالبكاء؟ البكاء بكاء، والضعف ضعف، إلا أن الخلط في كل شيء بات من المسلمات.

- ما تسترجل وتقول لأمك لأ.

- هو أنا لما أخاف على زعلها أبقى مش راجل.

ربت على كتفه وعقب:

– محدش قالك زعلها، بس دي حياتك أنت ولازم قراراتك تكون من دماغك أنت، فاهمني.

أومأ رأسه بتفهم لكنه مدرك أن الأمر لن ينتهي بعد، ربت إسماعيل على كتفه وتناولا معًا الطعام ومن شروده قطعه فيديو ظهر على صفحة جده وعنوانه استوقفهما:

"فضيحة، لدكتور القرود بالحلمية".

فلم يملك بشير إلا أن يعقب:

– شكل حد صوره ورفعه ع النت.

– ومين اللي هيقف يصوره، هنا الناس أخرها تسمع واحد زيه حقيقة أدركها إسماعيل فرضت عليه أن يردف بعد تفكير:

– أنا حاسس إن الراجل ده وراه إنَّ!

***

(4)

القاعدة الرابعة

(استعبد ضحاياك بمنحهم حرية اختيار أسلوب سيطرتك عليهم وعندها سيمدحون ديموقراطيتك).

هو رجل علمته الحياة، أهم دروسها: إذا أردت أن تلعب أي لعبة، وتكسب بل تسحق خصمك، قم بإرساء قواعدها بنفسك.

وبعد أن استأجر أحدهم لتصويره، جلس يُرسي قواعد جديدة وهو يحدد مكاسبه، مال وشهرة ونفوذ يتم تلاحمهم معًا من أجل إنجاح تجربته، ويكفيه أن الضحايا هم من ستأتي بهم رغباتهم، وبهار الخلطة هو إثارة الفضول.

الفضول طُعم البشر الأكثر نجاحًا والأثمن صيدًا، وعندها ستعلم كيف تستخدم الكلمات:

"فضيحة" "مصيبة" "كارثة".

وكيف تتلاعب بالمشاعر:

"رهيب" "جنان" "فظيع".

ثم ادفع بما تريد وتوارَ عن المشهد.

واكتفى بدور المتفرج، اسمع القذف في سمعتك واصمت، وبعد برهة ستجد من قرَّر تبني موقفك والدفاع عنك، كن صاحب الموقف

الغامض، ولا تصرح بحقيقتك، كن قدر استطاعتك مثيرًا للجدل، وعندها ستضمن أن الجميع سيتحدث عنك، الطيب لظنه أن فيك خيرًا، والشرير سيكون أول المقدرين لقيمتك.

وكالنار في الهشيم، كان الهشتاج الجديد:

#شوفتوا_الراجل_بتاع_شوفت_القرد

"مين عارف أبو العزم، اللي كل شوية نشوفه في حاجة ده".

"إيه حكاية الساعة اللي اتجوبت ع القرود دي".

"بيقولك محدش قادر ع القرد".

وبالميديا ثمة خطوات عليك أن تعرفها، بإعلان الشوكولاتة يجب أن تستشعر ذوبانها بفمك، بإعلان المشروبات الغازية يجب أن تستشعر فورانها وكأن الكوب بيدك، وبإعلانات الأطعمة دع كثرة الألوان تكون كفيلة لشعورك بالجوع، ومشهد الدخان الصاعد من الطعام يفرض على عقلك تصديق أنها ساخنة، عيناك المدخل لعقلك ثم سؤال سيُطرح بعدها:

دوقتها؟ لا.

لازم تدوقها!

جربتها؟ لا.

لازم تجربها!

"بطعم وريحة الزبدة الفلاحي وتحدي".

Cut

والتصفيق كان موازيًا لصوته: هايل هايل هايل يا مدام لوللا.

ثم الزعيق بالجميع: عشر دقايق وعايز اللوكيشن جاهز عشان إعلان شركة الفيروز.

وعبد الشكور بدوره يراقب المكان في صمت، عالم اعتاد رؤيته من خلف الشاشات، فإذا به يجلس ليرى بانبهار ما هو خلف الكواليس وهو يعقب:

– بتتعبوا قوي أنتم يا أستاذ هيثم

– أه طبعًا، ويا ريت الناس بتقدر، كفاية تعب مدام لوللا، تخيل أنها من الصبح مقعديتش، وكل شوية تغير لمشهد.

– مسكينة فعلًا دي مش بعيد يجلها دور أنفلونزا.

والمسكينة أتت إليه، وقفت أمامه والتقدير لوجوده يشعُّ من عينيها وهي تسأل:

– عجبك الإعلان يا أستاذ عبد الشكور؟

وهو بدوره وقف؛ أهو إجلال لمجيئها، أم لأنه غير مصدق؟ والرد انساب من فمه:

- أكيد طبعًا، حضرتك موهوبة جدًّا.

- بجد يا عبد الشكور، سوري يعني إني شيلت الألقاب، أصلي دايمًا باعتبرك أخ عزيز.

والجملة قيلت وهي تقترب منه أكثر، إلى حد فرض عليه التمتمة في سرِّه بـــ "أستغفر الله العظيم" وهو يعود للخلف بخطوات توازي اقترابها:

- الله يحفظك.

زادت ضحكتها وهي تكمل:

- لا بجد أنت مشكلة، يا ريت لو كل الرجالة زيك.

ولم يجد كلمات يرد بها ولم ينجده من يدها إلا نداء المخرج باسمها، فاضطرت لمغادرته وهو يهتف من فرط تعرقه:

- روحي يا شيخة منك لله.

***

"حبيبة قلب مامي تمت أسبوع الهاردة في الحضانة بتاعتها، والحمد لله حضانة ممتازة وبتطبق منهج منتسوري"

كتبت أخيرًا منشورها وقد أرفقت به صورة ابنتها وقد شعرت بالزهو لكثرة الإعجابات والتعليقات.

ثم عادت لمتابعة إحدى الصفحات التي على ما يبدو ستقلب مسار الفيس بوك رأسًا على عقب؛ الصفحة الرسمية للدكتورة والمستشارة الأسرية نانسي أبو العزم.

كانت تقرأ المنشورات بتركيز وقد شردت رغمًا عنها لتتذكر كيف كانت بدايات حياتها مع زوجها وقد استعانت عندها بالمنتديات لتعلمها وقد كان.

"تعالي لما أقولك إزاي جوزك يبقى زي الخاتم في صباعك".

نصائح.

"بالصور،تعالوا شوفوا إزاي عملت لجوزي أحلى ليلة رومانسية".

فضائح.

وما بين الاثنين سؤال؛ هل نحن من نستخدم مواقع التواصل أم أنها هي من تستخدمنا؟

عادت لتكمل قراءة منشورات نانسي أبو العزم وقد زفرت بضيق، وهي تُسقط على عبد الشكور كل معلومة.

تغير؟!

أو هي قررت ذلك كونه بات مهتمًّا بإعلان لوللا بل يتحدث لكتري بفخر كونه يحضر كواليسه، ويوم المقابلة بحضانة ابنتها أبدى إعجابه بميس أيتن مدرستها.

شواهد جميعها تؤكد أن عبد الشكور في طريقه لخيانتها إن لم يكن فعلها.

"يا لهوي!"

تمتمت بها وقد شعرت أنها بحاجة لمساعدة وبما إن الكثير من السيدات يتواصلن مع صاحبة الصفحة، قررت هي أن تفعل بدورها، فأرسلت رسالتها تشرح وتسأل:

– دكتورة نانسي أنا شاكة في جوزي ومحتاجة من حضرتك مساعدة، تقوليلي إزاي أخليه ميبصيش برة.

– قوليلي كل التفاصيل عنك وعنه وأنا هاعملك تحليل لشخصيته وأقولك إزاي تكسبيه.

– بجد يا دكتورة؟

– طبعًا، أنا تحت أمرك.

***

"يا أبو العيال هاتلك شيال".

وأخيرا أصبح مسعود أبو السعد أبًا.

– حور ونور.

قالها وهو يطالع الوجهين الملائكيين لبنتيه وابتسامة سعادة تعلو شفتيه، وأخيرًا أسرة هو ربها بعدما حرم طوال حياته من وجوده وسط أسرة كونه تربى في بيت عمه يتيم بعدما توفي أبواه.

- وماله اسم عطيات.

عقبت حماته فابتسمت درة وأجابت:

- احنا متفقين على الأسماء دي وبعدين يا ست الكل هو فيه زي عطيات.

مطت شفتيها وتركتهما بينما نظر لها مسعود بغيظ للحظة على إثر ولادتها الحرجة ولكن الله سلم.

- حمد لله على سلامتك.

- الله يسلمك، كنت هأزعل لو طلعت ناسي اتفاقنا.

- مقدرش.

ثم قبّل رأسها والصغيرتين وكي يتفادى مصمصة فم عطيات قرر أن يخرج لشراء احتياجات بنتيه، عدة أيام ستمكثها عطيات بمنزله لخدمة ابنتها لن تكون بالهينة أبدًا.

عليه أن يبدو كريمًا ويصرف ببذخ وإلا فلن يسلم من لسانها، وأنفق كل ما ادخر واستدان حتى أتم "سبوع" التوأمين وبالنهاية رحلت عطيات ليتنفس الصعداء ويحاول تدبر ما يلزمه من مصروفات بالفترة التالية:

"ووووووأأأأ وووووأأأأأ"

حل المساء ففركت عينيها الناعسة بأسى واتجهت حيث سريرهما، وقفت تهدهد حور، تربت على خصرها كي تتجشأ، تهدأ تغمض عينيها فتضعها في السرير وتتثاءب هي بدورها وتعود لسريرها، تمني نفسها النوم ولكن ....

نامت حور واستيقظت نور:

"عندي شغل الصبح والله ما ينفع كده".

والتعقيب من مسعود فرض عليها الاعتذار بينما قرر هو النوم على الأريكة الموجودة بغرفة مكتبه.

نامت نور، ولكن النوم جفا عينيها كونه يتذمر من أقل خطأ، فهل يتعلّل كي يجد حجة ويسافر كما ينوي.

مرعوبة هي من تلك اللحظة، ورعبها هو المحرك، تُجاهِدُ نفسها ألا تخطئ، تنظف، وترتب، وتطبخ، وتكوي، وتفعل كل مجهود مضاعَف فقط لتتفادى ضجره. تُواصِلُ الليل بالنهار ولا تريد تصفيقًا أو انبهارًا، فقط يرضى.

عاد من عمله وكانت بالمطبخ، شعرها أشعث وعيناها حمراوان وآثار الاجهاد تأكل ملامحها:

- ده أنتِ لو بتاخدي مخدرات، مش هيكون شكلك كده.

ولم تملك طاقة لترد فقط سألت:

- أحضرلك الغدا؟

جذبها من يدها وأخرجها من المطبخ حتى ذهب بها إلى السرير ودثرها، هل هو فخ؟

- نامي دلوقتي وأنا هأحضره لنفسي.

- مسعود......

- ارتاحي بس الدنيا مش هتطير.

لم تصدق ولكنها لم تجادله، نامت حتى قبل أن ينهض من جوارها، وعندها اتجه لبناته وطالعهما مبتسمًا وقد ابتسمتا:

"ماشي يا بنات مسعود".

وحملهم وخرج بهم حيث مكتبه، أعدَّ لنفسه الطعام وكوب شاي وهو يفكر هكذا سيعتاد تحمُّل المسؤلية لو سافر وعاش بمفرده، لكن ثمة أسى بنفسه كونه يدرك رفضها.

"وووأأأأأأأوووووأأأأأأأأ"

وصوت الصرخات أعلن عن بدء المواجهة.

مسعود VS التوأم.

هل هما بحاجة لتغيير الحفاض؟

- لا إحنا متفقناش على كده.

قالها وهو يطالعهما بأسى ولكنه لا يملك إلا أن يفعل، فوضع مشبك غسيل فوق أنفه علّه يحمي نفسه من الرائحة التي كادت تزكمه:

"وووووووووأأأأأأأأأأوووووووووأأأأأأأأأأأ"

- إيه تاني؟

جائعتان وبحاجة لإعداد طعامهما، زفر وقد اتجه بهما للمطبخ، مدركًا كم تتعب درة معهما، حضر ببرونات اللبن بمعجزة وأطعمهما وبالنهاية نامتا بينما هو هوى بجسده أرضًا وهو يطلق زفرة راحة كونه أنجزَ مهمته.

دقيقة ثم اتجه للمطبخ كي يمحو آثار جريمته ويُعيد تنظيفه، ولم يكن يتوقع ما ينتظره وهو يضع علبة لبن الأطفال بمكانها، فقد سقط خطاب على ما يبدو أن درة كانت تخفيه، أمسكه ليجده مُرسلًا إليه من السعودية:

"خطابًا"؟

لا بل اثنين، ثلاثة، خمسة.......

الرد إذًا على خطاباته كان يأتي بينما تستلم زوجته الخطابات وتُخفيها عنه.

***

أيوه جاااااااااااي".

والصوت مختلف فرض على إسماعيل الالتفاف ليسأل عن دعبس

أين اختفى؟

والأمر في بدايته شغلهم، لكن بعد مرور عدة أيام انشغل كل شخص فيما يخصه، اعتادوا صبي المقهى الجديد، ولم يعد أحد يسأل، فالناس تنسى وتلك القاعدة تنطبق على أهم مَن نُقابلهم فما بالك بالمنسيون من أمثاله، بل هم أناس بصمتهم الأولى نسيانهم.

تَرَكَ إسماعيل المقهى وانصرف للسوق، قرر أن يصالح مها، فاشترى العنب الأحمر خصيصى لها، وبدا أن هناك مَن يراقبه مُحاولًا التقرب منه قدر استطاعته.

- عنك يا حاج إسماعيل.

قالها حسن الطبيب بمستوصف الحي مُشدِّدًا على إسماعيل إعطاءه كل الأكياس التي كان يحملها، وجنت على نفسها براقش، حيث وجد نفسه يحمل كل ما اشتراه إسماعيل بالإضافة إلى تموين اعتماد وأمينة.

- تعبت ولا حاجة؟

- تعبك راحة يا حاج إسماعيل.

قالها وهو يحاول السير بصعوبةٍ بجواره، وكل هذا كان فقط من أجل الذهاب معه لبيت أمينة عله يرى مها، ولأن إسماعيل يعرف قرر اختباره بطريقته حتى وصلا لبيت اعتماد فعقَّب:

- بافكر أجيب بطيخة بالمرة.

هل سقط مغشيًّا عليه؟

- جيل طري.

وكلامه فرض على مها الضحك حين جمعتهم الشرفة، أمام لعبتهم المفضلة الطاولة، وقد آثرت الصمت رغم حثه لها على التحدث.

- وأخرهما؟

وما إن قالها حتى التفتت تطالع وجهه ثم ردت: ولا حاجة يا جدو، هو هيتجوز صبا ويعيش معاها سعيد، وأنا هتجوز حسن وبس.

- الدكتور السمج ده!

والتعقيب فرض عليها أن تضحك مرة أخرى، بل تتذكر كل ما فعله جدها فيه، منذ أن علم بأنه قد تقدم لخطبتها وأنه منتظر ردَّها، فهل يختبره؟

وقبَّل جبهتها وهو يؤكد:

- المهم عندي أشوفك سعيدة.

- ربنا يخليك لينا يا جدي.

***

بعد مرور أسبوع

بات المتوقع أن يجاوره كل صباح لتناول الفطور بعربة عم شلتوت، ورغم استغرابه لم يجرؤ أن يسأله عن السبب، نظر لمسعود ووجده مُحرجًا من طلب المزيد من الخبز فمدَّ يدَّه برغيف إضافي دون تعقيب، تناوله مسعود وعاد يُكمل فطوره فإذا بعبد الشكور يعلق:

- المدام طالما ولدت بالسلامة عود نفسك أنك هتفطر كل يوم هنا.

شعر مسعود بالغيظ من الفضولي، فصمت عبد الشكور وقد ندم على حديثه معه، ساد الصمت لدقيقة قبل أن يسأل مسعود:

- هو أنت بقالك قد إيه متجوز؟

وصُعق عبد الشكور كونه يسأل، وردَّ: حوالي ست سنين، وأنت؟

- سنتين.

- مستجد يعني، أنا برضو قُلت كده.

ولم يحاول مسعود الاستفاضة، نفض بقايا الطعام عن يده مُقررًا الاتجاه للشركة، تابعه عبد الشكور مكتفيًا بذلك الحديث المقتضب.

يوم روتيني بدأ بزعيق فيروز على أي سبب، وهذه المرة كان الزعيق من نصيب عيسوي الذي خرج من مكتبها يزفر بضيق ولكنه لم يعد لمكتبه فثمة أمرٌ مُلحٌّ شعر أنه سيحتاج مساعدة بشير فيه، فقرر طرق باب مكتبه ودخل وجلس، ودون مقدمات طويلة قرر التودُّد بل التحدث بكل أدب:

– ممكن مساعدة؟

– خير يا باشمهندس عيسوي؟

وكاد يتوقف قلب بشير عندما قفز عيسوي فوق مكتبه وأمسك بيده مترجيًا:

– أبوس إيدك يا بشير قولي كلمتين اكتبهوملها، أنا مبقيتش عارف اعمل معاها إيه، دي هتجيب أجلي.

– مين دي.

– شجن.

– شجن مين.

– بنت عاوز أخطبها.

أمسك بشير بيد عيسوي يربت عليها ثم طالبه بالجلوس بمقعده، ولم يفهم مقصده إلا عندما حدد: عايز بيتين شعر من اللي محدش بيفهمهم دول، يمكن تكون مثقفة وعميقة ويكون ده مدخلها.

– أيوه بس أنا مالي بحاجة زي دي، آسف يا باشمهندس معتقدش إني هأقدر أساعدك.

"بجد"؟

قالها عيسوي ببالغ الغيظ، وعقد ذراعِيه أمام صدره ثم رفع حاجبه الأيمن وهو يُعقِّب:

– ماشي يا بشير، بس متزعلش لو مدام فيروز عرفت أنك كنت بتكتب لصبا شعر وتحطهولها على مكتبها.

والتفت لينصرف فهبَّ بشير مُسرعًا ناحية الباب ليستوقفه مُعقِّبًا:

– يا باشمهندس عيسوي، استنى بس الكلام أخد وعطا.

– لا معلش أنا مش فاضي، وقت الشركة يا بشير، إلا الشغل، شوف أنا أضيع وقت أي حاجة إلا الشغل.

زاد ترجي بشير وأضاف:

– إنت فهمتني غلط خالص، أنا بس مكونتش عارف أنت محتاج إيه.

تصرف عيسوي بلامبالاة فرضت على بشير أن يمسك يده ليزيد إلحاحه فاستغل عيسوي الموقف:

– لا متبوسش إيدي يا بشير، لا يا بشير أرجوك، متبوسش رأسي طيب يا أخي، ما خلاص يا بشير كفاياك بوس يا أخي.

"بوس"؟

والزعقة كانت من عم مدبولي حين دخل عنوة يطالع الاثنين وكأنه وجدهما في حالة تلبُّس:

– أنتم بتعملوا إيه بالظبط؟

عدل كل واحد منهما من هندامه بينما وضع عم مدبولي الشاي من يده وهو يعقب بتأفف:

– أستغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم، رايحة بينا على فين يا مصر؟

– خلاص يا عم مدبولي، حط الشاي عندك واتفضل.

ظل يطالعهما بنظرات الغيظ ذاتها قبل أن يخرج وهو يردد:

– قال بوس قال؟

– عجبك كده؟

قالها بشير بغيظ وهو يعود أدراجه لمكتبه، يتناول كوبه وقد زادت خيبة أمله، ودون استهانة بضيقه أجاب عيسوي:

– متخافش، محدش عارف غيري، ومحدش هيعرف.

قالها عيسوي واتجه للانصراف فاستوقفه بشير بهتاف:

– استنى.

التفت له فأكمل:

– معاك ورقة وقلم؟

انزوت ابتسامة على شفتي عيسوي فتابع بشير:

– يمشي معاك امرؤ القيس؟

– عميق ده؟

ولم يستطع كتم ضحكته وهو يرد:

– أعتقد أه.

بالردهة كان عم مدبولي يحمل على صينية قهوة مسعود ونسكافيه عبد الشكور وقبل أن يتوجه لأحد مكتبيهما تسمر لرؤيته "لوللا" وقد أتت للشركة"

– مكتب الأستاذ عبد الشكور فين من فضلك؟

سؤال فرض عليه أن يشير فقط لمكان الباب، فلم تنتظر منه مساعدة، فقد طرقت الباب ودخلت وصافحت عبد الشكور بحرارة بينما مدبولي لا يزال على ذهوله، هي المرة الأولى التي يتأكد فيها أن النساء التي تظهرن على شاشات التلفاز حقيقيات.

"وأنا اللي كنت فاكر إني متجوز ست؟"

قالها في نفسه بينما أمره عبد الشكور بالمغادرة لإعداد كوب عصير للضيفته ليتمتم عندها:

"هي الشركة دي مفيش فيها إلا المهندس مسعود؟"

قالها وهو يفتح باب مكتبه ويضع له القهوة ليسمع عندها:

"وصلني الرد منهم بالموافقة، خلال أسبوعين إن شاء الله هاكون متمم الموضوع، ومراتي مش هتعرف إلا في آخر لحظة، أنت عارف لو عرفت هتقلب الدنيا، تحمد ربنا إني عدتلها اللي عملته، أنا ميتلويش دراعي أبدًا".

ظل يطالعه باستغراب وهو يتمتم:

"هيتجوز على مراته؟ هي الشركة دي مفيهاش حد عدل أبدًا".

قالها وعاد للمطبخ يضرب كفًّا بكفٍّ على حال من حوله:

"هو أيه اللي جري للرجالة بالظبط؟"

وربما تتضح الإجابة لو تابع هو كما البقية وعلى رأسهم صبا، الصفحة الرسمية الخاصة بالموسم الثالث للبرنامج العالمي:

{How to be a famous star?}

وقد ضغطت إعجاب على أولى منشوراتها:

"دي الصفحة اللي هتدعم الموهبة اللي هتشارك من مصر، فريد أبو العزم، مستنيين دعمكم ودعواتنا لمصر بالفوز".

وآه لو أدركوا حقيقته، وآه لو عرفوا أن نجم الفيس بوك الصاعد وحديث نص فتيات مصر هو....دعبس سابقًا!

***

(5)

القاعدة الخامسة

(إذا أردت الاستدراج فاصنع طُعمًا بمذاق ساحر، واحرص أن يتم تناوله بشغف).

"هل أخبروكِ يومًا كيف كان اللقاء الأول بين كيلوباترا ويوليوس قيصر؟ كان في قصره يعقد اجتماعا مع قادته يناقش الخطط الاستراتيجية فإذا بتاجر يطلب الإذن للدخول على القائد العظيم ومعه هدية، سجادة مطوية وبحركة خاطفة يبسطها فتظهر كليوباترا، تنهض أمامه بكامل زينتها فتسرق عقله عنوة، جرأة فرضت على القيصر أن يصعق، ولم يعد من بعد هذا اليوم كارهًا للنساء كما كان يُنعت، لقد وجد الساحرة التي أتقنت خيوط جذبه وعرفت متى تشدُّ ومتى ترخي، تمامًا كشهرزاد مع شهريارها، وكلاهما وإلى جوارهما ألف قصة، فرضوا على كل حواء أن تتعلم الدرس الأكثر أهمية؛ لكل رجل مدخل إن استطاعت أن تدركه حواء صار لعبتها".

#اجعليه_لعبة

#كوني_استثناءه

نانسي أبو العزم.

ويومًا بعد يوم يزداد عدد المعجبين بالصفحة، وليسوا نساءً بل رجالًا أيضا، يملؤهم الشغف لرؤية من تكتب تلك الكلمات التي تثير حفيظتهم.

آدم بكل سطوته وجبروته "دمية"، مجنونة معقدة أو على الأرجح ساذجة. ويدور السجال حد تراشق حواء مع آدم وهي تدافع عمَّن تمثلها، أما "عارف" فيطالع كل ما يجري بفرحة، يزفر دخانه فيغطي شاشة حاسوبه حد انعدام الرؤية لدقائق ثم يتلاشى الدخان ولا يتلاشى أثره.

"ستظل الرؤية مشبوشة طالما كان اختيارك هو السوشيال ميديا".

***

"الراجل لو حس بالأمان ناحية مراته فإيه اللي هيمنعوا أنه يخونها، أوعي تكوني ست خايبة، أوعي تحسسيه بالراحة أو تحطيه في حالة سلام نفسي فيدور على ست تانية، استرفيه، اتعبيه، اهكيه، وساعتها لا هيكون عنده وقت ولا طاقة يبص برة".

منشور فاق كل التوقعات في حصد إعجابات لا حصر لها، كونه طرق على ضعف حواء واستفزازها.

حالة انبهار قصوى بمن ستجلب لكل النساء حقوقها، ومن هي رنا لتقاوم وكل النساء قررن أن يكن كليوباترا بل بدأن في سرد تجارهن عن تلك الليلة الخاصة.

#كوني_له_كليوباترا_يكن_لكي_يوليوس_قيصر

"دكتورة نانسي أنا سمعت أنها كانت بتستحمى باللبن، عندي نص كيلو قطع ينفع للحمى بدل ما ارميه؟"

"أه، طبعًا".

"أنا غسلت السجاجيد كلها وكل يوم هاستخبى في واحدة".

"برافو".

وحسمت رنا أمرها، أودعت أولادها لدى والدها، وبدأت خطتها.

غلالة قصيرة براقة ذهبية، مكياج بكل درجات الذهبي، وأخيرا كيس جليتر بـ **75** قرشًا نثرته على شعرها وجسدها ووجهها وهي تُعقِّب:

– ملكة ملكة، يخرب بيت الإطلالة.

والاختيار وقع على سجادة الصالون كونها الأكبر وتعقيب منها وهي تختبئ بها:

– يكش يطمر.

"معقول"؟

والتعقيب في عقل عبد الشكور وهو يقود سيارته بطريق العودة، يفكر في عرض لوللا المغري:

"مدير أعمالها مقابل خمسة آلاف جنيه شهريًّا".

ألا يستحق المبلغ التفكير، على الأقل سيملك القدرة على تدبير مصروفات ابنته المدرسية!

وحانت اللحظة..

عبد الشكور **vs** كيلوباترا.

دخل فوجد السجادة مطوية فأدرك أن رنا كالعادة تركتها هكذا كي يقوم بتنفيضها.

زَفَرَ واتجه ليبدل ملابسه بينما استعصى على رنا الخروج لتفاجئه، حمل السجادة واتجه بها للشرفة مستغربًا ثقلها وقد جلب المنفضة، تأنَّت، تلوت، وقد فهمت؛ عبد الشكور سيقيم حفلًا لو عرف أنه على عتبات قذفها في الشارع.

"استنى استنى متفتحش السجادة طلعني الأول".

"بسم الله الرحمن الرحيم".

والصوت الخارج من داخل السجادة صدمه، ففرض عليه أن يتركها من يده فجأة لتسقط أرضًا:

"إآآآآآآآآآآآآه"

وصوت أنين قوي تَبِعَه صوتٌ لا يكاد يخرج، وبات واضحًا وضوح الشمس سر ثقل السجادة:

"حرامي"!

وجاء لقضائه فعبد الشكور قرر ضرب السجادة بكل ما امتلك من قوة، ضربت كيلوباترا بالمنفضة.

وحين شعر بالانتصار سحب السجادة للداخل وفتحها ليصدم حين رأى رنا وقد تورم وجهها وبدت الكدمات واضحة فصرخ:

– رنا؟

ارتمت أرضًا وقد كُسرت يدها اليمني والتَوَت رقبتها وقرَّر الطبيب أن عليها المكوث بالفراش مدة أسبوع.

***

نسخت المكتوب بالمنشور ثم وضعته بالمحادثة التي تجمعهما عبر "الفيس بوك":

"آدم اعتاد أن يضعه الجميع موضع المسؤولية، الجدية، صورة ذهنية عن الرجولة تحمل بين طياها العقلانية، وكلمة السر هنا "الجموح" إذا استطاعت حواء أن تجعله بصمتها، عندها سيكون أسيرًا لكلامها، وأفكارها، وأحلامها، حتى نبرة صوتها، شعور إلى جوارها بالخطورة هو لا يحيا معها المغامرة، بل هي مغامرته الكبرى".

– اعملي لايك لصفحتها يا شجن دي رهيبة، كلامها في الجول، يكفي أن الرجالة كلهم بيشتموها، ولا كمية الريبوتات اللي على صفحتها، ادخلي اقري بوستاتها بس، مش يمكن تنفع مع عيسوي؟

اقريلها

تابعيها

اسمعي كلامها

وآآه من "الإلحاح" إنه أحد أهم أيقونات الإقناع، حتى لو كانت الكلمات بخلاف المنطق.

المنطق! وأي منطق في كل ما حدث منذ أن وصلت رسالة الأستاذ عيسوي لهاتف والدها وتقابلا وازداد إعجابه به؟ بل يا للقدر حين اختار أحب الأبيات الشعرية لقلب والدها أستاذ اللغة العربية ليُحدد موعد جديد يجمع عيسوي بأسرتها، ولكن هذه المرة اختلفت نتيجتها كون فاطمة قد قررت الرفض على إثر ظهور عريس أفضل.

ليتروي عيسوي في غرفته حزينًا من بعدها حتى أنه ما عاد يشرب "شاي بلبن".

***

"لأن الانطباعات الأولى تدووووووووووم".

كان عليه أن يظهر في صورة فحل بعدد لا بأس به من العضلات المتفرقة في أنحاء جسمه كافة، والفحولة لم تعد أدبًا فحسب بل باتت أيضا "هز أكتاف"، أكتاف وخصر وركبة على إيقاع أحد أشهر الأغنيات الهندية بعدما استبدلنا الكلمات الهندي بأخرى مصرية:

"عيني عيني يا ليلي يا ليلي"

"ويلي يا ويلي من عيونه السود اه يا ويلي"

ااااااااه ااااااااه اااااااااااه

اااااااااااااه ااااااااااااااااه

"هو الحب يا ناس كده ليه، أنا قلبي وقع ولا سموا عليه"

"هيييييييييح"

وإذا ذُكر الهيييح ذُكرت "صبا".

كانت تشاهد الفيديو ربما للمرة الخامسة، شاردة وتتلاعب بإحدى خصلات شعرها، ولن تنكر أنه النموذج الأقرب لفارس أحلامها، بطوله وعرضه وارتفاعه وانقلاب مواقع التواصل لإجله.

وآآه من الإبهار، فهو ليس أحد أهم أيقونات الإقناع فحسب، بل أضف إليه أنك ستُصدِّق ما ترى حتى قبل إعطاء عقلك الفرصة ليفكر فيما يُبصر.

"عايزين أكبر عدد يكون مع فريد في المطار وهو مسافر للبنان، لأنه هيمثل اسم مصر، ويا ريت واحنا رايحين ميكونش معانا غير أعلام مصر وبس".

ولم تملك إلا ضغط إعجاب على المنشور وفي نيتها هي أول من سيذهب.

{Branding}

أو العلامة التجارية.

قالها فاستوقف طلابه ثم أردف:

– والموضوع ده مهم جدًّا بالتسويق، إزاي شركة أو تاجر يستخدم الدعاية لصالحه، وإزاي يملك علامة تجارية معتمدة.

ودون انتظار تعقيبٍ من طلاب الفرقة الأولى بكلية الإعلام أكمل دكتور بغدادي الشرح:

"في البداية خلونا نتكلم عن أشهر البراندات اللي قدرت توصل المستهلك أنه يتعامل مع المنتج باسم الشركة وكأنه ده اسمه بالفعل

حد يقدر يقولنا أمثلة:

– كلينكس.

– تمام، إحنا بنقول على كل المناديل الورقية كلينكس رغم أن ده اسم الشركة المنتجة وليس المنتج، إيه تاني.

(بامبرز، رابسو، كوكاكولا).

وانتهى المطاف عند الدكتور بغدادي بتعقيب:

– تمام، وفي أمثلة أكتر ومن هنا هنسأل إزاي تعمل براند معتمد عن طريق الدعاية وهنتكلم عن الفرق بين {Neuromarketing} و

{Behavioral Marketing}، التسويق العصبي والتسويق السلوكي.

وبينما انهمك الدكتور بغدادي وطلابه، كان هناك من قرَّر انتظاره بمكتبه!

"معنى كلام حضرتك يا دكتور إن في تجارب اتعملت بالفعل على مدى استجابة المخ للإعلانات والعلامات التجارية".

ردَّ الدكتور بغدادي:

– أكيد وأشهرهم تجربة لـــ"ريد مونتيغ" اتعملت سنة **2003** واسمها "تحدي البيبسي".

"التجربة مستوحاة من إعلان تلفزيوني قديم لشركة بيبسي كانت بتطلب فيه من الجمهور المفاضلة بين عينات عشوائية من(بيبسي) و(كوكا كولا) لكن من غير ما يعرفوا همّا بيشربوا إيه!

وحسب الإعلان كانت النتائج غالباً في صالح (بيبسي).

الإعلان كان حيادي وفعلًا بتكرار التجربة بيبسي دايمًا كانت بتكسب لكن رغم كده عمر مبيعات (بيبسي) ما عدت مبيعات (كوكا كولا) في أميركا.

ومن هنا جه السؤال اللي دفع الدكتور (مونتيغ) لإعادة التجربة "ليه الناس دايما بتشتري الكولا مش البيبسي رغم أنه وفق التجربة شايفين طعمها أحسن؟"

اللي زاد المرة دي هو أنه قام بمراقبة نشاطات أدمغة الأفراد الخاضعين للاختبار وتسجيل معدلات تدفق الدم لأقسامها المختلفة بواسطة جهاز الرنين المغناطيسي والنتايج كانت كالتالي:

"في حال تجاهل هوية المنتج الأفضل طعمًا يكسب لكن في حالة إظهار هوية المنتج كان الإقبال على كوكاكولا تاريخي".

والتفسير كان باختلاف مناطق الاستجابة في المخ في حالة الإفصاح عن أسماء المنتجات، وده لأن المكان اللي حصلت فيه الاستجابة في حالة كوكاكولا كان المكان المسؤل عن الذكريات والمشاعر والعواطف، أما في حالة بيبسي فالمنطقة اللي استجابت كانت المكان اللي بيستجيب في حالة الحصول على جوايز أو إتمام مهمة أو وجود حافز، ومن هنا نوصل لأهم نتيجة في الدعاية لأي منتج"كله بالحُب".

وتعالت ضحكاهم ولكنه لم يضحك، قال الجملة التي لطالما كان يعقب بها على صبا وهي تقرأ روايتها!

كان إسماعيل ينتظره، يحتسي فنجانًا من القهوة وقد قرر أخذ الخطوة الأولى نيابة عن بشير عملًا بنصيحة مها:

"أنت حطه قدام الأمر الواقع واتعرف على أبوها وادخل رسمي".

ولأنها محقة كان هذا ما فعله، ليتفاجأ أنه أمام بغدادي، ابن جاره السابق بالحلمية فهتف بفرحة:

- بغدادي؟

- حاج إسماعيل، إزيك يا راجل يا طيب.

وبعد سلامات وأحضان ومصافحات كان الجلوس، والذكرى لأيام الجيرة في الحلمية إلى جواره ليسمع حكاياته وغناءه:

- إحنا لازم نتغدى مع بعض النهاردة.

- الجايات أكتر من الرايحات مين عارف مش يمكن نبقى أهل عن قريب وساعتها هيبقى غدا وعشا.

والاستغراب عاد ليفرض نفسه فأردف إسماعيل بمباشرة:

- أنا جاي أطلب منك إيد صبا لحفيدي بشير قُلت إيه؟

"يااااااااااااه"!

وأخيرا عريس كما يتمنى بعيدًا عن ما يجلبه الفيس بوك، رجل من أصل طيب وعائلة محترمة، لكنه لم يفرح ومع صمته عقّب إسماعيل:

- عارف، لازم تأخد رأي صبا طبعًا.

ولم تكن تلك وحدها مشكلته، بل ثمة مشكلة أكبر، إذ كيف له أن يخبر صبا بأن هناك عريسًا يسكن بالحلمية واسمه بالكامل "بشير خليل عبد الجليل"؟

وما تيقنه بشير أنه بانتظار رفضها لكن سرعان ما خالفت النتيجة توقُّعاته، كون بغدادي قد اتصل به مساء اليوم التالي ليخبره:

"صبا موافقة".

وما لبث إسماعيل أن وضع الهاتف من يده حتى احتضنه بكل ما امتلك من فرحة:

"يااااه هيعيش وأشوفك عريس، بعد ما كنت بتعملها عليا"!

والفرحة فرضت نفسها وبقوة رغم أن بشير لم يكن يصدق موافقتها، حتى عادت الزغاريد لتدوي من حوله، لتؤكد عندها أمرًا واحدًا لقد أصبح عريسًا.

***

بعد مرور أسبوع

هل من الممكن أن يتغير الواقع، أو تتغير اللحظة، نعود للوراء عدة أعوام نغمض فيها أعيننا ونحلم، بل لا نستيقظ أبدا!!!

"خلاص مسافر يا مسعود".

وحبست الدموع بعينيها وتظاهرت أنها لا تبالي وهي ترى تذكرة سفره مجاورًا لها الباسبور وقد تحدد الموعد، صباح الجمعة القادمة

وانزوت عنه لا تتكلم، وكلما حاول امتنعت، صامتة بل مخروسة، وما زلت تحت تأثير الصدمة وغادر هو في الصباح متجهًا للشركة، إنه اليوم الأخير لمسعود معهم بعدما قدم استقالته منذ عدة أيام، مقررًا الوجود فقط بشكل صوري.

جَمَعَ ما تبقى له في حقيبة صغيرة، وقد حانت لحظة مغادرته، ليجد بشير وعيسوي وعبد الشكور وعم مدبولي على أعتاب باب مكتبه، وصبا لم تكن لتأتي لأنها تكره الوادع ولا تحبه:

"نشوف وشك بخير يا مسعود".

"هتوحشنا والله يا مسعود".

"إن شاء الله ربنا يكرمك ولما ترجع تنزل مصر ابقى خلينا نشوفك".

محقة درة في أن الأمر ليس بهين، ربما هي المرة الأولى التي يستوقفه فيها إدراك أن غيابه من الممكن أن يشكل فارقًا مع أحد، بل هي المرة الأولى التي تختبر فيها عينه رقرقة الدموع إلى حد تشويش الرؤية في نظارته.

"ما تصلوا ع النبي يا جماعة".

وكان التعقيب من عيسوي حين رأى التأثر في عين الجميع وعندها تدخل مازحًا:

- بقولكم إيه، إحنا نتصور واحدة سيلفي مع بعض ونبقى نسميها "الموظفون في الأرض".

ووافقوا فأخرج عيسوي هاتفه الخلوي رفعه لأعلى قدر المستطاع، وكانت الضغطة والصورة والبسمة وذكرى أربعة باتوا ثلاثة.

كانت ليلته الأخيرة وما زالت درة غاضبة، أعدَّ كل شيء وما إن انتهى حتى جاور درة ثم قبل رأسها، أشاحت بوجهها وقد انهمرت دموعها، فأمسك بوجهها بين يديه وعقب: متزوديهاش عليا يا درة، متوجعنيش قبل ما امشي.

– وأنت متحسسنيش أني مهمة لأن الحقيقة مش كده، أنت لويت دراعي يا مسعود، حطيتني قدام الأمر الواقع وعايزني أفرح.

قالتها وصمتت، وهو نكّس رأسه ولم يُعقِّب حتى زاد بكاءها فقال:

– مش هاقول مين فينا غلطان، لكن فكري معايا، أنا بأعمل كل ده عشانكم.

ودون مقدمات ضَمَّ رأسها إلى صدره فلم تجد بُدًّا من العناد فتهاوى كبرياؤها، حتى كان الصباح وكانا بطريقهما لمطار القاهرة، وكان الزحام على أشدِّه.

– هو في إيه النهاردة؟

سألت فأتاها الرد من أحدهم:

– مستنين فريد أبو العزم

ورجَّل مسعود وزوجته لداخل المطار بينما وصلت سيارة فريد، علا الهتاف بمجرد وصوله وقد ارتدى فوق قميصه علم مصر،

الصحافة هنا تتابع عن كثب، وعارف كأب روحي هو من تحدث لهم وقد اقتضب في كلماته قدر ما استطاع.

وضع مسعود حقائبه للتفتيش وما إن انتهى حتى نظر لدرة قبل المرور من البوابة لإنهاء أوراقه.

"خلي بالك من البنات، في فلوس هتلاقيها في درج المكتب وأول ما اقبض هابعتلك، ادعيلي يا درة".

شدَّدت عندها على قبضة يده وجاهدت ألا تبكي وهي ترد: سبق وقُلتلك بطل تشيل الهم، ربنا هيدبرها، طمني عليك لما توصل ، ده كل اللي يهمني.

- أنا بحبك قوي والله العظيم.

قالها وشدد عليها وسحب يده رغمًا عنه والتفت راحلًا تتبعه عيناها في صمت، اتَّجه للبوابة وما إن التفت حتى أدرك أن درة قد تاهت في الزحام ومع التفاتته والتدافُع سقطت نظارته، وسط جموع تسعى خلف فريد وجموع تسعى لحمايته، وما إن انحنى ليجلبها حتى دعسها أحدهم بقدمه فتهشمت ولم يبالِ أو حتى يلتفت ليعتذر بل أكمل سيره بجوار فريد دون مبالاة بما فعل.

"أنت أعمى ومش بتشوف".

وكلماته فرضت على عارف أن يلتفت مستغربًا، لكنه هز كتفيه بلا مبالاة ولم يعِره انتباهًا ورَحَلَ، ولولا النداء الأخير لطائرة الرياض

ما كان لمسعود أن يصعد للطائرة، وبجوار النافذة كانت النظرة الأخيرة

"هنا القاهرة".

ولا يدري مسعود أهي نظرة عتاب أم شوق، أم هي بين الاثنين حائرة.

وبالطائرة المتجهة للبنان كان عارف بجوار فريد، يطالع ذات المدينة متسائلًا

هل ستنجح التجربة؟

***

(6)

القاعدة السادسة

(أعد صياغة الثوابت وفق أهوائك، فإن لم ينجح الخطأ يَكفِلكَ تلاشي الصواب).

حين يبدأ العرض احرص على جذب الألباب قدر استطاعتك، اضرب الأرض بقدمك، حرِّك كتفيك وذراعيك بتناغم مع وقع أقدامك، بعدها ارفع يديك لأعلى، ثم ابدأ في القفز ثم توقف.

تصفيق تصفيق تصفيق.

"رقص الزومبا، غني الزومبا، عرض مبهر بل يزيد، صرخ أول صفق ثان وهذا يشيد، عرض رائع، عرض ساحر، عرض شديد، والآن اعلُ بصوتك، كرر، اصرخ، اهتف:

"عايزين فريد، عايزين فريد، عايزين فريد".

أجواء فرضت على المطربة اللبنانية الوقوف والضغط على الزر الذهبي فتعالى الصراخ، ثم تحركت لتصعد على المسرح، احتضنت فريد، وقبّلته ثم عقّبت:

- عن جد بتاخد العقل، ما توقعتك هيك، يا زلمة، فريد وأنت فريد.

زاد التصفيق فحيا جمهوره بعدما حصل على الزر الذهبي، وقبلة ذهبية:

"اهي دي الستات بصحيح".

والتعقيب من عبد الشكور بعد تدقيق بفستانها الذهبي، فرض على رنا التعليق:

- سمعاك، والله وجياليك.

والهتاف من رنا الموجودة بالمطبخ فرض عليه تغير القناة لبرنامج "مساء الأنوار" حقنا للدماء.

لكن بدا أن الليلة لن تمر بسلام كون كتري سألته عن أسباب حواره الجانبي مع مدرستها أيتن باللحظة التي أتت فيها رنا لتجاوره فابتسم وهو يتنحنح وربت على كتف ابنته هاتفًا:

- حبايب بابي مش هيناموا ولا إيه؟

رمقته رنا بنظرة نارية فتمتم:

استر يا رب.

ثم سحبت الريموت من يده وأعادت برنامج المسابقات لتشاهد نجم الموسم معُقّبة:

"هييييييح".

فالتفت لها بصدمة كونها هائمة بذلك الوغد "فريد أبو العزم":

- أنا مش فاهم، فيه إيه زيادة عشان الشو ده كله؟

- فيه أنه أرجل واحد في البلد دي.

- نعممم.

قالها مصدومًا فأكدت:

- شايف بيتصرف مع المطربة بتاعة لبنان إزاي؟

- دي تصرفات واحد سافل.

"هه"!

ضحكة هازئة فرضت عليه الضيق والغيظ لإدراكه أن زوجته باتت ترى الوقاحة والرجولة وجهين لعملة واحدة، فتركها وقد قرر حمل كتري وتيم إلى سريريهما وقد وضع قبلة على جبين كل منهما، ومع تمسك كتري بوجوده إلى جوارها جلس شاردًا وقد شعر بأن رنا قد توجهت للنوم، أيعقل أنها صامتة رغم تفتيشها المتواصل بهاتفه وكل أغراضه، ألن تسأله عن مكالمة أيتن فيخبرها أن ابنتهما بالحضانة منطوية وتتصرف بعدوانية، أو مكالمات لوللا فيخبرها أنه وافق على عرضها وأنه الآن يعمل معها!

***

هي موافقة أو هكذا يبدو، لذلك سيقنع عقله أن تهربها المتواصل منه خجل لأن الخطوبة لم تتم بشكل رسمي؛ لذلك حددوا الموعد وشددت هي على يوم الجمعة، والسبب صدم والدها، تتابع برنامج

فريد الخميس ولا تريد تفويت الحلقة، وأمام حاسوبها شردت في أحد فيديوهات فارس أحلامها، ولكن مَن هي لتقابل فريد أبو العزم أو تراه عن قرب، أو يحبها أو حتى يُعجب بها.

"الروايات نقراها أه، نصدقها لاء".

والجملة من الدكتور بغدادي لابنته التي احتضنها، فكري واستخيري في موضوع بشير، بدون تسرع، لكنها حسمت الموقف بالرفض، فبشير أبعد ما يكون عن طموحاتها.

والتدخل كان للدكتور شكري صديق والدها وهو يضع صبا أمام الحقيقة المُرة:

"كانسر وفي المراحل الأخيرة، ده غير إن باباكي رافض العلاج".

وأمام ذات المرض ستُعاد الكرّة، ستقف صبا عاجزة لا تملك حيلة إلا دموعها، فَقَدَت والدها والآن والدها!

ولكي ترضيه وافقت وادعت أنها سعيدة لتسعده، وتم الإعداد للخطبة وقرر بغدادي أن تكون بالحلمية.

قرار أزعج بشير خشية أن تتضايق صبا وتفترض فيه البخل ورغم حرصه على رضاها، قلبها لم يخفق له بل شاءت الأقدار وخفق لغيره....فريد.

وها هي الحلقة الجديدة ولن تنسى صبا متابعتها، صَعَدَ فريد على المسرح وسط تصفيق حاد، وقد بدأ صوت الموسيقى في الخلفية، تجاوره موديل وقد بدأ رقصه.

خطوة لليمين توازيها أخرى لليسار، ممسكًا بيدها لتدور، يبعدها يقربها وتكاد تتلامس شفاههما ثم تبتعد ثم تعاد الكرة، يحتضنها يحملها ويدور بها وهي بين يديه، حتى بالنهاية تقف فوق كتفيه.

تصفيق تصفيق تصفيق.

"رقص التانجو، غني التانجو، عرض مبهر بل ويزيد، صرخ أول صفق ثانٍ وهذا يشيد، عرض رائع، عرض ساحر، عرض شديد، اصرخ اهتف من جديد:

"عايزين فريد، عايزين فريد، عايزين فريد".

– لو فاز هياخد مليون دولار.

قالتها اعتماد مع مصمصة شفتيها ليرد إسماعيل:

– ما احنا فلوسنا كتير مش عارفين نوديها فين.

ترك بشير كي بدلة عرسه والتفت ليطالع الشاشة موجهًا تعقيبه لجده:

– طيب أوعى تتريق عليه قدام صبا أحسن تزعل.

وتعليقه فرض الضيق على اعتماد فمطت شفتيها وكادت أن تعقب إلا أن نظرة إسماعيل النارية ألجمتها فصمتت وهي تحدد:

– أنا رايحة أعمل شاي.

– أحسن برضو.

قالها إسماعيل ثم تابع الحلقة وأردف:

– بقى ده هيأخد مليون دولار، ده دعبس يوم ما كنت اتمعظم كنت.....

"دعبس"؟

وكلاهما هتف بها وقد حدقا إلى الشاشة، ثم حدقا إلى بعضهما البعض ثم عادا ليحدقا إليه:

– مش ده دعبس؟

– لا طبعًا، ده يبقى أخو الدكتور ده اللي..........

– بتاع القرد.

وكلاهما ملأه الاستغراب حد تعقيب إسماعيل وقد رفع حاجبه من فرط الدهشة:

– عارف.

***

"تاني تاني تاني".

أخفض رأسه إجلالًا لتقدير المتابعين وقد ترقرقت عيناه بالدموع وما إن تأكد أن وجهه سيبدو باكيًا حتى رفعه وهو يضم يده اليمنى فوق قلبه ثم أشار بها إليهم فزاد هتافهم، كل لجنة التحكيم قد تأثرت والموقف بات محمومًا بالمشاعر، فاقترب من الميكروفون وقرر التحدث

عن العظيم الذي كان سببًا في نجاحه ودعمه، وعندها حانت لحظة صعود عارف على المسرح، وقد اقترب منه فريد مقررًا الانحناء حد قرار تقبيل قدمه، والتصفيق بات اللغة العليا والدموع ما عاد أحد يملك القدرة على السيطرة عليها، فمنع عارف رأسه من الانحناء، ثم دفعه إلى صدره بحنان أبوي مفرط، بكى فريد، بكى عارف، وبكت لجنة التحكيم.

وحين عرضت هذه الحلقة على التلفزيون بكى المشاهدون جميعًا.

***

ليس كل ما تربينا عليه صوابًا، وليس كله خطأ لكن الكارثي بحق أن يتشوش كلاهما بمرور الزمن، علمونا بالمدارس أنه إن تذاكر تنجح، وإن تجتهد تَجد، وهو الآن بات أمام الحقيقة العارية، ذاكَرَ، تفوَّقَ، كدَّ، كدحَ والنتيجة بلح.

وصراخه كان ملء السمع، المهندس المصري القادم منذ أيام يثير الشغب.

- أقسم بربي أنا هنا يا قاتل يا مقتول، يا أما العقد اللي اتفقنا عليه من مصر ياما والله حطربقها على دماغتكم.

قالها وهو يسحب كفيله من جلبابه ويجره، وأمام شعوره بالمهانة أمام عماله دفع بمسعود عنه وما إن عاود الوقوف قبالته حتى صفعه، ثم زعق فيه:

- كل تبن، كل هوووا، أجولهالك بالمصري حجك، أعلى ما في خيلك اركبه.

قالها وأولاه ظهره منتظرًا من مسعود الخروج، ولكن إلى أين؛ إلى السكن الجماعي الذي وجد نفسه فيه بعدما كان الاتفاق على سكن مستقل، إلى الرضا والقبول بالعمل المؤقت كعامل لأنهم بحاجة إلى عمال لا مهندسين، بل المرتب المبتور نصفه لأنه لم يعد المهندس، كل الأحلام تهاوت لا بل انهارت، ثم اكتمل المشهد بمهانة:

"عجبك تعيش عجبك مش عجبك هوينا".

"خلاص يا مسعود، اعتذرله وبوس رأسه وهو هيسامحك، وكل عيش يا أخي".

والجمل كانت من حوله تتناثر من بعض الموجودين بمكتب الكفيل وقد أرادوا التدخل لمساعدته، لكنه شارد صامت واجم ويده مكان الصفعة.

لِمَ طافت كل الذكريات المريرة على عقله الآن؟

دقيقة، اثنتان، ثلاث، ثم صوت صفعات توالت والتعقيب خرج من مسعود لكفيله متحديًا:

- قلمين قصاد قلم.

***

وتعالت الزرغاريد لتسمع كل الحلمية، أن اثنين من أبنائها باتا اليوم عروسين، حسن بجوار مها وبشير بجوار صبا.

فرح شعبي بالحلمية، بمواصفات أبعد ما تكون عن حالمية صبا، وها هو صاحب المقهى يقف لتحية أبناء منطقته. أجواء فرضت على عيسوي الذي أتى لتوه الضحك، وقد اتجه ناحية إسماعيل ليصافحه، وبجواره كانت والدته لا تبالي إلا بالنظر باتجاه كل البنات والسيدات علها تجد لابنها العروسة المنتظرة.

- بتدوري على حاجة يا هانم؟

"هانم"؟

والجملة فرضت على مشيرة الالتفاف لإسماعيل وتحيته وقد أسعدها الكلمة، ليُعرف بعدها إسماعيل نفسه بل يسعى لفتح حوار معها فلم يملك عيسوي إلا أن يسعل وهو يعقب:

- إحنا مش هنقعد ولا ايه يا حاج إسماعيل

- ما تقعد يا ابني هو أنا ماسكك.

ثم أتت إشارته لمشيرة للتتجه ناحية بناته وتجلس إلى جوارهن، وحانت لحظة خاصة بإسماعيل حين صعد على المسرح الخشبي، سيثبت للجميع أنه قادر على التخلي عن عصاه بل الرقص بها أيضًا، إسماعيل لا يزال بعزِّ شبابه، بل يعيد أيام الشقاوة، رقص بعصاه وبعد دقيقة جاوره بشير، وحسن ثم عيسوي، وأخيرا عبد الشكور.

"شوية رقص بربع مليون جنيه، حد يصورنا ويرفعها ع اليوتيوب بقى".

والتعقيب من إسماعيل فرض عليهم الضحك وهو يكمل:

- وأزعق وأقول: "احنا في زمن الهلس".

والهلس إلى جوار المحن بالقرب من السهوكة حد المحلسة على ما يبدو قد باتوا أطراف المعادلة.

***

تم رفض عيسوي والعريس الذي تلاه، ومن ثم تقدَّم حسام لشجن وتمت الموافقة، زميلها بالعيادة التي تعمل بها والتي يملكها والده وأغلب الاتفاقات المادية راقت لفاطمة.

ولم تملك شجن إلا التظاهر بالموافقة لترتاح من إلحاح والدها مقررة أنه بأقرب فرصة سيلحق حسام بمن سبقه.

وعيسوي عرف منذ اليوم الأول، من منشور كتبه حسام بصفحته لتغيير الحالة لتكون:

شجن المصري in relationship with

وانهالت التبريكات من أقارب وأصدقاء وفلورز.

وكان المنشور هو مجرد بداية لما أتى بعده.

فباليوم التالي كان من نصيبها tag وعدة صور لمصوغات ذهبية وسؤال لمتابعي الصفحة عن أفضل جواهرجي، لتدرك عندها أنها هي من ستموت كمدًا من تصرفاته وهو العاشق لاستعراض تفاصيل حياته على الفيس بوك، ومشاركة الجميع كل ما ينشر، وها هو منشور جديد يضعه ولن ينسى مشاركة شجن.

"المتسابق الأقرب للفوز يتحرش بالمطربة اللبنانية".

"مصيبة، كارثة، فضيحة".

ومعها انقلبت مواقع التواصل الاجتماعي، وتولى الجميع أمر الدفاع عنه، وصبا كانت أولهم، بل لقد وصل الأمر لدعوات بتدخل السفير المصري لحل الأزمة.

"سمعة مصر من سمعة فريد، وأي إساءة لنجم مصر هي إساءة لكل المصريين".

وحمدًا لله؛ فلقد وعد السفير المصري بأنه بالفعل سيتدخل.

"ابقى قابلني لو حد من السفارة عملك حاجة، آخرك هتترحل وعمرك ما هتقدر تشتغل في السعودية مرة تانية".

"في حد يضرب كفيله، كويس أنه مقتلكش، ولو جت ع الترحيل يبقى كده تحمد ربنا وتسكت".

وما زالت الآراء ذاتها تتناثر من حول مسعود، وهو يهتف فيهم بسؤال أين حقي، والإجابة عن سؤاله بسؤال عن أي حقوق تسأل.

والقنصلية بدورها قررت عقد مؤتمر صحفي،واجتمع الصحفيون وتحدث أحد ممثلي البعثة الدبلوماسية:

"فريد بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب، فريد محترم ولم يخطئ".

وتصريحات المطربة بدورها برَّأته، ليرتاح ألتراس النجم الصاعد كونه لا يزال بالمسابقة.

وأما عن مسعود فقد خرج من السكن الجماعي مُقررًا البحث عن أقرب سيارة ليتجه بها لقنصلية مصر بالرياض، لكن ثمة سيارة أخرى كانت تنتظره، انطلقت مسرعة واجتاحته بطريقها وعلى جانب الطريق كان غارقًا بدمه.

وبصباح اليوم التالي كانت المنشتات الرئيسية بكل الجرائد عنوانها:

"الأسطورة المصري لن يرحل".

وخبر جانبي بجريدة هامشية:

"قصة جديدة من قصص دهس المصريين بالخارج والسبب مشاجرة".

(7)

القاعدة السابعة

(لكل فعل ورد فعل جمهور، لن يرى فيه الاستثناء إلا عند استفزاز من اعتاد المتابعة في صمتٍ).

ورغم التبرئة خسر المسابقة، والعجب كل العجب يكمن فإن هذا ما أراده عارف، قدَّم فريد عرضه الأخير وخسر وبكى، وانسحب تاركًا المسرح خلفه، وأداؤه مثالي للحد الذي فرض على مواقع التواصل الاجتماعي أن تنقلب لتؤازر من خسر، والتأكيد بأن ما حدث مؤامرة، ودعوات باستقبال حافل بمطار القاهرة لدعمه وقد استجاب كُثر، مشهد فرض على فريد الذهول وعلى عارف الابتسامة، اخسر كل شيء واكسب "التعاطف".

وآه من التعاطف الأيقونة الأخطر، فأمامه ستُدفع للتصرف بقلبك لا عقلك.

وأيتن كآخرين انصهرت بالزحام تتابع بحزن مجريات الأمر، إلى أين سيأخذنا ذلك الرجل الغامض وزوجته وأخوه؟

حتى اقتطعها صوت هاتفها ليأتيها اتصال من بغدادي لتحديد موعدٍ للمقابلة من أجل رسالتها للماجستير.

وما إن أغلق الهاتف حتى طالع التلفاز ليتابع لحظة وصول فريد للمطار والحزن يأكل قلبه لأن صبا بالتأكيد موجودة بالصفوف الأولى

غادر لمحاضرته ثم عاد لمكتبه، وكانت أيتن بانتظاره، قامت بتعريف نفسها، تعمل مدرسة بحضانة رغم تخرجها من كلية الإعلام، والسبب؟

- محدش بيتخرج ويشتغل بكليته، نفسي أكون صحفية بس حضرتك عارف مفيش شغل في جريدة كويسة إلا بالوسايط.

ورغم ذلك تتمسك بأمل أن الفرصة قد تسنح مع الدراسات العليا.

- وليه اختارتي دكتور بغدادي أيوب، وليه اختارتي موضوع الرسالة يكون عن "self-fulfilling prophecy"

- أنا كنت قريت بحث لحضرتك في مكتبة الكلية، عن دور الإعلام في تحديد اختيارات الناس وتوجههم، والحقيقة اخترت نظرية التوقعات المحققة لذاتها بناءً عن بحث حضرتك، واللي فكرت فيه هو الاستفادة من وظيفتي.

نظر باتجاهها ولا إراديًا قارن بينها وبين صبا بينما هي أكملت:

- وفق النظرية دي لو احنا حطينا تنبؤات لجيل طالع في أي بلد أنه هيكون فاشل وادينا له الميديا اللي تساعده على كده، هل ده معناه أن ممكن أرسم مستقبل دولة بحالها وأبدل هويتها 180 درجة.

سؤال استحق التأمل وفرض على بغدادي التفكير والربط، هل هذا ما يفكر به عارف أبو العزم:

– تحبي نبدأ من إمتى؟

– من دلوقتي لو أمكن.

– تمام، وأنا هأساعدك بكل طاقتي لحد ما البحث ده يكمل ونوصل لإجابة سؤالك.

***

وأخيرا أطلت على شاشة التلفاز في لقاء استثنائي للخبيرة التي استوقفت العقول، نانسي أبو العزم ضيفة ببرامج "الدنيا كده" وقد انهالت الاتصالات على الحلقة والكل يريد أن ينهل من علمها، ما الذي ينبغي على كل زوجة فعله؟

"عجيب أمركن أيتها المصريات، تتزوجن رجالًا لا يستحقون العشرة ثم تتأففنَ؛ ثقن بأنفسكن أنتن تستحققن الأفضل قومي وقفي أمام المرآة وقولي بأعلى صوتك:

"أنا أستحق الأفضل".

وصوت رنا وهي تهتف بذات الجملة فرض عليه أن يستيقظ وهو يضرب كفًا بكف على حال زوجته التي اقتربت من الجنون الرسمي:

"أنا أستحق الأفضل".

- ربنا يهديكِ يا رنا.

- أنا أستحق الأفضل.

- أخر عشرين جنية في المحفظة تأخديهم؟

- أنا أستحق الأفضل.

وظلت ترددها بينما سألته كتري:

- هي ماما مالها؟

ولم يملك إجابة لابنته وقد أتته مكالمة من لوللا فرضت عليه أن يخرج، مقابلة مع المخرج تريد منه حضورها للاتفاق على حملة إعلانات ستؤديها لمركز السراب لتحقيق الأحلام.

- وده جد ولا نصب.

- واحنا مالنا، احنا لينا أنه يدفع تكاليف الإعلانات أنا وأنت ولوللا نقبض، حلو لنفسه وحش لنفسه.

والإجابة منطقية جدًّا فرضت على عبد الشكور الصمت ليتابع بعدها المخرج:

- الجدعنة بقى منك تقنع لوللا توافق ع الفيلم اللي جايلها مع فريد أبو العزم، الفيلم ده لو اتعمل هنتنقل ناقلة تانية خالص، أنا قُلت للمنتج إن الموضوع في إيدك، قال لو عرف يقنعها له عندي الحلاوة.

وطوال طريق عودته كان الحزن يؤرقه، بأي طريق وضع نفسه؛ وضيقه ازداد بعدما قرأ عدة صفحات من الفيلم الذي يحكي عن قصة حياة بلطجي في حارة بالإضافة لعدة مشاهد ساخنة، هل حقًا سيقنعها؟ نظر للمبلغ المالي الذي حظى به للتو بأسًى ثم تابع طريقه، متوجهًا لأقرب محطة بنزين ليصدمه صوت لم يكن بحسبانه:

"مسعود؟"

"أنت بتعمل إيه هنا؟"

والنظرة مكسورة بجوار دموع على ما يبدو تحجرت في عينه، أشاح بعدها وجهه متجهًا حيث مكان مسدس البنزين لملء سيارته دون أن يتفوه بكلمة سوى:

- اتنين وخمسين جنيه.

نزل عبد الشكور ليجاوره وسأل بقلق:

- طيب احكيلي إيه اللي حصل، إيه اللي عمل فيك كده وليه بتعرج برجلك؟

أشاح بوجهه مؤكدًا: أنا كويس يا أستاذ عبد الشكور، متقلقش

وأنهى حواره سريعًا وتركه مع حيرته، ومع انتهاء الوردية عاد لمنزله، أخرج من كيسٍ يحمله سندويتش فول وأكله ثم وضع رأسه على الوسادة وأمنية غالية جدًّا تمناها بداخله، أن يستيقظ ميتًا، عله

ينسى كل ما جرى منذ سفره وحتى عودته، فحماته المصون كانت بانتظاره بالمطار متوعدة بعدما عاد محملًا بخيبة الأمل، ولم تلتمس له أي أعذار، بل راحت تهدده بخيار من اثنين إما أن يشتري شقة ويتمم وعوده لابنتها وإما الطلاق.

"يا فاشل".

أنهت بها حوارها وتركته ورحلت وكأنه ينقصها، حتى درة لم تحاول رؤيته أو مهاتفته وكأن موته وحياته عندها متساويان.

لتتبدل حياته، فيقرر إظهار أسوأ ما فيه، ومع التخلي عن نفسك ستتلذذ أكثر بسيجارة تلوكها بفمك، أو مدية تضعها في بنطالك إن كنت ستعمل بوردية ليلية، والاسم مهندس والتصرفات "بلطجي". وهكذا يكون أخذ الحقوق وإلا فلا.

***

ومنذ اللحظة الأولى اكتشف عمق الاختلاف بينهما، وكل مساعيه للتقرب منها تبوء بالفشل فيعود يجر أذيال خيبته، بينما كلما وقعت عينه على مها قدرًا وجد أن حسن يتودَّد لها وعلى ما يبدو هي سعيدة معه.

"ربنا يوفقك يا مها".

تمتم بها وهو جالس كعادته بسطح منزله بجوار أُصُص مزرعاته ليتفاجأ بمجيء عيسوي لمنزله، فهل فعلها إسماعيل؟

قرَّر التودد لعيسوي لأنه معجب بوالدته؟ قرار صدمهم عندما صرح جده؛ أنه يريد الزواج وبأنه يراها مناسبة!

ظل بشير يطالع عيسوي مندهشًا حتى جلس بقربه وسأله:

– أنت كويس يا ابني؟

زاد استغراب بشير وعندها أكمل:

– جدك فضل يتحايل عليا أجي وقالي إنك متخانق مع صبا.

وقبل أن يرد ظهر إسماعيل ممسكًا بيده صينية تحمل أكواب الشاي بلبن ثم سأل بشير بشغفٍ مُصطنع:

– عامل إيه دلوقتي؟

هل يلعب إسماعيل الدنيئة؟

وقبل أي رد فعل وجد إسماعيل يجذبه من ذراعه ويبتعد به عن عيسوي مطالبًا إياه بمساعدته، الآن فهم، افتعل إسماعيل موقفًا يجلب به عيسوي لمنزله عله يوطد علاقته بحفيده ومن ثَم تسنح له فرصة لطلب يد والدته، وأمام رجاء إسماعيل لن يملك بشير إلا المساعدة.

– أنا هانزل أجيبلكم بقسماط مع الشاي اللي أنا عملته بإيدي.

قالها إسماعيل فسأل عيسوي:

– وأنت عرفت منين إني بحب الشاي بلبن والبقسماط.

- من صفحتك ع الفيس بوك، ده أنا حتى بعتلك الآد، باسم إسماعيل الفولالي.

وانفجر عيسوي في الضحك فعقّب إسماعيل:

- في حاجة يا....يا عيسوي؟

- لا أبدًا يا عم فولالي، هافتح الفيس وأقبله حالا.

تركهم إسماعيل فقرر بشير التودد لضيفه فسأله:

- لقيت عروسة ولا لسة؟

تغيرت ملامح عيسوي للضيق وآثر الصمت متطلعًا للمكان من حوله وعلق:

- حلو قوي بيتكم يا بشير.

قالها وقد بدأ يتحرك في المكان ثم أخرج هاتفه من جيبه لقبول طلب الصداقة فسأله بشير:

- إيه رأيك في جدو يا عيسوي؟

"شخص قذر حقير".

صرخ بها عيسوي ثم أكمل:

- إن ما وريتك يا حسام الكلب!

قالها وكسر أكواب الشاي ودفع بشير وهو يهتف:

- هاقتله، والله لأقتله.

ثم ركضَ مُسرعًا وبشير لحق به وهو لا يفهم ما الذي دهاه ولا حتى إسماعيل بدوره.

- طيب بس حصل إيه لكل ده.

والسؤال من بشير كان بلا إجابة وقد وجد نفسه خلف عيسوي فوق دراجته البخارية ليهتف عندها وقد انطلق:

- أبوس ايدك أوقف، أنا عندي فوبيا من الموتوسكلات.

لكن فات أوان ما أراده فعيسوي لم يكن ليسمعه، وما إن وصل حتى استوقفه أن والد شجن قد سبقه وبالشارع كانت المشاجرة.

فما إن صممت شجن على الرفض بل وضع الجميع أمام قرارها حتى قام هو بنشر منشور ومعه صور لمحادثات جمعتهم، وقد تم تزييفها، مع خاتمة مفادها:

"بنت قذرة، الحمد لله إن ربنا نجاني منها".

ودون بيِّنةٍ شارك منشوره كُثر وكان الطعن بسمعة شجن..

وما فكر به عبد الغفور هو بالضبط ما فكر به عيسوي، فثمة أشياء غير قابلة للتلاعب وعلى رأسها الأعراض، على الأقل إلى الآن عند بعض الرجال، فكان من نصيبه الضرب واللكم والصفع، وقد تكوَّم حسام أرضًا بجوار حائط كان بشير قد استند عليه يحاول

التماسك من شدة الدوار الذي أصابه، وقد زاد تقلُّص معدته فكاد يشير لحسام أن يبتعد إلا أن الوقت لم يسعفه فتلقّى حسام كل القيء فوق رأسه، هل اكتفى حسام ؟

على ما يبدو أن الإجابة لا، كون طفل صغير كان يمر بجواره أراد أن يقضي حاجته فتبول فوقه.

والزعيق كان بقسم الشرطة حيث والد حسام يتحدث للضابط:

– افتح محضر واثبت حالة حسام، وكل اللي اتعرضله حتى البيبي والترجيع.

– حالة إيه اللي اثبتها بريحته دي، طلعوه برة الأوضة، ولا اقعد بيه في الحمام.

– يا حضرت....

– خلاص خلاص.

والإشارة من الضابط للعسكري بفتح المحضر، ثم الإشارة لبشير ليتقدم مجاورًا الضابط الذي سأله عن اسمه وعنوانه، وكاد يجيب لولا شعوره بالغثيان الذي ما لبث حتى فرض عليه القيء فوق المحضر ليهتف أحد العساكر عندها:

– يا باشا ده من ساعة ما جه وهو مغرق القسم.

وهيئته فرضت على عيسوي الاعتذار، بينما إسماعيل قد أتى وأحضر معه محامي الحلمية، فرصة وأتت على طبق من ذهب حين

اختلى إسماعيل بعبد الغفور مقررًا فهم القصة برمتها وما إن أغلق المحضر حتى قرر التدخل وخارج القسم بادر بطلب يد شجن لعيسوي.

ولن ينكر عيسوي انبهاره بإسماعيل:

- أنت إزاي كده يا جدو؟

- تاني هيقولي يا جدو، طب والله...

- ما خلاص يا جدو.

قالها بشير ثم نظر لعيسوي وأكمل:

- وأنت كمان يا أخي متقولوش يا جدو، جدو بيتنرفز من كلمة جدو.

- هو زملكاوي ولا إيه؟

والاستفسار من عبد الغفور لم يجد له إجابة مع تأكيد بموعد جديد بمنزل شجن وقد قرر مرافقتهم.

والدهشة كانت من نصيب بشير فسأل:

- وأنت هتروح معاهم بصفتك إيه؟

ولم يكن إسماعيل بحاجة إلى صفة، كونه قرر أنه سيكون ولي أمر عيسوي وبمنزلة والده.

صباح جديد بشركة الفيروز بدأ بزعيق فيروز بالمهندس الجديد الغبي كما اعتادت نعته، معاملة أيقن أنها الأسوأ فقرر تقديم استقالته، ومع مغادرته فكر عبد الشكور بإخبار فيروز بعودة مسعود، مسعود كان بالفعل كفؤًا ويكفي أن الشركة قد كبرت على يده.

"نزلي إعلان، أما نشوف أخرتها".

زعقت بصبا ثم نظرت لعبد الشكور وقد بدت كالعادة عصبية، فتراجع ولم يستطع إخبارها.

عاد لمكتبه وبطريقه كان عيسوي متجهًا لبشير فاستوقفه وبعد تردُّد عقب:

– في موضوع مهم يا عيسوي عايزكم فيه.

جمعهم مكتب بشير، وقد سرد عبد الشكور ما عنده ثم تطلع لوجههم بسؤال:

– قُلتم إيه، هنساعده ولا لا.

وأغلب الاختبارات الإنسانية قاسية، مسعود لم يكن أخًا أو صديقًا هو مجرد زميل كانوا يرونه في بعض الأحيان متغطرسًا، أحقًّا يستحق مسعود المساعدة؟

– طيب ما نجمع من بعض مبلغ ونديهوله، أصل موضوع نكلم فيروز ده شبه مستحيل.

والكلام من بشير تبعه التعقيب من عيسوي:

– مسعود مستحيل يقبل مساعدة، بالعكس ده هيعتبرها إهانة مننا.

ثم أكمل بوضوح:

– احنا نقدر نتجمع احنا التلاتة زي ما قال عبد الشكور ونحسسها أننا عايزينه يرجع، وهي محتاجة مهندس فعلا فمسعود أولى من الغريب، هه؟

– تفتكر فيروز ممكن توافق.

والسؤال من عبد الشكور كانت إجابته قاطعة من المتردد:

– مين دي اللي توافق دي غالبًا هتنفخنا، ده إذا خلتنا نكمل في الشركة.

ورغم القلق كان هناك رأيان ضد واحد، وبحكم الأغلبية توجهوا لمكتب فيروز، ليعلنوا طلباهم، وعيسوي من تولى مهمة الطلب نيابة عنهم:

"خلصتوا؟"

والسؤال متهكم وقد عقدت ذراعيها أمام صدرها غاضبة ثم أردفت:

– عاملين رباطية أنتم التلاتة، بتجتمعوا وتتفقوا وتاخدوا قرارات، وإيه كمان؟

– يا مدام فيروووز...

– بس يا بشير.

والكلمات بُترِت على لسانه لتكمل بعدها:

– اللي عايز يشتغل عندي هنا يشتغل زي ما أنا عايزة، واللي مش عاجبه يمشي.

– يا فندم احنا شرحنالك ظروفه، ثم هو أولى بشغل الشركة، والشركة محتاجاله.

– مش شركة الفيروز اللي تحتاج لحد يا عبد الشكور، الشركة دي هي اللي بتضيف لكم مش أنتم اللي بتضيفولها، أنتم من غير الشركة دي عواطلية، لا وظيفة ولا مرتب، ومصيركم من مصير مسعود، ويا ريت تفهموا ده كويس، أنتم ولا حاجة من غير الشركة دي.

وكادت تظن أنها أنهت كلامها، لكن رد عيسوي كان المؤكد أن ثمة بداية أخرى ستفرض نفسها عليها، حين فرض ما قالته على المتهور الرد على إهانتها:

– شركة ايه دي اللي بتضيفلنا واحنا من غيرها ولا حاجة.

والزعيق من عيسوي فرض على ثلاثتهم الذهول، ولسان حال عبد الشكور وبشير كان "اصمت" لكنه أكمل:

- حضرتك عارفة، إن الشركة محتاجة لضعف العمالة اللي فيها، وعارفة أن كل ما فينا بيعمل شغل بمقام اتنين مش واحد، مرتب إيه اللي حضرتك بتمني علينا بيه، ده حقنا وأقل من حقنا كمان، حضرتك مش بتتكرمي علينا، بالعكس أنتِ بتدينا مرتب أقل من اللي نستحقه.

- اخرس يا عيسوي.

- خلاص يا عيسوي اتكتم بقى.

"سيبوه، وايه كمان يا عيسوي".

والزعقة من فيروز بصوت حاد ألجمت كليهما وفرضت على عبد الشكور الزعيق به:

"اسكت بقى الله يخرب بيتك".

- لا مش هاسكت، الشركة دي من غيرنا ولا حاجة ومدام فيروز عارفة كده كويس، ومن يوم ما مسعود مشى مش عارفين نجيب حد مكانه، كل اللي بيجي مش بيستحمل يومين ويمشي، ولو استمرينا ع الوضع الشركة اللي هتخسر.

والزعيق يواجهه زعيق حين ضربت فيروز مكتبها بيدها وهتفت:

- أنت إزاي تسمح لنفسك أنك تكلمني بالأسلوب ده، كل ده عشان مسعود يرجع، طيب أعمل حسابك إن أنت وهما من اللحظة دي برة الشركة وابقى خلي مسعود ينفعكم.

والقرار فرض الخوف على عبد الشكور وبشير فحاولا التهدئة علها تتراجع، فزاد زعيقها وهي تلعن وتسب حتى خرج الثلاثة من مكتبها، وجملة واحدة تمتم بها عبد الشكور طول طريق عودته لمكتبه: الله يخرب بيتك يا عيسوي، أنا أستاهل ضرب الجزمة، أنا مالي ومال مسعود ما يتحرق مسعود على بشير، ما تتحرقوا أنتم التلاتة.

والصوت العالي منه فرض على عيسوي أن يركض وراءه ليهتف فيه:

- أنا مكنش قصدي الأمور توصل لكده، هي اللي استفزتني لما أهانتنا.

- ما تتهان يا أخي، هي يعني جت عليها، يا فرحتي بكرامتي المحفوظة وأنا مش لاقي أأكل ولادي، ولا عارف أدفع مصاريفهم، ولا أنت عشان مفيش وراك حد تقوم تضيعنا.

قالها وهوى لأقرب مقعد يسعى لبعض هدوء بينما بقايا دموع تتجمع في عينه، وعندها اقترب منه بشير محاولًا تهدئته مُعقِّبًا:

- هي متقدرش ترفدنا بالسهولة دي، لأنها مش هتقدر تجيب غيرنا بسرعة، خصوصا أن معاد تسليم الوحدات قرب، ولو

مسلمتهاش في معادها في شرط جزائي هتدفعه عن كل يوم تأخير، والغرامة كبيرة؟.

- ولما هو كده مقولتش الكلام ده قدمها ليه يا عم الفليسوف، خفت مش كده.

ولم يجب لأنها الحقيقة التي يخشى الاعتراف بها.

بينما فيروز بمكتبها تكاد تموت كمدًا، موظفوها تمردوا وثاروا من أجل عودة مسعود ولو نجحت ثورتهم قد يتبع ذلك المزيد من المطالب لأنهم أدركوا قوتهم.

"اللعنة"!

لأن ذلك المتهور قد أظهر حقيقة موقفها الضعيف من دون تعمُّد، هي في أمس الحاجة لوجودهم وعلى رأسهم مسعود نفسه، لكن ماذا ستفعل لو أدركوا لحظة أنهم أقوى.

وبعد أن هدأت جمعتهم وقررت:

- خلوا مسعود يجي يقابلني بكرة.

وثلاثتهم لم يكن يصدق حين خرجوا من مكتبها، هل نجحوا حين اتحدوا وكانوا على قلب رجل واحد أمامها، ودون الخوض في تفاصيل انطلقوا لمسعود يحملون له البشرى، بينما هي فكرت: هل من سبيل لكبحهم وترويضهم؟

***

(8)

القاعدة الثامنة

(لكل قاعدة شواذ، لكن لا أحد سيُعيرهم الاهتمام حتى لو كانوا على الحق، لأن القلة لا يعترف بها أحد).

اتجه للمترو يرمي نفسه على أقرب عمود معدني ليستند عليه، زعق بزملائه الثلاثة، وحسم أمره هاتفًا: "لا أحتاج للشفقة أو المساعدة"، استوقفه وجه لطفل صغير يحمله والده، فكادت تدمع عيناه لذكرى درة وبنتيه، لكن تخليها عنه فرض عليه الجمود؛ هي لا تستحق!

بات لا مُباليًا، حتى صاحب الشقة حين أدرك ظروفه قرر أن يكمل عليه بفرض مهلة شهر كي يبحث عن شقة غيرها، فماذا بقي؟

وكعادة كل يوم افترض أنه سيتناول طعامه وينام كمدًا، إلا أن اليوم اختلف، صدمته رؤية درة جالسة على درجات السلم تجاورها الطفلتان وحقيبة صغيرة بها بعض ملابسها وقد غفت.

- درة؟

واحتضنته فلم تجد منه سوى الجمود بمكانه ومطالعتها بغيظ، أهي حيلة منها لطلب الغفران، أم زيارة لتأكيد طلب الطلاق وكسره، أولاها ظهره بمجرد دخوله دون النظر لها أو لبنتيه فوضعتهم على الأريكة المقابلة لها، وقبل أن تتفوه بكلمة التفت إليها بزعيقه:

– جاية ليه يا درة، أنتِ مش طالبة الطلاق وقاعدة عند أهلك، متخافيش ورقتك هتوصلك بمجرد ما اجمع فلوس المؤخر، عايزة إيه تاني؟

صمت بعدما زفر ثم ظل يطالعها، كانت تبكي بلوعة غير قادرة على الرد، لكنه لم يشعر حيالها بالشفقة، بل هو من يستحق الشفقة على كل يوم مر كانت أعصابه تحترق؛ لأنه يُمني نفسه برؤيتها ولو على سبيل المصادفة، اقتربت لتمسك بيده فنفضَ يده عنها وابتعد فقررت هي الرد:

– قبل ما تظلمني اسمعني، مسعود أنا كنت في المستشفى منهارة لما عرفت بالحادثة، وماما جمعت خلاني وعمامي بعد ما خرجت وقالتلهم لازم نطلقها منه، بنتي مش هتعيش مع مسعود بعد النهاردة، أخدت مني مفتاح الشقة وتليفوني وقالتلي هو بايع وما صدق وعايز يطلق، حتى البنات أنت محولتش تشوفهم.

– أمك رفضت يا درة، وأنتِ بعتيني

– قُلتلك أنا كنت لوحدي قصادهم، يا اخسرك يا اخسرهم.

وأنهت كلماتها منهارة وقد زاد بكاؤها، وهوت لأقرب مقعد تدفن وجهها بين يديها، وأمام حالتها كان رده:

– وأنا ميخلصنيش أنك تخسري أهلك عشان خاطري.

جملة فرضت عليها أن ترفع وجهها لتطالع وجهه بذهول وهي تعقب:

- ده كل اللي عندك.

- احنا اللي بينا خلص، سيبك من الحب والكلام الفارغ ده وشوفي مصلحتك.

قالها وأولاها ظهره ليشعل سيجارة، وقد قرَّر التحدث بنبرة باردة وغير مبالية:

- احنا مش أول ولا آخر اتنين يطلقوا، وحقوقك هتوصلك.

ولم يملك الاستطاعة بإضافة كلمة واحدة فصمتَ، فأدركت أن عليها الرحيل.

إلا أن صوت بكاء حور فرض نفسه، طفلتها جائعة والأخرى بدورها استيقظت وعندها سألت:

- ممكن بس أحضر للبنات رضعتهم وبعدها أنزل.

- ممكن.

قالها واتجه لغرفة مكتبه صافعًا بابها خلفه، دقيقة أخرى إلى جوارها وبعدها سيرجوها باكيا كطفل يخشى رحيل والدته وهذا لا يليق به، بعد دقيقة مرت كدهر انفتح باب الشقة وأُغلق؟

رحلت؟

فخرج مُسرعًا يقف بوسط الصالة هاتفًا بأنين:

- درة.

ليلتفت على صوت حور ومن ثَمَ صوت درة وقد خرجت من المطبخ معقبة:

- كنت ناسية الشنطة اللي فيها حاجتهم ففتحت جيبتها.

واللعنة على الجمود والكبرياء والتظاهر بما ليس في قلوبنا، ودون مقدمات وجدته يسحبها من ذراعيها ليضمها دافنًا رأسها في صدره وقد أرخى رأسه على كتفها، دون عتاب أو لوم.

ساد الصمت حتى قالت:

- بلاش تتخلى عني يا مسعود.

- ومين قالك إني أقدر، أنا بس خايف أظلمك معايا.

- الظلم الحقيقي أننا نسمح لحد يفرقنا.

- هتستحملي معايا اللي جاي؟

- أيوة، لأني مهما حصل بحبك.

تأكيد كان في أمسِّ الحاجة إليه، وقد أعاد له الحياة مرة أخرى.

***

ليلة سعيدة بجوار زوجته وطيف أمل لاح في الأفق فقرر معه العودة لشركة الفيروز، وصوت مدبولي وهو يهتف باسمه فرض على البقية الهرولة لرؤيته.

عاد مسعود لموقعه، وانتصرت إرادهم وعاد الرباعي البغيض لقواعد.

اجتمعت هم فيروز بمكتبها وقد حددت لمسعود مهمة إن لم ينجزها بثلاثة أيام ستطرده.

ورغم التحدي نجح، عمل بجدٍّ بل أصلح أخطاء المهندس الذي سبقه، وفي اليوم الرابع كان اجتماعهم؛ وبشير من أدار الحوار يسرد النجاحات ويشرح لفيروز أن كل أخبار اليوم سارة، فكان هذا هو الخبر الأسوأ.

نجحوا!!

ولكي تتفادى ضجرهم تم إلهاؤهم بمكافأة، وحين خرجوا زاد غيظها، فموظفوها خرجوا عن السيطرة أو بالأحرى، ما عاد يتملك الديكتاتور سببًا ليزعق.

***

"مركز السراب لتحقيق الأحلام".

على مشارف الخامسة مساء كانت الاستعدادات لتصوير الإعلان وكالعادة لا يوجد أفضل من لوللا حين ترتدي جلبابًا فضيًّا مُرصَّعًا بالترتر، مزودًا بفتحة طويلة من الجانبين تكاد تصل لخصرها، وموقع التصوير بات أشبه بسطح بناية عشوائية، أمامها قارورة بلاستكية كبيرة يوجد بها قطع ملابس والإيحاء بأنها تنظفها، بجوارها عدة فتيات هي تتوسطهم لتغني، والمتوقع أغنيه لنانسي عجرم، والمسموع أغنية أخرى أكثر شعبية.

وسر المهنة:

"اكسر توقعاتهم"

"وياني ياني ياني .....وهاروح لنانسي تاني"

"ياني ياني ياني ....مش بس أولاني"

هوبا هوبا هوبا

آيييييييييه

أنا جوزي فاكرني طيشة ...آه طيشة آه طيشة

وعاملي على راسه ريشة ...آه ريشة آه ريشة

يبص هنا ويبص هناك ويقولي عيشتك مش عيشة يبص هنا ويبص هناك ويقولي عيشتك مش عيشة

خلاني نزلته الشارع وحلفت ابدا ماهو طالع

ماهو ياإما يشوف عارف ياإما والله ما هو راجع

قولوه دور قولوه دور قولوه دور

على عاااااااااارف

عارف عارف عارف

وإياك تعمل مش عارف

ولا توجد لغة جسد توازي الرقص الشرقي من فاتنة حين يميل خصرها، ويتحرك نهداها مع هز كتفيها لتكمل بعدها:

"مع سنتر عارف أبو العزم .... أنت في أيدي أمينة"

"سنتر عارف أبو العزم .... لأنك تستحق الأفضل"

استوووووووووووووب.

والتصفيق كان من نصيبها، أبدعت لوللا كعادتها، أبهرت طاقم العمل، سحبت لُب كل الرجال الموجودين بالاستوديو وفرضت

عليهم أن يحدقوا إليها إلا واحدًا ظل شاردًا يطالعه هيثم بغيظ كونه قال رأيه بصراحة بالفيلم فرفضت بدورها لوللا، فكانت تمتمة هيثم وهو يطالعه:

- دورك جاي يا شيكو، ويا أنا يا أنت.

***

إعلانات بالتلفاز وأغنية باتت نغمة للهواتف المحمولة، بجوار محاضرة ذات اسم براق "القيادة الاستثنائية"، والمكان "جامعة القاهرة".

"إزاي تكون قيادي مش بس لنفسك، لا ده أنت ممكن تقود أي حد حواليك".

وصبا من قالت لفيروز وقد قررتا الحضور بجوار آلاف وقد بات عارف، رمز النجاح والوعي والتقدم.

اتجه الدكتور بغدادي لمحاضرته ليجد المدرج شبه فارغ إلا من قلة قليلة.

- أنتم بتعملوا إيه هنا؟

- منتظرين محاضرة حضرتك يا دكتور.

- محاضرة مين يا ابني، كل سنة وأنت طيب.

والنظرة كانت حائرة من بغدادي لطلابه، أحقًّا لم يعد هناك فائدة؟ صمت ثم نظر لعيونهم، ولم يدرِ ما يقوله، فلا مهزلة توازي تغييبك بالحديث عن الوعي، لا غسيل مُخٍّ يُضاهي تشويش كل شيء، ولكن

أمام هذا، ما هو الدور؟ هل يجرؤ بغدادي أن يعلنها صراحة؛ مفيش فايدة أو يجوار ابنته ويسمع ما يقوله عارف:

"طبعا في فايدة، المهم تبص جواك، تاخد نفس عميق، وتقول اللللللله، يا سلاااااااااام، هي دي السعادة، هي دي متعة الحياة".

"كلام حضرتك رائع يا دكتور عارف، هو ده الوعي اللي كلنا محتاجين إدراكه".

وبغدادي معذور في ارتباكه ولا يملك القدرة على إخبار طلابه أن ابنته بالمدرج المقابل، لكنه قادر أن يقول ما يُمني نفسه أن يسمعه أي حد لعل أحدهم يعي:

"خلونا نتفق إن التلاعب بالعقل البشري خلال المرحلة الجاية هيكون أخطر سلاح بتواجهه أي أمة، يمكن حتى أخطر من قصفها بالنووي والكيماوي". بغدادي.

"خلونا نتفق أننا قدام عهد جديد وصلت فيه التكنولوجيا لتطوير كل شيء من حوالينا ولو عقولنا فضلت واقفة مكانها من غير ما نرتقي ونعلى ونوصل ونسود العالم يبقى منلومش إلا نفسنا، سيبوا عقولكم تدوق لذة كل تطور وتختبره وتعيشه". عارف.

"أوعوا تنسوا أن الأصل في وجود العقل إعماله". بغدادي.

"أوعوا تسمعوا للمتأخرين، دول بالذات هما سر التعاسة". عارف.

"عقُولكم نعمة".

"وقوفكم نقمة".

"فكروا أرجوكم فكروا".

"اطلقوا زمام أفكاركم بدون قيود أو ضوابط".

"مش كل المنمق من الكلام يستاهل، أوقات كتير بتكون الشعارات خديعة".

"الخديعة أن أحطلك حدود والكون بكل اتساعه قابل لتطويعك، إني أحجم قدراتك المطلقة تحت دعوات القانون أو الشريعة، أنت تقدر ودي أعظم حكمة لازم يدركها كل واحد فينا".

والتصفيق كادت تدمي معه أيديهم، ومَن سيملك القدرة على منافسته وهو صاحب المعرفة والعزيمة.

ومع نهاية المحاضرة خرج عارف يتبعه جمهوره، وخرج بغدادي يتبعه طلابه، والأول حدق إلى الثاني وكان ليكون التحدي لولا ظهور صبا بالصورة ليدرك بغدادي أنا معركته الأولى ينبغي أن تكون "ابنته".

ومع تلاشي التزاحُم تحركت هي حتى وقفت أمام سيارة عارف، سعت للتعارف، وتبادُل أرقام الهواتف، وبالأخير عرضت عرض سيفرض على عارف التفكير فيه:

– تأخد المبلغ اللي أنت عايزه مقابل تعلمني إزاي أسيطر على موظفين شركتي.

والفكرة براقة، عدد من البشر سيدفع له المال في مقابل أن يكونوا فئران التجربة:

- تحبي نبدأ من إمتى؟

- بكرة لو تحب.

أخرجت الكارت الخاص بها ومنحته إياه ورحلت فقرأه:

"فيروز عز".

"شركة الفيروز للاستثمار العقاري".

***

(9)

القاعدة التاسعة

(لا تكن الغاية ولا تكن الهدف، بل كن الغاية والهدف والوسيلة الوحيدة لأي إنجاز مُنتظَر).

كان إلى جوارها مُبتسمًا بينما هي شاردة، لو عادت والدتها سينقلب كل شيء للأسوأ، نظرت لمسعود فابتسم فوجودها هو رمانة الميزان بحياته ولكن هل فرحته بعدما عاد لعمله ستكتمل، هل ستتركهما عطيات بحالهم؟

وطرقها على الباب حمل الإجابة عن سؤاله، تجمع حولها الجيران بينما أسرع مسعود لفتح الباب وهيأته كانت كفيلة لإخبارها أنها أتت بالتوقيت الخطأ، دفعته للداخل واتجهت لغرفة النوم بينما الجيران يتبعونها لإرواء فضولهم، زعق وهو يدفعهم مغلقًا بابه، بينما عطيات جلبت درة من شعرها تكيل لها نصيبها من السباب:

- بتعصي كلامي يا درة بتنصفيه عليا.

- كفاية فضايح بقى.

- فضايح أنت لسة شوفت فضايح، لاقيتني سافرت ادحلبت وأخدتها، وربي وما أعبد يا ابن نعمة لأفرجك وانهاردة قبل بكرة هتكون مطلقها.

- مش هاطلق وأعلى ما في خيلكم اركبوه.

قالها بكل ما نبع من داخله من غيظ، بينما درة وقفت خلفه وقد تشبثت بكتفه تبكي، أدركت عطيات عِناده وتمسكه بابنتها فقررت الضغط بالوسيلة الأسوأ "إهانته"، عايرته بفشله وعجزه عن توفير احتياجاقم، أوجعته بأن صاحب الشقة سيطرده، وخلطت كل جملة بسبة ولم تصمت إلا عندما استشعرت أنها أجهزت على كل ما بقيَ من كرامته ورجولته.

ضَمَّ يده بقوة واصطكت أسنانه ببعضها البعض من حريق ناشب بداخله، لو لم تكن أم زوجته لدفعت الثمن حياتها.

ولأنه لا يريد أن تكون هذه النهاية، تركهما واتجه لمكتبه وأغلق بابه بينما أصرت عطيات أن تجمع درة ملابسها لترحل معها.

أخرج علبة السجائر لينفث فيها غيظه، ولم يدرِ كم سيجارة حرق إلا عندما وجد علبة سجائره فارغة.

فطواها وقذفها أرضًا مقررًا بعدها الدفع بكل محتويات الغرفة وتهشيمها، لتظهر عندها مديته، تلك التي كان يحتفظ بها في جيبه عندما كان عاملًا بمحطة البنزين، خرج ليجدها جالسة على إحدى الأرائك دون حراك، وما إن ظهر حتى وقفت أمامه ترجوه:

– مسعود قول حاجة، أرجوك.

– امشي يا درة، خدي البنات وامشي.

صمت دهرًا ونطق كفرًا، هل انتهى كل شيء الآن؟

شعرت به لا يُبالي فقالت بكبرياء:

- تطلقني ودلوقتي.

وجملتها نزلت عليه كالصاعقة، ألا تعلم أنه لو كان يملك شيئًا لفعله، يخشى أن يطلب منها الانتظار فتعانده الظروف، فيجد نفسه وأثاثه بالشارع، قد يقبلها على نفسه، لكن هي وبنتيه...

ظلّ صامتًا يطالعها بقلة حيلة حتى عادت لتؤكد:

- طلقني يا مسعود.

"ما تطلقها يا تلم طلقها".

وها هي حماته تطرق الحديد وهو ساخن، علها تحصل على غرضها، زاد سبابها، زاد زعيقها ثم تلاشى كل شيء من حوله، باستثناء دموع درة وحركة شفتي عطيات.

"قوليلها تسكت".

زعق بها وكررها ولكنها لن تمنحه أهمية حتى اشتعل غضبه، وفي لحظة لا يدري كيف بدأت كانت المدية مفتوحة ونصلها فوق عنق عطيات وقد أحكم قبضته على كتفها اليُسرى وألصق جسدها بالحائط فشهقت رعبًا بينما صرخت درة كي تبعده، لكنه ما عاد يسمع بل تدفقت الكلمات من لسانه وهو ينظر لها بحدة:

- عايزة بنتك تطلق يا عطيات؟

"مسعود أنت اتجننت، أبعد إيدك عن ماما، أنت سامع أنا باقولك إيه؟"

والصراخ من درة كان مع محاولة دفعه إلا أنه هو من دفعها بعيدًا بينما عطيات ترتجف وهي تشعر بالنصل الحاد يكاد ينغرس في عنقها، حد قطرة من دمائها قد سالت فوق يده،لم تكن تدرك وهي تحضر شياطين مسعود بأنها أول من سيعجز عن صرفهم كونه أكمل زعيقه:
مش هأطلق، فاهمة؟

- فاهمة.

- وعايزك تروحي تحضري الغدا، وأوضة درة عشان أنا هاقعد معاكي يا حماتي لحد ما أعرف أدبر مكان، مفهوم؟

وما إن رفع يده عنها حتى أجابت بخوف:

- بيتك ومطرحك يا أخويا.

قالتها فتركها فخرجت مسرعة ولم تستطع درة حتى النظر إليه وقد غادرت خلفها لتتركه وهو يطالع المدية بأسى، وقد أخرجوا أسوأ ما فيه رغم أنفه.

***

طالع قصر المنتج بكل استغراب، قطع كثيرة ليست متناغمة من الأثاث والتحف لكن المشترك بينهم غلو ثمنها، وحتى هو نفسه كان مظهره مثل قصره، يزفر دخان سيجاره الغالي وهو يطالع لوللا وهيثم وعبد الشكور وقد خصَّ الأخير بنظرة غيظ كونه تسبَّب في رفض لوللا للفيلم، وحين بدأت المناقشات هتف في هيثم وقد أبدى ضيقه من كثرة اعتراضات لوللا:

- ما تقولها حاجة يا هيثم، إزاي احذف مشهد الاغتصاب ده أهم مشهد، دي الناس يمكن متدخولش إلا عشانه، ويا سلام بقى لو هيثم يترل في الإعلان الواد البلطجي وهو بيقطعلك الفستان!

قالها بتبجح وهو يغمز بعينه ويضغط على شفتيه ففرض على عبد الشكور أن يضرب يده بالمنضدة بفرط غيظ وهو يهتف:

- يعني هو مفيش حاجة أحسن من كده تبدأ بيها، الفيلم مقرف جدًّا، بلطجة وضرب واغتصاب، أصلا كفاية اسمه.

تعقيب فرض على المنتج أن ينظر لعبد الشكور بغضب ويكمل:

- ماله اسمه بقى، ده حتى فيلم كله استوعاظ، ولا أنت عايز حاجة عميكة، بعدين ما أحمد زكي عمل حسن اللول، إيه يعني أما فريد يعمل توتو اللول، طالما هادف.

وقبل أن يُعقِّب قرر أن يؤكد:

- الفيلم عايز يقول أن أي واد توتو ممكن يبقى جواه لول.

- الله عليك يا معلم عتريس... يا معلم باسم، هو ده الكلام، احنا فعلا مفتقدين الأفلام الهادفة دي.

- مستر باسم، خلاص ربنا تاب علينا من المعلمة يا سي هيثم.

ولم يُعقِّب عبد الشكور بأكثر من زفرة وآثر الصمت، استشعر عندها هيثم أن لوللا لا محالة سترفض، فقرر تنفيذ خطته البديلة، اصطنع أنه يشيح بيده، فدفع إبريق الشاي الصيني الذي كان يتوسط المنضدة المقابلة لهم لينسكب بكل ما به فوق ملابس عبد الشكور

الذي زعق فيه بينما انكسر الإبريق، سعت لوللا لتنظيف ملابسه بمحارم ورقية بينما كرر هيثم سيل من الاعتذارات على مسامعه، علت ابتسامة وجهي هيثم وباسم، وقد دعا عبد الشكور لتنضيف ملابسه قائلا: إن هناك ملابس تناسبه، ثم نظر هيثم لساعته بالتأكيد ستصل رنا بأي لحظة.

دخل عبد الشكور حمام أحد الغرف، أعطى هيثم لوللا الملابس البديلة لتعطيها لعبد الشكور.

فكان تعقيب المنتج: أوستااااااااااااذ.

والسيناريو المعتاد تم إخراجه ببراعة، وصلت رنا ودفعت هيثم وفتحت باب الغرفة فرأت زوجها وامرأة أخرى ولا داعي للشرح أو التوضيح، هي خيانة وهذه حالة تلبس.

جذبت لوللا من شعرها وظلت تضرب فيها بكل قوة، ليسقط الشعر المستعار، وضربتان وبدأت تلاحظ تغيرات واضحة بجسدها الذي فقد كل بروزه، هل عمليات النفخ تأثرت بضرب رنا؟

هي دي لوللا؟

ولم يملك عبد الشكور وقد بدل ملابسه إلا سحب زوجته والخروج بها وقد تطاير بعينيه الشرر.

هل أتت رنا إلى فيلا المنتج المشبوه وحدها؟

هل وصل بها التهور إلى هذا الحد؟

وما إن وصلوا حتى جلبت أولادها من عند جارتها واتجهت لشقتها، أخرجت حقيبة كبيرة وبدأت تضع فيها ملابسها، مشهد اعتادت كتري رؤيته آلاف المرات حتى باتت تألفه، لكن هذه المرة كانت تشعر صدقًا بالخوف ولا تدري سببه، فوالدتها واجمة غاضبة تقذف بالملابس دون أن تتفوه بكلمة ووالدها يقف على باب الغرفة يطالعها بغيظ، يجاهد كبح ثورة تسعى للطفو لكنه يخشى نتائجها.

تحركت لتخرج من الغرفة لكنه منعها وجذب الحقيبة من يدها وقذفها ليتناثر ما بها أرضًا، عندها تبادل الاثنان نظرات نارية فرضت على كتري الخوف، فهي لم تتجه لغرفتها كما فعل أخوها الأصغر، بل شعرت أنها يجب أن تعرف ما الأمر وعندها هتفت بخوف:

- هو في إيه؟

وبكت وقد زاد خوفها، طفولتها لم تسمح لها بعد أن تدرك أن الكبار عند الغضب عميان، ولم يستوعب والدها حاجتها للطمأنة، جذبها من ذراعها ودفعها لتجلس على سريرها ثم زعق فيها وفي أخوها ليلزما غرفتهما صافعًا الباب خلفه.

ثم عاد لرنا مغلقًا باب غرفتهما وقد جذب ذراعها وزعق:

- إيه اللي وداكي فيلا باسم الصافي.

- وكمان ليك عين تتكلم بعد ما شوفتك معاها.

وصوتهما كان عاليًا بما يكفي ليخترق غرفة الطفلين، لكنهما لم يدركا هذا، بل زاد زعيق عبد الشكور وهو يعيد السؤال ليفهم وهي

قالت ما توقعه، خطّط هيثم ليبعده، فأعد فخًا لزوجته وقعت فيه دون لحظة تفكير واحدة، والآن تصرخ فيه وتسب أخلاقه وأنه على علاقة بتلك الحقيرة الساقطة.

وفي لحظة فارقة لا يدري كيف بدأت هوت يده فوق وجهها بأقسى صفعة، والشهقة لم تكن منها بل من كتري التي فتحت الباب عنوة لترى والدها يضرب والدمّا، وخط رفيع من الدماء انخرط من شفتي رنا، بينما نزلت دموعها بلوعة:

– كل ده عشان لوللا.

قالتها بينما جرت كتري واختبأت في رنا تبكي أكثر منها وتُعقّب:

– خلينا نمشي ونسيبه ده وحش وبيضربنا.

وجملتها كانت الصفعة الأشد لعقله، استفاق لينظر ليده ثم لرنا وآثار أصابعه على وجهها ثم لابنته التي تبكي بهستيريا وقد ضمتها رنا لصدرها وبكت بدورها، وقف بمكانه منكس الرأس ينقل بصره بين يده وبينهما بصدمة أكبر.

ولن تصدق أن الدافع كان غيرة وخوف من ذهابها إلى هناك ولكنه هو من فتح الباب للتعامل معهم، يوم وافق أن يكون مدير أعمال لوللا ، يوم قرر ألا يخبر زوجته.

جاورهما يسعى لتخفيف حدة الموقف، وضع يده فوق رأس رنا يمسح عليها فدفعته وهي تهتف:

– متلمسنيش.

ففكر في تهدئة كتري فسحبها فصرخت وتشبثت برنا، ثم خرجت رنا تحمل طفلتها واتجهت لتنام إلى جوارها بينما هو أخذ يجمع الملابس ويُعيدها للدولاب.

انتظرت رنا حتى نامت طفلاتها ثم عادت لحجرتها، كان قد أعاد الحقيبة والملابس لأماكنهما فهتفت:

– أنت فاكر إني ممكن أقعد معاك يوم واحد بعد النهاردة.

قرر أن يحتوي غضبها، فلم يملك إلا الترجي:

– بلاش تسيبي البيت عشان خاطري، عشان خاطر ولادنا، مش كل مشكلة يا رنا لازم الكل يبقى عارف، مش كل خلاف تسيبي البيت وتمشي

لم تعر كلامه اهتمامًا، بل أعادت الحقيبة فأمسك بيدها مقررًا ضمها إليه عنوة، حاولت أن تدفعه لكن تشبثه بها كان أقوى وقد قبل جبينها وظل يكرر:

– آسف أنا آسف والله، يا رب كانت تتقطع إيدي قبل ما أمدها عليكي.

قالها وبكى وعندها استطاعت أخيرا دفعه عنها وهي تهذي:

– بعد إيه؟ بعد ما كتري شافتك وأنت بتضربني، بعد ما دخلت لوللا في حياتنا وخربتها.

وكأنه كان يملك فرصة أخرى ظل يشرح وهو يترجاها أن تفهم، كان يعمل مع لوللا وما حدث ما هو إلا فخ من هيثم، لكنها ردت بقوة، هي ليست ساذجة لتصدق كذبه

زاد رجاؤه حَدُّ التوسل، واللعنة على كبريائه ورجولته لو كان ثمنهما خسارته لبيته، لكنها لن تعبأ وستكمل إعداد حقيبتها.

لتجبره على الزعيق بأسى:

– هو أنا كنت باعمل كل ده عشان مين مش عشان أرضيكي، كتري لازم تدخل حضانة منتسوري يا عبد الشكور، حاضر، مفيش قدامنا إلا مدرسة خاصة ولازم تكون لغات، حاضر، أنا عايزة والولاد عايزين حاضر حاضر حاضر.

زادت حدة صوته وزاد معها أنينه: آسف إني اضطريت اشتغل معاها، آسف إني مرتبي مش مكفي، آسف إني مش معايا مصاريف مدرسة كويسة، آسف بجد آسف

هوى بجسده على السرير، ساد الصمت ثم قرر بعدها هو من سيرحل لمترلهم القديم تاركًا زوجته وأولاده بمكانهم، وقبل المغادرة أطل على غرفة أبنائه ليقبلهما ويلعن كل لحظة عجز كانت دومًا المحرك لحياته.

***

وأخيرا أتته اللحظة التي كان يرجوها، حين وافق على عرض فيروز وهل كان من الممكن أن يرفض؟

جمعتهما الشركة ومكتب فيروز وقد وضعت أمامه ملفات موظفيها الأربعة وأردفت: صورهم الشخصية وكل المعلومات اللي طلبتها جمعتهالك هنا.

رشف من فنجان القهوة المجاور له ثم سحب ملف مسعود، وقرأه وعندها سارعت هي بالتعقيب:

- أنا دايمًا شايفاه مش سهل أبدًا، هو وعيسوي.

قالتها بعصبية بينما أكمل هو قراءة الملف دون تعقيب، وما إن انتهى حتى قال بترو:

- الشمال.

طالعته وسألت:

- يعني إيه؟

- نمط شخصية مسعود، رجل المهمات الصعبة.

"بنسميه أيقونة القيادة على الأرض، رجل القانون والعدالة، إنسان واعي طموح عقلاني، وشاطر جدًّا في تحقيق أهدافه".

- يعني خطر.

والسؤال من فيروز تابعته الإجابة من عارف:

- مش هأقدر أحدد مين فيهم بيمثل خطورة غير لما أشوف كل ملفاهم، أنا دلوقتي بأحلل شخصياهم وبأحدد نقط القوة والضعف.

- هتعلمني إزاي أسيطر عليهم؟

سألت بشغف فرض عليه أن يبتسم ثم قال دون مبالاة لسؤالها: - خلينا ناخد الملف التاني، وبعدها هنتكلم باستفاضة أكتر عنهم.

وسحب الملف الثاني حيث ملف عبد الشكور، تابعته عيون فيروز بغيظ بات واضحًا لشعورها بخبثه، احتسى قهوته ببرود ثم طالعها وهو يحدد:

- تعرفي أنه تقريبًا عكس مسعود في كل حاجة، مسعود النمط الشمالي وهو الجنوبي، مسعود القيادة وهو عضو الفريق الشاطر، أيقونة الحب والسلام".

- وأنا مالي بكل الهرتلة دي أنا عايزة أعرف إزاي أسيطر عليهم.

- اللي زي عبد الشكور ده ميتخافش منه، لأنه شخص غير صدامي، شخصية اجتماعية، ينجح في التسويق، ينجح في أي شغل فيه علاقات عامة، اللي زي ده آخره يأكل وينام ويشتغل بإخلاص وبس.

- دكتور عارف حضرتك متأكد أنك فعلًا، بتعرف تحلل الناس صح، أصل أنا أشك.

قالتها وقامت من مكانها تشعر ببالغ الضيق على وقتها الضائع، عادت لمكتبها فقام عارف ولحق بها ليجلس على أحد المقاعد المقابلة لمكتبها ثم عقّب:

- ليه؟

- عشان عبد الشكور ده خبيث جدًّا، ومسعود ده وصولي وطماع.

- طيب لما أنتِ فاهمة موظفينك كده، طلبتي مساعدتي ليه؟

- عشان تعرفني إزاي أنا ألوي دراعهم ورقابهم تبقى في إيدي، للأسف يا دكتور، أنا شكلي هاكتفي بجلسة النهاردة، لأنك طلعت مش عارف.

قالتها بحدة انتظرت مقابلها غضبه لكن ما قابلها كان ابتسامة ملأت شفتيه تسخر منها ورد ببرود:

- زي ما تحبي.

وقام بعدها ليخرج لكنها استوقفته وقد بدا له أنها تريد التراجُع.

- أنا آسفة يا دكتور عارف، بس...

ومع التفاتته ابتلعت بقية ما كانت تنوي قوله وقد اضطربت من هيئته، خطا نحوها فوقفت أمام مكتبها، جذبها إليه فشهقت بخوف لتجده يُحيط خصرها بذراعه وقد الصقها بالحائط وقبل أن تنطق بكلمة وجدت يده الأخرى تكمم فمها، نظر لعينيها فشعرت أن الخطوة التالية ستكون سحب روحها من جسدها لكن النظرة تحولت شيئًا فشيئًا لاحتواء آسر انسابت معه كلماته:

"فيروز عز، شمالية شرقية للنخاع حد التطرف في شخصيتها مستبدة مغرورة غير صبورة وشكاكة، طالباتها كتير جدًّا، صعبة الإرضاء، مستمعة سيئة على الدوام، جدلية في كل كبيرة وصغيرة ودايمًا على حق، متمركزة حولين ذاتها وبس".

صعقتها كل كلمة فأذهلها، نظرة عينه كانت توحي بشيء بينما لسانه تدفق بشيء آخر، ومع ابتسامة طفيفة كان تعقيبه:

- وده اللي خلى فيروز عز تبقى مميزة، ده اللي خلاها استثناء في مجتمع الستات فيه بتتنفس ضعف وخنوع.

هل يعقل؟ كيف فعلها؟

عيوبها التي ظنته يصدح بها ذمًّا أحالها لمديح في اللحظة ذاتها وأكمل:

- فيروز لا فيروزة، فيروزة نادرة، صعب تلاقي اللي يقدرها، ويمكن ده سر أنها وحيدة، لأنها لسة ملقتش اللي يفهمها.

ورغم أنفها استجابت لكل كلمة وكانت الاستجابة تنهيدة حارة، عندها رفع كفه بعيدًا عن شفتيها ليتأمل وجهها بعناية فرضت عليها الخجل.

فيروز تخجل؟ هل يعقل؟ كيف فعلها؟

هي نفسها ما عادت تدري، وما عادت تملك من نفسها إلا أن تسمع وهو يكمل:

"أعترف أني من أول ما شوفتك قررت أستغل الفرصة، والهاردة مقولتش كل حاجة أعرفها عن موظفينك، ولا حتى أشوف كل الملفات، وده عشان عايز أتواجد في الشركة ومعاكي أطول وقت ممكن".

وصدق وهو كذوب، وهي كيف لها ألا تصدق صدقه بعدما صدقت كذبه، وآخر ما كان منه قبلة على إحدى وجنتيها، كدليل دامغ لصك ملكية وتحقيق لمبدأ يتقنه عارف وقد حدد أول ضحية:

"اضرب الراعي ..... تتفرق الراعية".

***

(10)

القاعدة العاشرة

("فرق تسُد" أو "اضرب الراعي تتفرق الغنم" أو في مواجهة ضحاياك امزج الحكمتين معًا).

Pygmalion

مسرحية لجورج برنارد شو تم اقتباسها لتكون "سيدتي الجميلة"، حين راهن كمال الطاروطي أنه قادر على تحويل "صدفة بعضشي إلى صدفة هانم بنت التفاكشي باشا" والقصة عن أسطورة لنحات اسمه بجماليون، نحت امرأة جميلة وسقط بحبها وآمن أنها ستكون حقيقة وكانت بالفعل، والخلاصة أنه كلما زادت توقعاتك تجاه شيء كانت النتائج تتوافق وما تتوقع، وما دفعها للتفكير بكل هذا لم يكن مطالعتها لأحد فيديوهات دكتورة نانسي على موقع فيس بوك، بل السبب كان بالتعليقات:

"الستَ دي كنت دايمًا باشوفها في بار في الزمالك، وكان اسمها نبيهة".

"دي إنجليزية واتعلمت العربي برة عشان كده بتتكلم فصحى".

"فصحى إيه ده أسلوبها بيئة".

"تفتكروا عارف غيرها من نبيهة بقت نانسي، آمال لو حاول مع حد زينا ده مش بعيد يخليه زويل".

وتوقفت أيتن عند هذا التعليق رغم أن التعليقات لم تتوقف، وتوقفت بدورها سيارة الأجرة التي كانت تقلها لجامعة القاهرة، لمقابلة دكتور بغدادي، وبمكتبه سردت ما دار ببالها عن عارف أبو العزم، هل يعقل أنه يفكر بنفس طريقتها أو كلاهما استوقفته الفكرة ذاتها، كيف ترسم لدولة بأكملها مستقبلها عن طريق إقناع الناس بأفكارهم أو ربما التحكم في تخيلهم للغد، غدًا أسود قاتم السواد فلا ينبغي لأحد أن يسعى ليغير، غدًا سنكون أضعف فلا تفترضوا في أنفسكم قوة، أو إعلامًا يوجه "كن البلطجي هذا إن كنت تريد القوة".

ومن نانسي لفريد يا قلبي لا تحزن، ولا تلعن التوقيت أو اللحظة.

"فيلم توتو اللول"، فيلم الموسم وكل موسم، للنجم الصاعد الواعد "فريد أبو العزم".

ذلك الرجل يدرك قيمة كل توقيت بحياته، ولا يضيع وقته أبدًا

"يعني مفيش فايدة".

وكان هذا هو أول سؤال منها حين جلست أمام بغدادي، وزاد استغرابها حينها كانت إجابته:

- تسمعي عن براغادينو.

وإنصاتها عاد به لذكرى صبا عندما كانت تجلس على قدمه لتسمع ما يسرد:

- زمان قوي، سنة **1570**، لما كان فينسيا اسمها البندقية حصل أنها فلست بعد ما كانت بلد غنية، الناس مكنتش مصدقة وفضلوا فترة منتظرين أن أيام العز ترجع، انتظار على أمل المعجزة تتم، لحد ما حصلت المعجزة فعلا، سنة **1589** ظهر راجل كيميائي اسمه "براغادينو" قال إنه يقدر يضاعف الدهب عن طريق استعمال مادة سرية هو الوحيد اللي عارف تركيبتها.

التمعت عيناها ببريق عكس ما بها من فضول وهي تسأل:

- والناس صدقت؟

- طبعًا، لأنه قدر يخلق لنفسه صورة ذهنية تأكد كلامه رغم أنه نصاب، براغادينو كان معدم وفقير ومحلتوش حاجة، هاجر من البندقية وبقى يعمل عروض وشغل شعوذة باستخدام التفاعلات الكيميائية لحد ما كسب مبلغ كويس سافر على ايطاليا وهناك فتح دكان يبيع فيه مواده الكيميائية واقتصرت عروضه على عرض واحد بس "تحويل التراب لدهب"، الناس اتقربت منه وملوك وأمراء وفلوس ملهاش آخر على أمل واحد، يعرفوا السر ويبقوا أغنيا، لحد مجلس شيوخ مدينة البندقية ما صوت بالإجماع على رجوعه، صرفوله مرتب وبيت وكل طلباته مجابة، بس يحول التراب لدهب، وصاحبنا مكانش محتاج لأكتر من إثبات بسيط عمله بمنتهى الإتقان، هيئته، في إيده ساعة من دهب وهدومه الغالية بأزرار من دهب، قصره الفخم فيه كل حاجة من الدهب، وعاش في البندقية ملك ووعد الناس بأمل،

المادة السرية لازم تتحفظ مش أقل من سبع سنين عشان تدينا نتيجة مرضية، والناس فضلت صابرة ومنتظرة، وصاحبنا فضل يأخد منهم فلوس ومحدش قادر يكذبه، أصل يكذبوه إزاي وكل حاجة حواليه بتأكد أنه فعلًا يقدر وزي ما...

- زي ما حول نانسي يقدر يحولهم.

والهتاف منها قاطعه وفرض عليه الصمت، ضيق بين عينيه وعقّب:

- مش فاهم تقصدي إيه؟

- بس أنا كده فهمت يا دكتور.

قالتها بين فتور وحماسة لا تدري أتفرح أم تبكي، الآن باتت تشعر أنها فهمت عارف ولكن، لماذا كل ما يفعله؟!

- دكتور عارف ساب الناس تفترض أنه غيرها من واحدة من إياهم لدكتورة نانسي، وده كافي إنهم يصدقوا أنه يقدر يغير حياتهم.

وأمام جملتها صمت وبعد لحظة شرد، وجملة إسماعيل فرضت نفسها يوم عقبوا على معشوق صبا.

"اسمه دعبس وكان في شارعنا صبي قهوجي".

"معقولة"؟

تمتم بها ثم سحب مفاتيحه واعتذر لأيتن عن استكمال كلامهما، وإلى شركة الفيروز انطلق، لو صدق إسماعيل في كلامه فإننا على أعتاب مهزلة، ما الذي يريده بالضبط هذا الرجل؟ ومَن وراءه؟ ومن يموله؟ وتوقفت سيارته أمام الشركة ليجد عارف خارجًا منها، جاء

إذا كما أخبرته صبا، جاء بالأمل ليحول الفيروز لذهب، لكن ما فرض عليه الخوف كان ظهور صبا إلى جواره، تتكلم دون انقطاع، وبنهاية المطاف اتجهت لتركب سيارته.

نادها بعصبية فصُدمت لوجوده، فخرجت من السيارة لتقابله وخرج عارف بدوره يُدقق بملامح الرجل الذي سبق أن قابله بجامعة القاهرة، تصافحا ثم قامت صبا تعريف والدها الذي تحدث باقتضاب ثم ودعه وسحب ابنته ليرحلا.

وبسيارته زفرت صبا وقد تضايقت من مجيء والدها، فقد وعدها عارف بأنه سيصحبها إلى الاستوديو لرؤية تحضيرات فيلم فريد بعد سردها مقدار الإعجاب والاهتمام به، كانت على عتبات رؤية فارسها لكن تلاشت الأمنية.

"آمال بشير فين؟"

والسؤال كان من بغدادي وهما في طريقهما للمنزل، التفتت بعد شرود لتجيبه:

- عامل زعلان، أصلنا اتخانقنا.

ولم تزد، وهو بدوره صمت مقررًا التحدث معها بهدوء بعدما يتناولا غداءهما، وصلا لمنزلهما واتجهت هي لغرفتها واتجه هو لتحضير الطعام بالمطبخ كعادته منتظرًا منها أن تأتي لتساعده وبخلاف عادتها لم تأت وآثرت المكوث بغرفتها، فبدأ بتحضير طاولة الطعام، إلا أن رنين

الهاتف استوقفه وكان المتصل "شكري" والذي سخر منه عندما سأله عما يفعله وعرف:

– مش لو كنت اتجوزت كان زمانك قاعد بتتغدا من إيد مراتك دلوقتي ولا أنت صدقت أنك عيان بجد.

واللعنة على كل وسيلة حديثة تظن بلحظة أنها تساعد وباللحظة التالية تدفع في وجهك بكارثة، سمعت صبا ما قاله شكري عبر مكبر الصوت، لتدرك أكبر صدماتها، والدها كان يكذب، اندفعت لغرفتها دون إعطاء فرصة لوالدها وكل ما يشغلها رسالة واحدة ألزمت نفسها أن تكتبها بلا مقدمات أو مجاملات، بغض النظر عن جدتها وقسوتها وانكسار قلب من ظنها رسالة اعتذار أو تودُّد فأسرع ليقرأها بلهفة فكانت الصفعة:

"شوف الميعاد اللي يناسبك إمتى وتعالى خد الشبكة، أتمنى تتفهم إن كل شيء قسمة ونصيب".

***

"صبا يا ريت لو نحط النقط ع الحروف، يا ريت تقوليلي إحنا إيه مشكلتنا مع بعض، يمكن نلاقي حل".

"أصلا أنت لو مهتم كنت عرفت، بس كل اللي أقدر اقولهولك إن الاهتمام مبينطلبش".

"طيب أنا قصرت في إيه؟"

"عايز تعرف فعلًا، أوكي يا بشير، عايزك تدخل كده على أكونت أي واحد خاطب وتشوف يعني إيه خطوبة، أنت عمرك كتبت بوست عبرت فيه عن مشاعرك ناحيتي وعملتلي فيه منشن أو تاج، بلاش عمرك فكرت تدخل إيفينت (قولنا حبتها ليه) وتكتب عني كلمتين زي أي بنت في صاحباتي لما خطبها بيعمل، الاهتمام والاحتواء يا بشير، كلمتين أقوى وأعمق ما في الحب، مينفعيش أطلبهم، أنت اللي لازم تحسسني بإني مهمة عندك، مش بس آخرك تعملي لايك ده إن عملت"

وتوقف عقله عن سرد ذكريات آخر لقاء وعاد ليطالع رسالتها، خطوة كان يعلم جيدًا أنها القادمة، لكنها صاحبة السبق، هي من قررت أن تضع النهاية لتلك العلاقة التي لا محل لها من الإعراب، هي مَن قررت أن تعترف أنها لم تكن خطبة بل ادعاء، وأوان الحقيقة قد آن، فما هي الإجابة المثالية الآن؟

أنا على ما يُرام أم عليّ تقديم الاعتذار.

"آسف يا صبا لأن مفردات الاهتمام بيننا معكوسة،آسف لأنني الغبي المتذاكي، المدعي بما ظنه عشقًا واكتشف لتوه، أنه الوجه الآخر للبلاهة".

قذف هاتفه أرضًا وظل يضرب فيه بقدمه حتى حطمه، بشير ما الذي دهاك؟

صعد إسماعيل حين سمع صوته بل عيسوي كونه أتى كي يرافقه إسماعيل لمنزل شجن.

هيئة بشير فرضت على إسماعيل الاضطراب وبدا واضحًا حزنُه، منذ الخميس وهو لا يتحدث لأحد ومتروٍ بغرفته، والآن هشم هاتفه، ربت إسماعيل على كتفه فأبعد يده عنوة وهتف:

- أنا مش عايز أصعب على حد، أنا أعرف أعمل زي فريد وعشرة زيه، بس أنا للأسف محترم، مش عارف أبقى وقح، مش عارف أبقى تافه، أنا كده كده ولا حاجة، هتفرق في إيه إني أبقى هايف".

قالها وغادر، وعندها استشعر عيسوي جذبه إسماعيل وقد ترجَّاه:

- روح وراه يا عيسوي، دي أول مرة أشوفه كده.

فأسرع خلفه يناديه بكل ما يملك عله يستوقفه وعندها التفت قائلًا:

- خد جدو وروح مشواركم لبيت شجن.

- طيب، إيه اللي حصل.

- اللي كان لازم يحصل.

ودون زيادة شدَّد:

- ارجع لجدو وروحوا مشواركم، أنا محتاج أكون لوحدي يا عيسوي، ومتخافش أنا هأبقى كويس.

***

"عيسوي إلا عيسوي واد ذوق ومؤدب وأخلاق، ميتخيرش عن عماد".

والكلمات كانت في مكالمة تودُّد جمعتها بأختها، ولم تهدأ فاطمة من تكرار الفعل، سيل من المكالمات تخبر من خلاله جميع الأقارب أن سوق خطاب شجن لم يتأثر بما فعله الحقير حسام، والدليل...

ثم تبدأ في سرد ما فعله العريس السابق لثقته الجمة بأخلاق ابنتها التي لا غبار عليها وبناء عليه:

"قراية فاتحة شجن النهاردة، أنا بأعرفك بس العزومة بقى في الخطوبة إن شاء الله".

هل اكتفت فاطمة أم أنها بحاجة لإخبار من هم خارج الكوكب؟

كانت واجمة بعدما أنهت شجارها مع والدها التي سبت ولعنت وتوعدت إن رفضت أو حتى فكرت أن يكون لها رأي آخر، وأمام ضيقها لم يملك عبد الغفور إلا المسح على رأسها وهو يؤكد:

- أنا مش هاغصبك على حاجة يا شجن، أنا بس عايزك تديله فرصة يمكن يكون شخص كويس.

ولم تملك إلا أن تفعل، حضر عيسوي ومعه إسماعيل وللصالون اتجها، وبعد الترحاب كان السؤال الأول عن مشيرة التي لم تأت، تحجَّج عيسوي بأنها مريضة كي لا يخبرهم بأنها رفضت، وعندها جاءه طلب شجن بأنها تريد التحدث إليه على انفراد، بينما جمعت الشرفة إسماعيل ووالدها.

ساد الصمت وقد تبادل عيسوي النظر وشجن، عقدت ذراعيها أمام صدرها وقد قررت ستفعل المستحيل كي ينتهى الأمر بقراره فبدأت:

- عارف يا عيسوي، مصر تعتبر الأول على العالم في الطلاق.

صدمه بداية الحوار وشعر أنها ما زلت على عنادها، صمت فتابعت:

- منظومة الجواز عموما فاشلة، ومفيش أصلًا زوجين عندهم تفاهم، يعني مقدمات تسد النفس عن الجواز.

انكمشت ملامحه وقد امتعض ونظر لعلبة الشوكلاتة التي أحضرها للمرة الثالثة بحسرة، ثم قرر تخفيف الأجواء فعقَّب:

- مش يمكن إحنا نبقى استثناء؟

ردَّ أشعرها بإصراره فردت بضيق:

- واحد اسمه عيسوي هيتجوز واحدة اسمها شجن، أنت مدرك الكارثة.

ضحك رغما عنه وأجاب:

- والله هو اسمي وباحبه، إنما لو مش عاجبك فدي حاجة تانية.

شعرت أنها أحرجته، فخجلت وعندها تحدثت بنبرة هادئة أو بالأحرى هو لمس خوفها وهي تسأله:

- إيه اللي ممكن يخليك تتراجع عن الارتباط بيا يا عيسوي؟

علت الابتسامة وجهه فأجاب بثقة:

– والله أنا مرتاح جدًّا ليكي يا شجن، وحاسس إنك هتبقي نصي الحلو.

تنهدت بفراغ صبر فعقب:

– إلا لو...

صمت ثواني ثم سأل:

– أنتِ رافضاني ليه؟

– أنا مش رفضاك، أنا مش عايزة أتجوز، الموضوع ملوش علاقة بيك.

فهم فأدرك أن عليه الرحيل، فقام من مكانه، وقال بهدوء:

– خلاص يا شجن، ربنا يوفقك.

ثم غادر هو وإسماعيل، بينما انزوت هي في غرفتها مشوشة، نجحت فيما نوت لكنها شعرت بالندم، وما عادت تدري أي تصرف كان عليها أن تفعله؟

عاد لمنزله وانزوى بغرفته، ليجد مشيرة تقتحم عزلته لتزعق مؤكدة: – أنا كنت عارفة من الأول وقُلتلك متروحش، مشيت ورا جد بشير الطاقق ده وروحت، ماشي يا ابن حافظ.

وما إن نعتته بابن حافظ حتى هتف فيها بضيق، كلما غضبت منه ذكرته بوالده وغدره وبأنه بالتأكيد سيكون مثله، يريد الزواج بشجن التي لا تهتم ولن تهتم أبدًا.

وبالنهاية وجد نفسه على عتابات شجار حتمي فقرر أن يترك البيت ويرحل.

***

صباح الأحد، جمعتهم الشركة وزعيق فيروز...

لا لم تعد فيروز تزعق، بل أتت متأخرة قرابة نصف الساعة عن موعدها، شعرها مصفف بطريقة متدرجة تنم أنها قد خرجت لتوها من صالون التجميل، مكياج، عطر، ملابس منمقة ومختارة بعناية فرضت على مدبولي الاستغراب والاندهاش، وصوت أشبه بكروان عذب قال بهدوء:

– عم مدبولي القهوة على مكتبي، من فضلك.

"من فضلك"؟

فيروز تطلب بأدب!

"الواحد أكيد هيطلع من الشركة دي ع السراية الصفرة، الطف بينا يا رب".

وحال فيروز المقلوب رأسًا على عقب لم يكن أفضل من حال موظفيها، فمسعود أتى متأخرًا يتبعه دخان سجائره، بينما عبد الشكور على العكس أتى مبكرًا جدًّا وانزوى بمكتبه، أما عيسوي فلم يأتِ بالأساس، بينما بشير لم يظهر بعد.

أيعقل أنه تأخر؟

ولم يكن متأخرًا بل ينتظر صبا بمدخل البناية، فهي لن تتغيب لأن عارف سيأتي، وبعد عشر دقائق ظهرت واتجهت للمصعد وما إن فتحت بابه حتى وجدت بشير خلفها، استشعرت الرهبة، وساد الصمت ولأول مرة استشعرت الخوف من بشير ما إن نظرت لعينه التي كانت تتطلع لها بتحفز حتى توقف المصعد وتوقفت معه نبضات قلبها حين وجدته يدفع ببابه ويجذبها من ذراعها مبتعدًا بها عن باب مقر الشركة ليسأل بغضب:

– إيه معنى الرسالة اللي بعتيها امبارح ؟

والدهشة امتلكتها وهى تتابع نبرة صوته بجوار ملامح وجهه وهي تكاد تهتف فيه؛ أين بشير؟

لكن حتى هذين السؤالين لم تملك لهم فرصة، فبشير التقليدي الخلوق جذبها من كلتا ذراعيها حتى صارت بين يديه كدمية، وعلى مقربة من أنفاسه بدى لها كم هي مشتعلة، ربما غيرة ربما غضب أو حب أو خوف أو افتقاد أو كل ما سبق، والرائع لها كان استجابة دقات قلبها، وآه يا بشير لو تكمل المشهد كما الروايات لآخره، بصفعة أو قُبلة أو الاثنين معًا، لكنك لن تفعلها أبدًا، مهما تتغير سيظل بداخلك فتات رجل محترم، والمحترم يا سيدي لا يبهر امرأة.

– عايزة تفسخي الخطوبة يا صبا.

– أنا وافقت عشان بابا اللي صمم يا بشير مش عشان أنا اللي عايزة.

- في حد تاني، انطقي

زعق بها فهتفت بعناد:

- أيوة في، أنت من الأول عارف إن في، ومع ذلك محاولتيش تــــ....

ولم يدعها لتكمل جملتها، دفعها من بين يده ونظر لها شزرًا، نظرة احتقار فرضت عليها أن تتألم وهو يكمل:

- كفاية، كفاية لحد كده، أنا معنديش استعداد أبقى تويقة الناس من حواليكي وأنا عارف قبل منهم إن في غيري.

قالها وهو يضع بيدها الدبلة الفضية خاصته وقد تركها واتجه لمكتبه، دون صفعات أو قبلات فتمتمت بهدوء:

- لو فعلًا كنت بتحبني يا بشير، كنت مستحيل تسيبني، حتى لو كان حب من غير أمل، لأن هو ده الحب اللي بجد.

"إيه اللي موقفك هنا يا صبا؟"

والسؤال من عارف فرض عليها أن تلتفت لترحب بمجيئه، وبعد الترحاب جاورها ليتجها لمكتب فيروز.

تلك الحالة لا تحتاج لأي مجهودات تذكر، لقد برمجتها الأفلام والروايات بما يكفي - ويااليت الجميع مثلها - لا يحتاج لأي مجهود سوى تقدير قناعاته.

- أنا حكيت لفريد عنك وطلبت منه تصريح عشان تحضري البروفات بكرة، هه إيه رأيك.

وأشرق وجهها بل كادت تقفز في مكانها من شدة ما امتلكها من حماس، وأخيرا ستقابل فريد، ستدخل استوديو تصوير سينمائي، ستكتب على صفحتها بالفيس بوك عن ذلك، بل إنها قد تكلل كل ذلك بصورة "سيلفي" بجوار فريد شخصيًّا.

– أنا مش عارفة أقول لحضرتك إيه، حضرتك أعظم دكتور في الدنيا.

– قوليلي إن مدبولي هيعملي فنجان قهوة مظبوط، وأنك هتجيبهولي في مكتب مدام فيروز، عشان يومي يكمل بعد ما شوفت ابتسامتك الحلوة دي.

والابتسامة زادت حتى بدت نواجزها، والسعادة كادت ترفعها من كوكب الأرض لتضعها فوق السحاب، بل هي على السحاب حرفيًّا.

خرجت من مكتبها لتأمر مدبولي بإعداد ما طلب عارف، بينما بشير أسرع بالعودة لمكتبه بعدما انتهى من سماعهما.

***

منَّت نفسها لو أنه عقب على هيئتها ولو من باب المجاملة، لكنه بدأ باحتساء قهوته دون تعقيب على أي شيء سوى طلب ملفات الموظفين مرة أخرى، تطلَّع إلى الملفين الباقيين ثم سأل:

– تحبي نبدأ بعيسوي ولا بشير.

انتابها الضيق من لا مبالاته لكنها أجابت:

- زي ما تحب.

تطلع للملفات في صمت فسألت:

- هي ملفات الهاردة صعبة للدرجة دي ولا في حاجة مضايقاك

ولم يُعرِها أي اهتمام وردَّ:

- أبدًا.

وقبل أن تسأل أي أسئلة أخرى بادر هو، أشار لأحد الملفات ثم قال:

- بشير خليل عبد الجليل، الشرقي.

- سيبك من بشير، بشير مجرد موظف عادي

- إنت متأكدة؟

قالها باستنكار فرض عليها الاستغراب:

- بشير ده....أكتر واحد لازم تخافي منه.

زادت دهشتها فأردف: اللي عند بشير مش عند حد منهم، أكتر شخصية بتستخدم عقلها، ودي نقطة مش سهلة، شخصية منظمة بتحلل كل كلمة وكل فكرة، ممكن يقرى عشرين كتاب بدون ما يمل عشان بس يتأكد من معلومة واحدة.

- وايه اللي يخوف في كده؟

أجابها بثقة:

- لأنه أكتر واحد ملم بثغرات شركتك، أكتر واحد واصل لتفاصيلها، ومش بعيد يكون هو اللي كان ورا موقف عيسوي وعبد

الشكور لما قرروا يرجعوا مسعود حتى لو منطقش بكلمة، من الآخر كده بشير يوم ما يقرر يحط خطة، هتكون كاملة، منظمة، تفصيلية.

- والعمل؟

قالتها برهبة فأكمل:

- لازم تضمني ولاء ده بالذات، صحيح هو بطيء ومتردد لكن في النهاية لو عرف يتغلب على العيبين دول هيبقى لعنة.

ومع توقفه عن الكلام قامت من مكانها وتحركت نحو النافذة، زفرت وقد أولته ظهرها ثم عقَّبت:

-أنا لما طلبت منك تيجي الشركة هنا مكونتش خايفة من حد قد عيسوي، مكونتش متوقعة أني أخاف من حد تاني منهم وخصوصًا بشير.

"عيسوي حافظ عيسوي".

قالها وهو يطالع ملفه وصورته ويدقق بملامحه ثم عقب:

- النمط الغربي، امممم.

عادت لمجاورته فقال:

- هو صحيح جريء، بس ده ميمنعش أنه متهور جدا واللي زي ده ميتخافش منه بالعكس، اللي زي ده أسهل واحد فيهم يلبس في مصايب لأن تسرعه مش هيخليه يفكر، أهم مميزاته أنه مبدع بس دي حاجة متخوفيش.

زفرت بشدة ثم قامت واتجهت لمكتبها، ترك هو منضدة الاجتماعات واتجه ليجلس أمامها ودون انتظار تعقيبها قال بتحديد.

"إزاي تسيطري على الأربعة، السؤال اللي كان سبب في أنك تستعيني بيا في شركتك، تعرفي أنك محظوظة جدًّا يا فيروز".

وما استوقفها كان نطق اسمها بدون ألقاب، عندها لانت واستشعرت أن غضبها تلاشى، حركت جملته فيها الفضول فسألت:

– ليه؟

– لأن الأربعة الاختلافات اللي بينهم كفيلة توقعهم في بعض، لو عرفتي تستغلي الاختلافات دي كويس.

ساد الصمت وبدت حيرتها فتابع بثقة:

– تشكيك تخوين ومش بس كده، تعرفي ازاي وامتى تضربهم ببعض كويس".

ظلت على صمتها دون أسئلة تتطلع لوجهه وللحماسة البادية على ملامحه حتى وقف من مكانه وتحدث بصوت عالٍ يسترعي انتباهها.

"والبداية عند مسعود، الطموح اللي جواه نزعة قيادة، اديله صلاحيات مش من حقه، قوليله أنت اللي هتشرف على شغل الأربعة لأنك أحسن منهم وهو هيصدق، وساعتها أول المتضررين عيسوي، عيسوي اللي هيتمرد لأنه شايف أن ازاي مسعود يبقى رئيس عليه ويدخل فشغله، بتمرده هيحاول يقلب عليه الباقين عشان يثوروا

ويـاخدوا موقف، لكن بشير وعبد الشكور هيتخلوا عنه، عبد الشكور هيبعد نفسه عن المشاكل ويترووي منهم كل همه يستمر في شغله ويحافظ على مكانه و...

صمت ففهمت وهي من عقّب بسؤال:

- وبشير؟

تنهد وهو يكمل:

- لازم يحس بالدونية والتقليل منه، الشرقي بيحب اللي يقدر نظرته للأمور، اللي يقدر دماغه، نقاشاته وتحليلاته، أوعي ياخد الفرصة دي، دايمًا مسعود يضغطه وعيسوي يضغطه، وساعتها مش هيكره حد قدهم".

"فرِّق تسُد".

لم ينطق بها لكنه فندها بطريقة مثالية بحتة، لاحظ تشتتها وكأنها تفكر بكل ما قاله فقرر أن يطرق على الحديد الذي أشعله.

ببطء اتجه ناحيتها حتى جاورها ثم أسند يده اليسرى فوق مكتبها واليمنى فوق ظهر مقعدها وتسلل مباشر لأذنيها وعقّب:

- يعني مسألتنيش أنتِ هيكون دورك إيه في كل ده؟

تطلعت لوجهه بريبة فانزوت ابتسامة على شفتيه وهو يتطلع لعينيها ويكمل:

- عارفة قصة الملك اللي كان محتاج يسلم ابنه السلطة فقرر يختبره، جاب شوال مليان فيران وطلب منه أنه يخرجهم من الشوال

وبعدين يجمعهم مرة تانية، الأمير استلم الشوال وبمجرد ما فتحه كل الفيران جريت وفشل في الاختبار، تاني يوم جه والده وجاب شوال تاني وقرر يعلم ابنه أهم درس في السيطرة، مسك الشوال المليان بالفيران وقبل ما يفتحه فضل يخبطه في الأرض والحيطان وبعدها فتحه، ساعتها مفيش فار اتحرك من مكانه ومسك كل الفيران ورجعهم الشوال مرة تانية، كل ده عشان يعلم الأمير أهم دروس السلطة.

"إذا أردت أن تملك زمام القوة، فاسعَ خلف إنهاك ضحاياك نفسيًّا وجسديًّا".

وبعد نفسٍ عميق أكمل:

- كل فار جوه الشوال مكانش شايف غير خبط بقية الفيران فيه، وكل فار مكناش قادر يقاوم كل الضرب اللي بيتعرضله لوحده، لما خرج منهك، مشافش غير اللحظة اللي مناحهاله الملك وهو بيخرج من الشوال عشان يتنفس، وساعتها كانت نظرته الوحيدة للملك هي الامتنان والشكر، لأنه خلاه يبعد عن الفيران اللي كانت بتضربه ويرتاح ويتنفس، فهمتي".

"ربما".

لم تنطق بها ولكنها كانت لسان حالها، ربما فهمت وربما سيطر عليها الآن عجزها، الكلمات واضحة لكنها صدقًا مرعبة، الأمر ليس بالصعب ورغم هذا مخيف، ظنونها أنها ستزعق كما اعتادت تلاشت، وما رأته بعين عارف كان جملة واحدة.

"آن أوان كل تصرف قذر".

اليويو هم، والخيط بيدك، ولشدِّه وإرخائه متعة خاصة لا تضاهيها متع، أنت السيد وهم العبيد ومكنون أنفسهم رضا، تستعبدهم فيسبب ذلك انتشاءهم، وكأنهم سعداء بأسر عقولهم، بل هم من سيقدمونها على طبق من ذهب.

"فيروز".

والنداء باسمها انتشلها من شرودها لتجده يقرر بعدها:

– القرار ليكي ومن أول بكرة ممكن أقولك اللي هتعمليه معاهم بالظبط ومن هنا لبكرة فكري، ولو عايزة تغيري رأيك مفيش مشكلة، أما بقى لو عايزة تكملي فـــ.......

أخرج من جيبه الكارت الخاص به وضعه أمامها ثم أكمل:

– ده عنوان فيلتي هاستناكي بكرة الساعة 8 نكمل كلامنا واعتبريه عشاء عمل.

قال جملته وخرج متجهًا للمصعد غير متوقع أن هناك من كان ينتظره وما إن وقف حتى سمع من عقّب من خلفه:

"فريد يبقى دعبس مش كده، صبي القهوة اللي كان شغال في الحلمية، اختفى بعد قعدتك في القهوة وكلامك مع الناس عن جهاز يقدر يعمل حاجات كتير لتغيير البشر".

والصوت محمل بالحزن بالكاد يتماسك صاحبه، يرتعش كمن يموت من القهر ويقاوم حد إقرار أن هزيل النفس لديه قوة، صوت

فرض على عارف الالتفاف وعلى ما يبدو لم يخب ظنه به، ذلك الضعيف صاحب العقل القوي.

"بشير".

"أيوة أنا بشير يا دكتور عارف".

***

التجربة

(11)

خرج من مكتب فيروز وهو على يقين بأن ساعات تفصله عن بدء تجربته، ليجد بشير بانتظاره ينظر له بحدة بعدما قال ما في جعبته، وما ظنه بشير بأن عارف سيضطرب من كلماته لكن ما وجده كان ابتسامة هادئة وهو يمد يده ليصافحه مُعقِّبًا:

– أنا سعيد قوي إني اتعرفت عليك.

لكن حال بشير لم يكن كذلك، نظر ليده الممدودة نظرة ازدراء ثم عقد ذراعيه أمام صدره، فسحب عارف يده واتسعت ابتسامته وهو يكمل:

– على كل حال، فرصة سعيدة.

قالها والتفت ليرحل فهتف بشير:

– مش قادر تواجهني بعد ما كشفتك، بتديني ضهرك وتمشي يا جبان.

ورغمًا عنه تعالت ضحكاته بهستريا فرضت على بشير الغيظ ثم أتاه تعليقه باستهزاء:

- شكلك بتتفرج على أفلام أبيض وأسود كتير، الديالوج ده اهْرس من الخمسينات على فكرة.

عاد للضحك رغمًا عنه ثم هدأ ليجيب:

- الحقيقة أنا مش فاهم أي حاجة من كلامك.

- لا فاهم كويس قوي، بس عايزك تعرف إني مش هاسكت وهأعرف كل الناس حقيقتك وحقيقة فريد وابقى وريني هتواجه الناس إزاي ساعتها.

عقد عارف ذراعيه أمام صدره ثم أجاب ببرود: شوف أنا كنت محتار إزاي أمهد لمسألة فريد، إزاي الناس تعرف إن صبي القهوة بقى نجم الموسم، فلو ناوي تعرف الناس بالنيابة عني، أبقى شاكر جدًّا ليك، واهو تبقى وفرت عليا.

- يعني مش فارق معاك إن الناس تعرف الحقيقة.

- هو كان فرق قبل كده، نسيت اللي حصل في المسابقة.

والنظرات من بشير كانت بين تيه وضياع وعارف يُكمل:

- ومين قالك إني مش عايز الناس تعرف، إمال هنعمل دعاية للفيلم والمركز إزاي؟

انزوت الابتسامة على ثغره بانتصار ثم تابَعَ:

- دعبس بقى فريد لما دخل بــ"توقيت جرينتش"، وشوف أنت ساعتها كام واحد هيدخل الفيلم للفيلم وكام واحد هيدخل الفيلم عشان يشوف فريد نفسه، وتخيل بقى بعدها لو طلع وقال أنك حقود

وانتهازي وعايز تشهر بيه، ساعتها هيتفتح في وشك طوفان من ألتراس البنات والولاد اللي بيدعموه على فيس، وساعتها هتتأكد إن الناس بتكره اللي يقولها الحقيقة، لكن ده ميمنعيش أنك لو ناوي على الخطوة، جو أون، اعمل البوست وأكتب عن عارف النصاب وفريد الغشاش وأول ما تنزل البوست ده أعملي منشن، هتلاقي الأكونت بتاعي باسم "د.عارف أبو العزم"، ومش هادخل اشتم أو أقول كداب، ده أنا هاعملك لايك وأقولك ميرسي.

وما ظنه بشير فخًّا بانتظار عارف رأى انزلاق قدمه فيه، همهم بضيق: أنت مين بالظبط وبتعمل كل ده ليه، وجيت الشركة هنا ليه؟

– فعلًا دماغك استثناء، أنت نفسك استثناء يا بشير، ألف خسارة إن الدماغ دي مدفونة في المكان ده.

قالها وهو يشير للشركة ثم التفت راحلًا وهو يُدرك كيف هي الحالة التي ترك عليها بشير.

***

تبدلت هيئته عن الأمس، بدا وكأنه يحمل هم الدنيا فوق رأسه، شارد وبصعوبة يستمع لها حتى منحته ما كتبت ليقرأ.

تنهَّد بضيق ثم مد يده يتناوله منها دون تعليق، ففرض عليها التعقيب:

– واضح إن حضرتك متضايق، تحب نأجل كلامنا لوقت تاني.

– أبدًا.

قالها بفارغ صبر وما إن انتهى من القراءة حتى زفر بكل ما يملك وقال بحدة:

- وإيه فايدة اللي أنت كتباه ده.

- بس ده مكانش كلام حضرتك إمبارح.

"لقد أسمعت لو ناديت حيًّـا ولكن لا حياة لمـن تنـادي".

قالها بيأس صريح ونظرة بائسة، فصمتت ولم تُعقِّب بينما ترك هو مكتبه ووقف بالنافذة التي كانت تطلُّ على ساحة كليته، ناظرًا لجيل كامل سيخرج من هنا يومًا ما ليكمل مسيرة الأعلام؛ فهل من أملٍ؟!

"تعرف يا دكتور، بيت الشعر ده تم اقتباسه بين الشعراء من أول الشعر الجاهلي لغاية الشعر الحديث، وإلى الآن محدش عارف مين اللي كتبه، اتكرر واتعاد مش شرط عشان نفهم إن مفيش فايدة، إنما يمكن عشان نعرف أنه في كل زمن بيظهر اللي ينادي، حتى لو محدش سمعه".

انزوت ابتسامة على ثغره وعاد لمقعده فكر لثوانٍ ثم سألها إن كان بإمكانه أن يحكي لها عن ابنته، عن حمل ثقيل كان ولا يزال يؤرقه سمعته حتى توقف وزفر بأنين منتظرًا تعقيبها، فسألت:

- ليه حضرتك كذبت عليها؟

- كنت مضطر، جايز معنديش نفس مرض والدها بس مش معنى كده إني سليم، ودي بنتي الوحيدة، لو جرالي حاجة هتعمل إيه من بعدي.

خَفَقَ قلبها لذكرى والديها ووفاتهما وشعرت بقلقه فقررت الإجابة بتفهم:

– محدش بيموت بموت حد عزيز، وإلا أنا وأختي كنا موتنا بموت بابا وماما، بعد الشر على حضرتك طبعًا، ولو كده فكان أي حد من اللي اتقدموا، اسمعنى يعني بشير.

ردَّ مؤكدًا:

– أهله ناس محترمين، وراجل أقدر أأتمنه على بنتي.

– ده جواز يا دكتور يعني مينفعيش يجي بالغصب.

– أنا مفكرتش غير في حاجة واحدة أطمن على بنتي وبس.

ألجمتها الجملة فلم تنطق، محظوظة صبا ولكنها لا تدري، أب يخاف وحبيب يسعى ليكسب قلبها، ليتها تستفق قبل فوات الآوان.

قطع حوارها رنين هاتف بغدادي وقد علمت أن خطيب ابنته بالطريق إليه فاستأذنت واتجهت للمكتبة، حاولت أن تقرأ بأحد الكتب، ولكنها لم تستطع، فبحثت بحقيبتها عن اللبان الذي اعتادت مضغه بنكهة الفراولة، وجدت بالعلبة آخر ثلاث قطع، فالتهمتها دفعة واحدة، وانزوت بوجهها لتصنع من اللبان بالونات ثم تقوم بفرقعتها، فهي لازمة تفعلها رغمًا عنها كلما شعرت بالتوتر، حتى قاطعها رنين هاتفها باتصال من مديرة الحضانة التي تعمل بها كان آخر ما ينقصها، كان هناك مشكلة بخصوص كنزي عبد الشكور بحاجة لحضورها على وجه السرعة.

قررت قبل رحيلها أن تمر بمكتب بغدادي للاطمئنان عليه وقبل طرق الباب استوقفها صوت الزعيق وقد استشعرت إهانة أستاذها:

- يعني هي كانت رافضة بس حضرتك خلتها توافق بكذبة كذبتها، ولما عرفت الحقيقة فركشت، طيب وأنا:

- بشيـــ....

قاطعه محتدًّا وأكمل:

- هتعتذر؟!

"سوري أننا مفكرناش فيك يا بشير واحنا بندوس عليك في النص عشان الموضوع كان لعبة، وطظ في مشاعرك وكرامتك ورجولتك اللي اتبعترت".

- أنا آسف يا ابني أنا...

ولأن نظرة بشير له ملؤها الكبرياء، بُتِرت الكلمات بفمه، ابتلع بقية جملته وصمت، وطيف ابتسامة ساخرة على شفتي بشير ظهر ثم عقب بعدها متهكمًا:

- وفر أسفك يا دكتور بغدادي، يكفي أنك هتحط إيدك في إيد صبي القهوة، طالما ده اللي هيسعد صبا، بس عايزك قبلها تسأل عنه كويس، ولا يكفيك أنك هتحط إيدك في إيد دكتور عارف، عموما أنتم الاتنين لايقين على بعض، واحد نصاب والتاني كداب.

قالها بحدة فرضت على أيتن الدخول لرد كرامة أستاذها، وكعادتها ستضع نفسها بالمشكلات دون أن تفكر.

"أنت إزاي تسمح لنفسك تتكلم مع راجل في سن والدك بطريقة دي".

"أيتن"؟

قالها بغدادي علها تسكت، لكنها وقفت قبالة بشير وأكملت: مهما كان اللي حصل، دي عمرها ما هتكون طريقة نقاش أبدًا.

– وأنتِ مالك.

هتف بها بشير بغيظ فقررت ألا تسكت:

– لما أستاذي يتعرض للإهانة قدامي يبقى مالي ونص، أنت فاكرني هاخاف منك.

"كفاية يا أيتن، أرجوكي".

وأمام توسلات بغدادي لم تملك إلا أن تصمت، وقد هوى الرجل على أقرب مقعد بينما بشير طالعه باحتقار مقررًا المغادرة.

– مسكين.

قالها ما إن رحل بشير وقد نكس رأسه شاعرًا [illegible] أيتن قبالته وعقّبت:

– لا يا دكتور، ده شخص مش محترم، أكيد ربنا نجا الآنسة صبا منه، ثم مين دعبس ده اللي حضرتك ممكن تجوزه لبنتك، ده...

صمتت وكأن عقلها في أقل من دقيقة رتب الأمر ففهمت وهتفت: معقول؟!

بدا واضحًا أن دكتور بغدادي سيرحل، شعرت بالقلق عليه فعرضت أن تساعده لكنه شكرها فغادرت، ثم اتجه بغدادي لسيارته وكل ما بات مسيطرًا على عقله فكرة واحدة، لن يترك عارف دون فضحه.

***

عاد من عمله قبل موعده، اندفع نحو غرفة إسماعيل وكأنه ما عاد يُميِّز هو بأي شخص ينوي أن ينفجر، والصاعق أن الغرفة فارغة، والصادم إعلان السبب.

فقد ذهب مع عيسوي لزيارة والدته بالمشفى.

"عيسوي"؟

قالها بشير بغيظ ثم زعق:

– طبعا ما عشان مصلحته لازم يجري مع عيسوي.

– أنت اتجننت يا بشير؟

قالتها اعتماد مذهولة من تصرفات ابنها الذي هتف فيها:

– أنتم خليتوا فيا عقل، عيسوي وأمه أخدوا جدو مننا، راح معاه يخطبله امبارح ورجع مفكرش يسأل عليا عشان سي عيسوي عمل مشكلة مع أمه وجه بات معنا، ومها وحسن بقوا سمنة على عسل، وأنا بقى مين حاسس باللي أنا فيه، مين جنبي في لحظة زي دي.

قالها بأسى ثم ضرب أحد المقاعد بقدمه وغادر المنزل كالأمس وعاد مساء متأخرًا.

طرق إسماعيل بابه فتظاهر بالنوم وعندها عاد لغرفته، تردد كثيرًا في سرد ما عنده خشية أن يجرح مشاعره، فاليوم قد تم تحديد خطبة شجن وعيسوي بالمشفى.

ولو بدا ذلك غريبًا فإنه قد حدث، فمن نقل والدة عيسوي للمشفى كان والد شجن حين توجَّها لبيتها هو وابنته برفقة عماد على إثر مكالمة منها لصديق ابنها استشعر فيها إعياءها، وطوال الليل لم يرد عيسوي على مكالماتهم واكتفى بالمبيت بمنزل بشير دون إخبارها، ومع الصباح رد وما إن عرف حتى غادر برفقة إسماعيل، اطمأنَّ على والدته، واعتذر عما فعله، وهناك تبدل حديث شجن معه وقد أعلنت له عن موافقتها على طلبه، بل واعتذت بدورها على الطريقة التي عاملته بها.

فهل أجبروها؟

بدا واضحًا أن الإجابة لا، حتى مشيرة قد تغير موقفها وباتت سعيدة بما حدث فانهالت التبريكات على كليهما، عندها قرر إسماعيل بدوره حسم موقفه وإخبار عيسوي بنيته في الارتباط بوالدته، ولكن هل سيفرح بشير لو علم؟

***

أغلق على نفسه باب غرفة مكتبه منذ عودته، لم يشعر بالتشويش يجتاح عقله على مدار سنوات حياته كما يشعر اليوم، ترك ابنته بجوار الروايات لتهرب بها من الواقع وهرب هو لكتبه ودروسه وطلابه.

واليوم تتجلى أمام عينه صورة الواقع دون رتوش، رحلت زوجته وبدلًا من أن يحاول تعويض وجودها دمر بقايا علاقته بابنته، عادت صبا وهي بدورها ظلت بغرفتها تحلم بالغد، تحلم بمقابلة النجم، فعارف بنهاية اليوم أخبرها أن فريد سينتظرها غدًا، لقد عرف اسمها؟

خفق قلبها بقوة وعادت تطالع مقاطع الفيديو خاصته بينما أمسك بغدادي بقلمه مقررًا إعلان الحرب على غريمه بطريقته، تذكر عرض من إحدى الجرائد لكتابة مقالات يومية فاتصل برئيس تحريرها وعرض فكرته.

والثاني رحَّب، بل شجَّعه بكل ما يملك، لو صدق بغدادي وكتب مقالات أشعل بها الحرب على عارف فهذا يعني أن الجريدة ستبيع أضعاف مبيعاتها، فالفضائح دومًا جاذبة، أمسك بغدادي قلمه وكتب.

"براغادينو عصره ظهر، دكتور يدرس الطب الإيحائي ويغير من حياة البشر بما يملك من علم لا يدري أحد مصدره، أما عن الباطن فحدِّث ولا حرج، اسألوه من تكون نانسي، اسألوه من يكون فريد، ودعونا نفند معًا أكبر عملية نصب نتعرض لها لنسأل من وراءها ومن المستفيد منها".

وما إن انتهى منه حتى أرسله كاملًا عبر بريده الإلكتروني، وتنهَّد لأنه سيسبق عارف بخطوة، وبصباح اليوم التالي كانت النتيجة المنتظرة، بدلت صبا ملابسها وتأنقت لتكون الأجمل، وتوجهت للاستديو ومن خلال التصريح دخلت، كان يتدرب من أجل فيلمه

القادم يتوسط عدة رجال مفتولي العضلات يضربهم لا بل يوسعهم الضرب واللكم بكل قوة:

هيييييح.

والتمتمة من إحدى الواقفات بجانبها:

"يا اختي عليه"!

وغيرة ما كانت تظنها ستظهر لكنها ظهرت وبقوة خد أمنية أن تقتلع عين كل واحدة منهن لأنها تشاركها مشاهدته، أنهى التدريب فأمسك بزجاجة ماء ورفعها على فمه ليرشف منها وما تبقى سكبه فوق رأسه ثم نفضه وتابعت هي قطرات الماء التي تتسابق في الهطول من شعره لتلامس عضلاته، وقد ناوله مساعده منشفة وقميصًا جافًا عوضًا عن ذلك الذي يرتديه.

هل سيبدله هنا؟

لم تنتظر أن يفعل وقد اضطربت كل مشاعرها دفعة واحدة: خجل حب، خوف وغيرة، عليها أن ترحل من هنا، فاتجهت نحو السلم المعدني الذي صعدته من قبل بصعوبة ليزداد أساها لأنها تعثرت بالنزول، فكعب حذائها قد انحشر بين درجتين فكان عليها أن تخلعه، بكت بشدة فاجأتها من نفسها، لم تقابله وانحشر حذاؤها والآن هي مضطرة لخلع الزوج الآخر والسير حافية القدمين واللعنة لو رآها هكذا.

خطت بسرعة لتخرج من المكان لكنه استوقفها بندائه فالتفتت بصدمة لتجده يسأل وهو ممسك بزوج حذائها المحشور بيده:

- بتاعتك؟

هزت رأسها بنفي قاطع وقد حاولت أن تمسح آثار الدموع من وجهها وجوابها فرض عليه أن يضحك وهو يرى الزوج الآخر من ذات الحذاء بيدها فصمتت ثم مدت يدها لتتناول منه زوج حذائها لكنه لم يفعل بل جثا على إحدى ركبتيه ليلبسها إياه بيده ولم تصدق أنه فعل، بل تناول منها الزوج الآخر ليكتمل ارتداءها للحذاء، وبعدها رفع يده ليستند عليها ليقف لكنها ابتعدت، فهتف بأسى مصطنع:

- يعني أنا هافضل على كده، الله يسامحك ده بدل ما تساعديني أقوم.

توقّفت لحظة لكنها خشيت أن تلتفت فلحق هو بها يهتف:

- سندريلا.

فوقفت وابتسمت والتفتت تطالعه فابتسم ثم تمتمت:

- صبا اسمي صبا.

لكنه رغم معرفة اسمها أعاد النداء والتعقيب:

- يا سندريلا هتروحي إزاي بس بجزمتك بعد ما كعبها اتكسر.

والكلمة استوقفتها فوقفت بمكانها وكأنها لا تجد إجابة، فلَحِقَ بها وقرَّر:

- ممكن تيجي معايا، وأكيد في أوضة اللبس هيكون في جزمة مقاسك، ومتقلقيش مش هادفعك تمنها.

ولو لم يتوقف عن مجاملاته واهتمامه فإن قلبها سيقف، أشار لها أن تتبعه فبدت خطواتها غير منتظمة فعقب بجرأة:

- ممكن تتسندي عليا لحد ما نوصل، أنا مش هاضايق على فكرة.

احمرت وجنتاها وصمتت خاصة بعدما أتى واحد من مساعديه ليخبره بأمر بدا واضحًا أنه ذو أهمية قصوى، أعطاه إحدى الجرائد وقد قرأ له ما فيها وعندها تغيرت ملامحه، قبض على الجريدة بكل عصبية ثم قذفها أرضًا والتقط هاتفه وابتعد قليلًا ليهاتف أحدهم، جنها الفضول لتعرف سرَّ عصبيته فالتقطت الجريدة لتقرأ ما بها، قرأت العنوان وأيقنت أنه من أحد أعداء النجاح الذين استفزهم نجاح عائلة أبو العزم، وقبل أن تقذف الجريدة تتطلعت للصورة والاسم "بقلم: بغدادي أيوب".

(12)

خطت ببطء متجهة نحو مكتبها وقد تبدّل حالها عن الأمس، وجهها عابس كالعادة، ولكنها ما عادت تزعق، جلست على مكتبها وأخرجت الأوراق التي كتبها عارف والتي أسماها بـ"الجهات الأربع" وقد قررت أن تجتمع بهم فطلبت من مدبولي إخبارهم فاتجه للمقلوب حالهم.

مسعود.

منذ ذلك اليوم ولم يعد هو، بالطريقة ذاتها التي تعامل بها مع حماته تعامل مع صاحب شقته، كسر قدمه ثم أرغمه على تمديد عقد الشقة لثلاث سنوات إضافية، تصرفات أيقن بها أن الأخلاق نقمة، وعادت معه درة لكن ثمة شيئًا كُسر بينهما، حد شعور مؤلم بأن درة كرهته.

عبد الشكور.

حزين مهموم فزوجته لا تريد الغفران وابنته تأثرت للحد الذي فرض على حضانتها الاتصال به لإخباره أن ابنته "تتبول بشكل لا إرادي" نتيجة تأثر نفسيتها وأن الأمر تكرر على مدار يومين، بينما لولا تلاحقه باتصالاتها كي يعود للعمل معها.

بشير.

صامت ناقم غير مكترث بأحد، حد استيقاظه ومغادرته المترل مبكرًا ليتفادى جده.

عيسوي.

مُرتبك، مُشتت ليس فقط من طلب إسماعيل بل من موافقة شجن، لظنه أنها وافقت مرغمة، وماذا لو وافقت والدته على إسماعيل، بل أليس من حقّها؟

التفوا حول الطاولة وهيئتهم بالمقارنة بما كتبه عارف عنهم زادت من تشتتها، فهل ستخسر لو نفذت ما قاله؟

قطعت ترددها وبدأت كلامها بالإعلان عن مشروع جديد ستنفذه الشركة، وكان الأمر ليبدو اعتياديًّا لو أنها كلّفت كل واحد منهم بمهامه ككل مرة، إلا أنها قررت إعلان الاستثناء حين نظرت لمسعود لتقرر: مسعود هيكون المدير التنفيذي، والمشرف على شغلكم كلكم.

وبقية جملتها قالتها وهي تنظر للبقية الذين صدمهم ما سمعوا، لكنهم تمهلوا لعلها تكمل كلامها فيكتشفوا أنهم سينالون من إغداقها جانب، لكن الصدمة زادت بسحبها من مهام عبد الشكور وعيسوي لتوسع صلاحيات مسعود، تصرف فرض على المتهور الشعور بالضيق فعقّب:

- يعني إيه كل رسم هندسي ارجع فيه لمسعود ويشترط موافقته عليه، هو مدني وأنا عمارة، وفي فنيات كتير مسعود عمره ما هيكون ملم بيها، لأنه مش هيفهمها.

والجملة أشعرت مسعود أنه يتعمد إهانته؛ ولأنه قد أقسم بعدم التهاون مع أحد لم يفرق بين زميله وعدوه فصاح بغضب:

- أعتقد في طريقة أفضل من كده للنقاش.

- أنا باتكلم كويس وكلامي واضح، ولا أنت عايز تعمل مدير من دلوقتي.

"عيسوي".

والزعيق منها فرض عليه أن يصمت ثم طالع بشير وعبد الشكور بكل غيظ لأنهما لم يعترضا، ولأنها أكملت كلامها التفت إليها يسمع:

- اللي أنا أمرت بيه هو اللي هيتنفذ، ودلوقتي اتفضلوا كل واحد على مكتبه.

ورغم قهر عبد الشكور فإنه لم ينطق، خرج بينما تبادل عيسوي ومسعود نظرات نارية فالأول مغتاظ والثاني يبتسم بتشفٍّ، وقبل أن يلتفت بشير للخروج استوقفه نداؤها وهي تحدد:

- استنى أنت.

وكما أمرت فعل واتجه ليجلس قبالة مكتبها، بدا غير مبالٍ بكل ما قالته وعندها سألت:

- أخبارك إيه أنت وصبا.

أجاب باقتضاب:

- كل شيء قسمة ونصيب، وأتمنى أننا نتكلم في الشغل أفضل.

وطريقته فرضت عليها أن تطالعه وكأنها تراه لأول مرة، كونه يُحدِّد بحسم إلى أي دفةٍ سيتجه الحوار، فهل عليها بالفعل أن تشعر بالقلق منه؟

- بشير لو طلبت منك تقرير مفصل عن ثغرات الشركة ممكن تفيدني؟

"ثغرات".

قالها مندهش وكأنه لم يفهم المقصد فعقَّبت:

- قصدي المشاكل المالية أو الإدراية اللي واضحة لك.

وعيناه التمعت ببريق وكأنه عكس ما دار بعقله، بدا وكأنه سيسأل: أهو تقرير سيكتب من أجل عارف أم أنه اختبار لشخصه، ودون إفصاح لِما دار بخلده جاء رده: تمام، عشر دقايق ويكون على مكتبك.

- بس.

- الموضوع بسيط، أنا كل يوم باكتب ورقة وبأرخها بتاريخ يومها بافصل فيها أي مشكلة حصلت وباسجل أي حاجة مهمة عشان لو حصل أي حاجة على مدار الأسبوع أرجعلها، وممكن أجيب لحضرتك أوراق الأسبوع ده تراجعيها بنفسك.

عادت تطالعه بشك وبدا وكأنها تختبره حين سألت:

- وإيه أكتر مشكلة موجودة حاليًا؟

- أكيد هنغير التعامل مع المقاول اللي كان في كومبوند مدينة نصر لولا رجوع مسعود كانت هتحصل مشاكل أكتر، الفترة اللي غابها، حصل تهدير في المون، عامل من عنده كان بيسرق من الأسمنت، والأزمة دي خلصت وهو مشاه، كمان في مناقصة هتطرح كمان أسبوعين تبع هيئة الإسكان هابعت لحضرتك كراسة الشروط تدرسيها ولا أرجع لمسعود بما أنه بقى المدير.

قالها بنبرة ساخرة فرضت على فيروز النظر بحدة ثم ردت:

- أنت تحديدًا يا بشير شغلك هيكون معايا، تقدر تتفضل.

غادر بينما ظلت هي تجوب الغرفة بتوتر ثم اتجهت صوب حاسوبها تتطالع المواقع الإخبارية الخاصة بالصحف التي اعتادت قراءتها للتُفاجأ بضجة على إثر مقال للدكتور بغدادي أيوب، وغالبية التعليقات قد قررت أن تدافع:

"عارف أبو العزم لا يمكن يكون نصاب".

***

لم يشعر بحياته أن عليه الندم حيال شيء، فعله بقدر الندم على مقاله بحق عارف، تلك الضجة التي حدثت على مدار اليوم فرضت عليه الخوف، وما زاده كان تعليق رئيس تحرير الجريدة:

"المبيعات وهمية يا دكتور بغدادي، أنت كنت فين من زمان يا راجل"!

مؤكدًا انتظاره مقال الغد بفارغ الصبر.

زفر وأنهى المكالمة وسؤال واحد يئنُّ برأسه؛ هل قرأت صبا ما كتبه؟

والإجابة كانت نعم، قرأت ما بالجريدة ولم تنتظر حتى عودته للمنزل فاتجهت لمكان عمله، كان بمكتبه يقاوم فكرة إلغاء المحاضرة، يُمني نفسه أن تأتيَ أيتن ويتحدث إليها، أو يتحدث لشكري أو إسماعيل.

لِمَ التشتت ما دمتَ على الحق؟ الحق بالنهاية ينتصر.

ورغم التوتر اتجه للمدرج لتصدمه رؤيتها، تركت عملها وأتت باكية، ممسكة بالجريدة في يدها تطالعه بضجر، خطا عدة خطوات نحوها فرضت الاندهاش على الطلاب الذين تجمعوا من حولهم، وقد أخرجوا هواتفهم لتصوير مقطع فيديو استثنائي لأستاذهم وابنته.

"صبا".

قذفت الجريدة بالأرض وخطت نحوه تدعسها بقدمها حتى وقفت أمامه تعقد ذراعيها أمام صدرها وهي تعقب:

– كذب كل كلامك كذب، كل وعودك كذب، كله كذب يا دكتور بغدادي.

تعقيب قاتل، التفاف أكبر، طلاب أكثر، والهمهمة بينهم مفادها الدكتور بغدادي كاذب بشهادة ابنته، دليل قوي أن عارف نزيه والأمر سيتأكد حين يتم تداول الفيديو عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

"أنا يا صبا، أنا كداب".

قالها بحسرة، حسرة أب يرى خسارة ابنته ويشهد الأمر طلابه وزملاؤه وهي لن تتوانى بل ستكمل:

- كدبت عليا عشان تجبرني أتجوز واحد مبحبوش ودلوقتي بتكدب عشان إيه، بتشهر براجل محترم وعيلته ليه، عشان الشهرة ولا الفلوس، ولا في غرض تاني ومش عايز الناس تعرفه.

ولولا المكانَ والناس لكانت الإجابة صفعة تُفيقها، لكنه تماسَكَ وهي نظرت شزرًا وتابعت:

- لكن لعلمك الناس هتعرف الحقيقة مهما قُلت ومهما عملت، عن إذنك.

والتفتت راجلة وهو مُسمَّر بمكانه دون حراك، هل سيلتفت ليعود للمدرج ليبدأ محاضرته؟ هل سيدافع عن نفسه؟ لا لن يفعل!

إذًا هل سيكمل ما بدأه؟ شعر بالتشويش، ولكنه حَسَمَ أمره، نعم سيكمل.

***

خرج من عمله ودون وجهة هامَ بالشوارع، يفكر فيها، يتذكرها، ويُمني نفسه أن ينسى، حتى استوقفه صوت إسماعيل وهو يُنادي باسمه، فالتفت بشير بصدمة:

- أنت كنت جاي لعيسوي.

ضرب إسماعيل كفا بكف وهو يرد:

-آه طبعا وعشان كده مشيت وراك يمكن ألحقه.

صمت وكأنما شعر بالخجل من نفسه فسحبه إسماعيل من ذراعه وسأل:

- إيه رأيك هاعزمك ع الغدا، أعرف واحد بيبيع كبدة في العتبة هايل، تلاتة بس اللي ماتوا معاه لحد دلوقتي.

ضحك وقد شعر براحة ما إن تجاورا وسارا حتى وصلا لأحد المقاهي، ابتاع إسماعيل "سندوتشات الكبدة والطعمية والمخلل" وطلب المشروب المفضل لبشير "السحلب"، وتناولا طعامهما ليتفاجأ بشير بأن جده قد هاتف بغدادي وعرف، نكس بشير رأسه وصمت فرفع إسماعيل وجهه لينظر في عينه ثم عقب:

- أنا متأكد إن جواك كلام كتير يا بشير، إيه رأيك نخلص الأكل ونطلب الطاولة ونتكلم للصبح؟

وببعض دموع ترقرقت بعينه أومأ رأسه بالإيجاب وعلق بندم:

- ربنا يخليك ليا يا جدي.

***

دون مقدمات عاد لمنزله، ورنا بالتأكيد لن تعير وجوده أي اهتمام إلا أن كنزي سعيدة، هتفت عند رؤيته بفرحة مبتورة، احتضنها بشدة وقبّلها ومن ثم أخوها ثم اتجه إلى غرفة نومه ليضع حقيبة ملابسه وقد قرر أن يغتسل ويبدل ثيابه ثم يعود أدراجه للمكوث بجوار أبنائه وهو يمسك بيده كيسًا مملوءًا بالحلوى أحضره لأجلهما.

"كتري نفسيتها متأثرة جدًّا يا أستاذ عبد الشكور، يا ريت تتعاملوا حضرتك ووالدتها مع الموقف بهدوء، طالما الموضوع نفسي مش عضوي، وربنا يطمنكم عليها".

تلك الكلمات التي قالتها أيتن له بالأمس عبر مكالمة هاتفية، وكأنها قررت أن تضعه أمام مسؤولية وجوده فقرر عندها ألا ينتظر وعاد، لطالما كان يعلم مدى تعلق أولاده به وخصوصًا كتري، وربما هذا ما زاد صدمتها بأبيها الحنون.

"كل الحاجات الحلوة دي عشاني أنا وتيم".

قالتها بانبهار فأجلسها وأخاها فوق قدمه وقال:

– آه يا ستي، كلها عشانكم.

نظرت لوجهه وسألت:

– أنت مش هتيجي تاني.

– ليه بتقولي كده؟

– ماما قالت لتيتة أنكم هتطلقوا، وكلهم زعلانين منك.

طوّقها وأخوها بذراعه وجلس معهم يطالع قناة الكرتون حتى نام تيم بحضنه، دثّره بسريره وظن أن كتري ستفعل مثله، لكنها عادت لحوارها:

– هي ميس أيتن كلمتك؟

وقبل أن يرد بكت بشدة، تسرد ما حدث معها، تحكي عن تعنيفها من إحدى المدرسات وزعيق أيتن لأجلها وقد طلبت منهم تفهم ظروفها، ورد فعل والدها التي كالعادة اتهمتها بالغباء.

أجهشت بالبكاء فضمها إلى صدره، ولم تستطع مرة أخرى السيطرة على الأمر، ارتعشت وتبوَّلت وخافت حين سمعت رنا تزعق، وهو من تدخل استوقف زوجته وهدَّد:

– رنا لو مش هتعرفي تتصرفي صح متدخليش أصلًا.

وكانت تلك أول جملة وجَّهها لها منذ عودته، تلاها أمر بإحضار ملابس نظيفة لكتري وهو من نظفها وبدَّل لها ثيابها، وبقيَ بجوارها حتى نامت وآثر هو النوم بجوارها.

لم تشعر رنا بالغيظ قدر شعورها به اليوم، عاد يفرض وجوده دون اعتذار، عاد مُقرِّرًا تجاهلها، شيء ما دفعها للتفتيش مرة أخرى بهاتفه، ويا لتبجحه! لم يغير كلمة السر التي تعرفها، ربما لترى رسائل الاعتذار والتودُّد من لوللا.

"الحقير لسه بيكلمها وبتكلمه".

قالتها ووضعت الهاتف والتفتت لتصطدم به خلفها يُحدِّق بها بأسًى ودون أن يعقب بكلمة سحب هاتفه لضبط المنبه، ثم حضَّر لنفسه العشاء وأكل وحده وعاد ليجاور كتري النوم، والحسرة تأكل قلبه، تبحث عن أي ثغرة تُثير بها المشكلات، دون محاولة استيعاب واحدة له هو.

أوقفت سيارتها أمام فيلا عارف أبو العزم يملؤها التردد، بقدر ما فكرت بالمجيء بقدر ما فكرت بألا تراه مرة أخرى، وكان باستطاعتها أن تفعل؛ ترسل المبلغ المتفق مع أحدهم وتبتعد عن ذلك الرجل الذي يُثير جنونها، لكنها بنهاية المطاف أتت، والخلاصة هي تريد رؤيته.

طرقت باب الفيلا وانتظرت أن يفتح واحد من الخدم، لتُفاجأ به يفتح الباب بنفسه وأول تعليق من صاحب الحُلة المنمقة كان:

- في وقتك.

تقدمت خطوة وأغلق الباب وجاورها وهو يتابع:

- اتفضلي.

تطلعت للمكان من حولها بريبة، بدا هادئًا وغير مُستأنس، شعور بالانقباض قابَله شعور بالانجذاب لا إراديًا لذلك الغامض الذي أثار فضولها حد السعي لسبر أغواره، ربما تريد فرض سطوتها عليه بقدر فرض سطوته عليها، فللقوة مذاق خاص لا يدركه كُثر لكن ما إن تتذوقه مرة حتى يصيبك إدمانه.

- شاي.

قالها وهو يضع على المنضدة التي تقف أمامها صينية موضوع عليها فنجانان من الشاي لتكتشف أن الكلمة انتشلتها من قاع شرودها، جلس على الأريكة التي تُقابل المنضدة ثم أشار لها بيده كي تجلس، وحين فعلت عقّب:

- كنت متأكد إنك جاية.

وطريقته استفزت فيها قوة هو بات على يقين من أنها قشرة مهترئة، أكسبت صوتها نبرة ثقة وردت:

- أنا بس حبيت أدفعلك حساب الاستشارات بنفسي.

انزوت ابتسامة ساخرة على ثغره، بينما أخرجت هي دفتر شيكاتها لتسجل قيمة حسابه ووضعته فوق المنضدة ليكون في مقابلته، زادت ابتسامته وهو يمسك الشيك بيده ويضعه في جيبه وعندها سألت:

- هو أنت لوحدك؟ اقصد فين فريد ونانسي؟

- اعتبريهم مش موجودين؟

بدا باردا وهو يمنحها فنجان الشاي وقد بدأ يشرب من فنجانه، شعرت بالغيظ وسألت:

- إيه اللي خلاك متأكد إن خططك ممكن تنجح مع موظفيني.

- واضح أنك بدأتِ التنفيذ ولاقيتي النتيجة اللي قُلتهالك.

وقبل أن تهم بالرد تابع هو:

- وإلا مكونتيش جيتي تشكريني بنفسك.

"مغرور".

لم تنطقها ولكنها بدت في عينيها، ارتشفت من فنجانها ثم عقّبت:

- مجاوبتش على سؤالي.

ابتسم ببرود وأجاب:

– شغلي، شغلي اللي خلاني متأكد من النتيجة زي ما كنت متأكد أنك هتيجي.

– لو كنت خليت أي واحد فيهم مدير عليهم ده كان كفيل يفرق بينهم، اختيارك لمسعود مكنش فيه أي ميزة.

– تمام، تقدري تغيري الخطة وتنفيذي اللي يريحك أنت، أنا قلت رأيي وخلاص أخدت المقابل.

هدوء وبرود لم تعتده فرض عليها الغيظ فوضعت فنجان الشاي بعصبية ووقفت مقررة الرحيل، وما إن التفتت حتى استوقفها صوته بنبرة تحدٍّ وهو يجيب:

– عايزة تعرفي ليه مسعود بالذات.

وقف ثم خطا نحوها ونظر بعينيها وكأنه يسأل من منا سيسبر أغوار الآخر، خَفَقَ قلبها ولم تحدد أهو الخوف منه أم أنها مشاعر أخرى، حوط كتفيها بيديه ثم جذبها ناحيته بقوة فشهقت، ثم أدار جسدها لتجد نفسها أمام مرآة وهو يهتف فيها:

– بصي في المراية كويس، مسعود أكتر واحد فيهم يشبهلك، مسعود جواه البذرة اللي لو أتروت هيطلع منها ألعن ديكتاتور، البذرة دي مش موجودة إلا فيه هو، عبد الشكور أطيب واحد فيهم يوم ما هيحكمهم هيغلب الرحمة على قراراته وساعتها هيحبوه جدا، عيسوي هيديهم مساحة حرية يبدعوا ويطوروا من نفسهم تفتكري شخص زي ده ممكن يتكره، أما بشير بقى فبدقة تصرفاته لا تتوقعي

منه غلطة، لأنه هيقدرلهم الصغيرة ويكافئهم عليها قبل الكبيرة، مش معنى كلامي إن مسعود ظالم لكن أنتِ تقدري تخليه يظلمهم، فهمتي؟

أدارها لتُقابِل عينيه عيناها وكلما أمعن نظراته شعرت وكأنما يسحبها لمجهول باتت لا تدركه فأغمضت عينيها، هل ستستسلم ذات العرش لتعلن عن لحظة سقوطها، ظنت قرب أنفاسه سيُتوج بقبلة لكنه تركها وابتعد خطوتين لتتسمر هي بمكانها تطالعه بعينين ضائعتين، تترجاه إن كان يعرف الطريق أن يعيدها لمسارها لكنه بكل كبرياء لم يبالِ، آثرت الصمت فحدَّق إلى قسماتها وسأل:

– خايفة كلامي يطلع غلط ولا خايفة يكون صح.

– دي أول مرة أثق في حد غير فيروز.

– خلاص متثقيش.

– أنت مفيش حاجة بتفرق معاك أبدًا.

قالتها وقد ترقرقت بعينيها الدموع ليصدمها هو بإجابته:

– لا.

ثم خطا باتجاهها خطوة وأكمل:

– عارفة ليه، عشان عارف أبو العزم مش محتاج لحد، لكن أنتم اللي محتاجين له، مش عايزة تثقي متثقيش، عايزة تمشي امشي، عايزة تصدقي عارف صدقيه ولو عايزة تصدقي مقالة بغدادي الهاردة صدقيها، عارف يا فيروز عمره ما هيضيع من وقته ثانية يعمل فيها حساب لحد.

ارتجفت بكت زاد شتاها، هل ترحل أم تبقى، وكادت تسأل فقط لأنها باتت لا تعرف، وكأنها ستعلنها بوضوح، لقد فقدت عقلي، لم أجن ولكني عاجزة.

عاجزة عن الفرار.

عاجزة عن القرار.

عاجزة عن الاختيار.

أولاها ظهره فهمست:

- عارف.

لم يرد فاقتربت هي طوقت خصره بذراعيها علّها تعرف وعلى شفتيها ملمح ترجٍّ لم تصرح به رغم شعورها بالضعف وبدت كلماها وكأنها تتعلق ببقايا مقاومة حين قالت:

- أنا عمري ما وثقت في حد، وغصب عني شكيت في كل كلام بغدادي.

وبكلماها انتفض جاذبًا إياها من ذراعها لمعمله، حتى وصلا وكانا وجهًا لوجه أمام جهاز ظنَّت ألا وجود له، طالعته فهمس:

- توقيت جرينتش، ده بجد؟

أشار لجهازه وهو يُعقِّب بثقة:

- اللي بغدادي بجهله معتبره نصب ده يبقى أقوى اكتشاف في تاريخ البشرية، بغدادي بدماغه العتيقة متخيل إن نانسي وفريد بيمثلوا على الناس، لكن الحقيقة أنهم فعلًا اتغيروا.

وبعينيها أكمل بقية جملته:

– عارف بجهازه أو من غيره يقدر يغير الكون كله، تفتكري اللي القدرة دي عنده ممكن يوقفه حد.

والانبهار نفسه أقر بانبهاره بهذا الرجل.

"مَن أنت؟"

"عارف أبو العزم"

– أنت....أنت رائع!

– تقدري تمشي لو عايزة.

ومن علياء التعلُّق جاءت الجملة لتهوي بها أسفل سافلين، هو لا يبالي بقاءها من رحيلها.

– عايزني أمشي.

– أنا قلت لو عايزة.

وبين ضيق وانجذاب زاد التشتت التفتت لترحل فخطت ثلاث خطوات ثم عادت إليه، طوَّقت خصره بذراعيها وهي من أعلن عن المبادرة، والبداية قُبلة.

ظنت أنها ثمن كبير؛ أتظنه مراهقًا سيسعد بالفتات منها، الصياد الماهر إما أن يحصل على كامل الفريسة وإلا فلا قيمة لِما اصطاده.

قُبلة أخرى علَّه يرضى، لكنه لا يزال غير مُبالٍ، إذًا ستعلن التنازل إن أرادها فلا اعتراض، وتنازُل خلف تنازُل، وتنازُل يتبع

تنازلًا حد الفوز، نال فيروز، وهي من قدمت نفسها على طبق من نحاس، حتى انتهى الأمر برمته، أرضيتَ الآن؟

قام عنها يرتدي ملابسه ويُلقي لها فستانها بإهمال وهو يُعقِّب:

– اخرجي من الباب الخلفي عشان مش عايز حد يشوفك.

وكادت تبكي بل هي بكت وكأنه يتعمد إهانتها، ودون اهتمام ودَّعها حتى عادت لسيارتها، وكأنها استفاقت حين نظرت لوجهها بمرآة السيارة.

والآن...

"من أنتِ؟"

"لا أدري".

"فيروز عز".

"لا لم أعد بنت عز، فبنت عز اندثرت، ذاك لأنها معه اختارت المذلة".

***

مقال الثلاثاء.

والإعلان عن المقال يتصدر الصفحة الأولى.

"إلى متى سنترك عقولنا للأكاذيب، أليس منا رجل رشيد؟ لو أنه على حق لكان أقدر عليه أن يواجهنا".

كان إسماعيل بالمقهى حين نادى بائع الجرائد بحماسة مُروِّجًا الخبر الأهم، اشترى إسماعيل الجريدة ليقرأ المقال وما إن انتهى حتى تمتم:

- وأخوة اللي بتعمله ده إيه يا بغدادي؟

قلقٌ فُرض عليه أن يهاتفه ليكتشف أنه آثر المكوث بمنزله بعد ما حدث بالأمس مع صبا، حديث اعتمل صدره ففاض به لإسماعيل الذي قرر أن يتحدث إليها.

فاتجه لشركة الفيروز، التي انقلبت صباحًا لأكثر خبر صادم:

"مدام فيروز مش جاية النهاردة".

قالتها صبا ببالغ دهشتها بينما ذُهل مدبولي متمتمًا:

- دي عمرها ما عملتها، معقول تكون عيانة.

سمعهم عارف كونه أتى لتوه، وما إن رأته صبا حتى نكست رأسها، فهم نظرتها فانزوت ابتسامته، هل تريد الاعتذار نيابة عن والدها؟

فتح باب غرفة فيروز واتجه نحو مقعدها وجلس، تابعه مدبولي ثم صبا وقد شعر الأول ببالغ الغيظ، هل جاء للاستحواذ على مكان فيروز؟

طلب قهوته فخرج مدبولي لإعدادها، فقررت صبا أن تحسم أمرها وتعتذر عن مقالات والدها، والرد كان ابتسامة ودودة وهو يرد: - أنا عمري ما هأقدر ازعل منك، وهتستغربي لو قلتلك إني مش زعلان حتى من والدك.

- معقول يا دكتور عارف، بعد اللي عمله؟

- يا صبا، الشجرة المثمرة وحدها التي تقذف بالحجر، وأنا اتعودت على كده.

- حضرتك أخجلتني بتواضعك وسعة صدرك، أنا كده بقيت متضايقة أكتر من اللي بابا عمله.

كلمات فرضت على عارف أن يربت على كتفيها بأبوية حتى انصرفت.

وبعد خمس دقائق قرر الاجتماع بموظفي الشركة الذين أتوا تباعًا بينما اصطنعت صبا الانشغال كي تتفادى النظر لبشير الذي بدوره تجاهلها.

وعلى طاولة الاجتماعات كان اجتماعهم:

عارف vs الأربعة.

مسعود بجوار عبد الشكور وبالجهة المقابلة جاور عيسوي بشير بينما عارف على رأس الطاولة.

وبقدر ما تطلع لوجوههم بقدر ما تطلعوا لوجهه حتى نظر لمسعود وقال:

- ألف مبروك يا مسعود على الترقية، الحقيقة أنت الوحيد اللي يستاهلها.

وجملة كهذه كفيلة بزرع بذرة كراهية بين مسعود والبقية، فمسعود فرح بالمدح وحدق عيسوي بكليهما بغيظ بينما انتابت الحسرة عبد الشكور.

- واسمعنى بقى الأستاذ مسعود، إيه اللي فيه مش فينا.

والسؤال من عيسوي فرض الابتسامة على عارف وهو يرد:

- الاعتراف بمميزات مسعود مش معناه التقليل منكم، كل واحد فيكم جواه مميزات كتير هيجي الوقت اللي نحتاجها وساعتها هيعرف قد إيه هو مهم.

- معنى كده إن الترقية دي مش ثابتة.

والسؤال من مسعود الذي بدا عليه القلق، كانت إجابته من عارف ابتسامة مع إيماءة رأس لم توضح إن كان يقصد الإيجاب أم الرفض ليتبعه سؤال من عبد الشكور:

- يعني هيبقى فيه ترقيات ومكافآت تانية؟

- أكيد.

ورغم أنها إجابة قاطعة من عارف فلم تكن كافية أو شافية، قيلت لتترك الثلاثة على حيرتهم بينما بشير لا يزال صامتًا يطالعه عارف بهدوء بينما يتفادى هو نظراته.

- على كل حال، مفيش حد منكم هيتظلم، كل واحد فيكم هياخد اللي يستحقه.

قالها عارف بهدوء وبشكل قاطع فرض عليهم الصمت أو للدقة الصبر، وظن هو أن أمر اجتماعهم قد انتهى حتى قرر بشير كسر الصمت فسأل:

- ويا ترى إيه هي المعايير اللي على أساسها هيتم ترقيتنا أو مكافئتنا؟

سؤال راق لعيسوي فصاح يؤكد:

- صح، هو ده السؤال اللي كان لازم نسأله.

انتظر رد عارف لكن مسعود مَن تولى التعقيب:

- ويا ترى لو دكتور عارف اختارك كان هيفرق معاك تعرف على أي أساس؟

قالها وقد وَقَفَ بمكانه ففرض على عيسوي الوقوف بدوره ليرد:

- أظن من حقنا نفهم الشركة هتمشي إزاي، وده ميزعلش ولا إيه.

- وهو ده برضو اللي فارق معاك، ولا الحقد ماليك عشان أنا أستحق وأنت لا؟

- بعد ما ادخلنا عشان ترجع بقينا حقودين دلوقتي.

- أنا محدش له فضل عليا يا عيسوي، أنا لو مكمل فده بمجهودي.

"خلاص يا جماعة بقى استهدوا بالله".

والزعقة من عبد الشكور فرضت على كليهما السكوت جبرًا، بينما نظر عارف للجميع وعقّب:

- أعتقد الاجتماع انتهى، تقدروا تكملوا خناق بس في مكاتبكم.

جملة فرضت على مسعود الاعتذار وكذلك عبد الشكور بينما استشعر عيسوي نفاقهم فقرر الخروج من الغرفة ومن بعده عبد

الشكور وكذلك بشير الذي طالع عارف بغيظ قبل أن يتركه مع مسعود ويغادر، التفت عندها عارف لمسعود ليقر:

- عايزك تكون قد المسؤلية، أنا اللي رشحتك لفيروز، عايز قيادة من حديد، مش عايزك تسمح لحد أنه يغلط واللي يغلط عايزه عبرة للباقيين.

- حاضر، أوعدك إني هأكون عند حسن ظنك.

رد زاد من لمعة عين عارف وقد زادت ابتسامته وبخروج مسعود عاد النظر للملفاهم مرة أخرى، وأمام ملف بشير توقّف، الوحيد الذي سعى أن يفهم فسأل، ولكنه تهرَّب بفرض سياسة "لغوش لغوش"، وسط ضجيج شجار مسعود وعيسوي تلاشى سؤال بشير ولم تعد له أهمية رغم أنه كلمة سر الأزمة.

عدة طرقات على الباب قطعت شروده فلباها هاتفًا:

- ادخل.

وجاءه من توقّعه، يحمل بيده أوراقا ومسودات أفكار لحملة الدعاية للـــ"كمبوند الجديد"، طريقة فرضت على عارف الشعور بالانتشاء، عبد الشكور يريد إثبات تفوقه وتميزه، عبد الشكور يريد أن يضع عارف أمام ما يفعله.

- ممتاز جدًا.

قالها عارف ففرض على عبد الشكور السعادة بل هو كاد يلمس السحاب لإطراءه، شكره وأوشك على المغادرة لكنه عاد يطالعه بجدية وبنيته سؤال في هيئة طلب:

- دكتور عارف، هو جهاز توقيت جرينتش ممكن يغير حياة أي حد فعلًا؟

- أكيد، بس ممكن أعرف بتسأل ليه؟

- لأني عايز أدخل جهاز حضرتك، عايز أبقى بـــ"توقيت جرينتش"؟

***

(13)

نقر نقرات طفيفة على مكتبها ثم همس: صباح الخير يا سندريلا، خفق قلبها بشدة وصدمها أن فريد قد أتى للشركة فتلعثمت الحروف بشفتيها وهي ترد:

– أنت هنا بنفسك؟

– أعمل إيه، روحت أتكلم في الفون رجعت لقيت سندريلا اختفت، ولولا إن عارف يعرف مكانها كان زماني بادور عليها في كل بيت عشان أعرف أوصلها؟

تنهيدة طويلة مع بعض تلبك، بينما اقترب هو منها ليسألها عن حضورها لبروفات عمله، وكلما اقترب شعرت أنها سيُغشى عليها، فلم تملك ردًا سوى الاستسلام لنظراته حتى قاطعتهما طرقات إسماعيل على باب مكتبها، عبست حين رأته وزفرت لظنها أنه جاء يتحدث بشأن بشير، وقبل أي تعقيب منها، حدق إلى من جاورها هاتفًا: دعبس.

– مين الراجل الخرفان ده.

– نعم!

قالها إسماعيل ثم جذب أذنه يسحبه منها وهو يهتف:

- أنت نسيت نفسك ولا إيه، ده احنا كنا عارفينك من ريحتك.

- أنت أكيد مجنون؟

قالها ودفعه بقوة أشعرت إسماعيل بالإهانة فبدأ زعيقه وقد رفع عصاه مُقررًا أن يضربه على مؤخرته بكل قوة، وصرخات الاستغاثة من فريد فرضت على الجميع الوجود، خرج عارف وعبد الشكور بينما هرول عيسوي وبشير ومسعود، ليتبع صراخ فريد هتاف صبا وزعيقها بإسماعيل دفاعًا عن فريد بينما أمسك فريد بعصا إسماعيل ليرميها مُقررًا سحبه من قميصه إلا أن يد بشير منعته.

"إلا جدي".

والصدمة ارتسمت على وجوه الجميع حين قرر العادي أن يضرب وحش الشاشة الفضية، أين عضلاته الآن بعدما أوسع بالأمس عدة فتوات ضربًا؟ ولا يدري بشير كيف فعلها، لكنه استفاق حين وجد عيسوي وعبد الشكور يسحبانه سحبًا كي لا يموت فريد بيده، ألا يستحق ما فعله بشير بعض التنهيدات من صبا، حدقت به مصدومة بينما هو بادلها نظرتها بنظرة احتقار، وصوت فريد وهو يناديها كي يستند عليها انتشلها، وقد مد يده لتلتقطها يدها بينما حاول الوقوف مستندًا على كتفيها وهو يزعق:

- إن ما وريتكم يا كلاب مبقاش أنا فريد أبو العزم.

وكاد بشير يضربه ثانية لكن يد عيسوي منعته فالتفت راحلًا لمكتبه إلا أن صوت عارف استوقفه وقد تحدث لمسعود:

- أظن موقف زّي ده لازم تقابله بحسم وإلا دي مبقتش شركة.

والتفت مسعود حوله وكأنه يتأكد أن الكلام له ثم طالع زملاءه ثم نظر لعارف ليجده يأمر:

- خصم لبشير لسوء تصرفه وعايز أمضي الخصم قبل ما أمشي.

والإجابة من بشير جاءت حادة ومحددة:

- بأي سلطة هتمضي يا دكتور عارف وأنت ملكش أي اختصاصات هنا.

ولأن الكلام حق أكمل:

- عشان كده مسعود اللي هيمضيه بنفسه وأشوفه على مكتبي قبل ما امشي.

قالها وعاد لغرفته تاركًا مسعود يواجه الثلاثة صامتًا تطلع لعيونهم بخجل وقد شعر بالارتباك بينما حدَّق الثلاثة إليه منتظرين رؤية ردة فعل مديرهم الجديد حتى أولاهم ظهره وقال بحدة اجتهد اصطناعها:

- مخصوم منك 3 أيام يا بشير عشان تتعلم تحترم المكان اللي أنت شغال فيه.

والتفت راحلًا لمكتبه تتبعه نظراتهم وخيبة الأمل.

***

حين تكون الرؤية ضبابًا والجنون هو المحرك للعقلاء، هل علينا توقُّع التصرفات، أم أن المتوقع سيكون ما تم دفعك إليه؟ والزعقة كانت من عيسوي حين اجتمعوا بمكتب بشير:

- واطي ولو سيبتوني عليه وربنا...

وقبل أن يكمل قاطعه عبد الشكور عله يهدأ:

- مسعود معذور برضو، بشير اهور وو.....

ثم لاحظ نظرة إسماعيل وقد التوت شفتاه، فزفر عندها وآثر الصمت، ومن قرر أن يتولى الرد عليه كان عيسوي وقد أكمل زعيقه: - آمال كنت عايزة يعمل ايه مع واحد بيستظرف على خطيبته.

- كانت وكل واحد راح لحاله، أنا ضربته عشان مد إيده على جدي وبس.

قالها بشير بحسم فرد عيسوي بغيظ:

- أنا مش قادر افهم ازاي ده حصل، أنت وصبا كنتم بتحبوا بعض جدًّا

- لا يا عيسوي، صبا اتغصبت على الموافقة، فكان طبيعي عند أول فرصة تفسخ الخطوبة، وطالما عرفت أنها رافضة فعند النقطة دي مفيش كلام.

وكلماته صفعت عيسوي واستشعر وكأنه يحكي عن شجن وعنه، هتف قلبه شجن ليست صبا، فعقب عقله وما أدراك أنت!

- وحتى لو اتجوزنا بالغصب زي الأفلام والروايات، فمش هتحصل قصة الحب الملهلبة، عشان الجواز مش لعبة، ومهما كان في

حب مع اختلافات كبيرة وعقول بتخبط في بعض، أولادنا اللي هيتعبوا.

وكلماته صفعت عبد الشكور واستشعر وكأنه يحكي عن رنا وعنه، هتف قلبه رنا ليست صبا، فعقب عقله وما أدراك أنت!

قاطعهم اتصال دكتور بغدادي يسأل إسماعيل عما جرى ولم يملك إسماعيل إجابة، ولم يملك بغدادي إلا الإلحاح بكل رجاء أن يجتمعا بمنزله ويتحدثا بشأن بشير وصبا.

وكغريق سعى خلف قشة، منّى نفسه لو أنقذته لكن الصاعقة كانت بوصول صبا بعدما قام فريد بإيصالها حتى باب منزلها، وصعدت لتجد والدها بجوار إسماعيل وبشير، فلم تجد إلا الهجوم مبدأ.

"طبعًا قالولك إني كنت مع فريد وخرجت معاه وروحت معاه الاستوديو، ما هو الأستاذ بشير فاكرني طفلة فجاي يشتكيني لبابا عشان أحبه بالعافية، مش كده".

وقف بمكانه وتطلع لعينيها وهي تطلعت بدورها وأردفت:

- إفهم بقى يا بشير، أنا عمري ما هاحبك، أنا باحب فريد، سامع، باحب فريد.

وصفعة والدها كانت أبلغ رد تسمرت بعدها بمكانها وهي تطالعهم بغضب، وكاد يعيدها لولا أن بشير قرر منعه وسعى لتهدئة الموقف أمرًا صبا بتركهم.

هوى بغدادي على أقرب مقعد، تطلّع لصبا ثم عاد بنظره لبشير ثم هتف فيها:

– فرحك على بشير هيكون بعد شهر من دلوقتي، هتتجوزوا معايا هنا لحد ما شقتكم تخلص، وده قرار نهائي.

تركتهم واتجهت لغرفتها ناقمة على والدها، بينما شعر بغدادي بالانكسار، من قال إنه هو من صفعها بل هي فعلت، بكل ما ملكت من قسوة وغباء وحدة، لا ليست صفعة بل طعنة.

أغمض عينه علّه يُخفي لوعته ثم ترجى بشير:

– أرجوك أرجوك يا ابني، بلاش تتخلى عنها، أنا عارف أنك معذور، بس......"

وكاد يبكي إلا أن إسماعيل منعه ورد:

– إهدا يا دكتور، الأمور متتحلش كده أبدًا، ادخل لبنتك واتفاهم معاها، وخرج بشير من الموضوع، أنت بطريقتك دي بتعقدها، حاول مرة وعشرة، لحد ما الأمور تهدا.

وهذا ما تمناه بينما هي كانت تنهي اتصالها بعارف بعدما طلبت منه مساعدتها لأنها ستترك المترل وبحاجة لمكان بديل، ولم يرحب فحسب بل حدد لها ما ستفعله حتى ترحل.

***

مساء اتجاه عارف لفيلا فيروز، طرق الباب ففتحت إحدى الخادمات وقد طلب مقابلتها بعدما توجه للصالون، دقائق ووصلت لتتفاجأ بوجوده، ما الذي دفعه للمجيء؟

والإجابة اتضحت حين دار الحديث، إقرار التملك كان بحاجة لإمضائها.

- إيه اللي جابك هنا.

- ده بدل ما ترحبي بيا ترحيب يليق بالوقت اللي قضيناه مع بعض.

"هوووووووش".

هتفت بها وهي تضع يدها على فمه، فإذا به يُقبِّلُها، طريقة فرضت عليها المزيد من الارتباك وقد شعرت بالخوف من أن يلاحظها الخدم، فأوصدت الباب وعاد تقف على مقربة، تجاهد نفسها أن تبدو قوية، وكادت تبدأ كلامها وتهتف فيه أو تزعق:

- انسى اللي حصل بينا.

إلا أنه ألجمها، جذبها لصدره وطالع عينيها بقوة وهمس:

- عايزك تعرفي إن اللي بيدخل عالم أبو العزم بمزاجه يوم ما يقرر يخرج يبقى بمزاجي أنا، أنا اللي أسمح أو لا.

- أنت عايز مني إيه؟

- عايزك، أنتِ.

- اللي حصل ده كان غلطة، لحظة ضعف مستحيل تتكرر، أنت سامع، مستحيل.

- لا هتتكرر ودلوقتي، مش بمزاجك، بأمري.

والحديث لم يكن زعيق بل فحيحًا فرضَ على جسدها رعشة، ما عادت فيروز تملك قوة، جاهدت أن تصطنع وفشلت، فبكت عله يدعها لكنه عاندها، لقد زاد ضعفها من اشتهائها.

قاومت، حاولت، فشلت، انهزمت، انكسرت، سقطت.

هل اكتفيتَ الآن؟

"لا".

ودموعها كانت الرد الأبلغ، لكنه لا يبالي الدموع وأصحابها.

"وآخرتها"

- بكرة هتعرفي آخرتها، عايزك تعدي عليا بكرة الساعة 8.

- عارف أنا...

وقاطعها بيده وقد مسح بعض الدموع التي تجمعت بعينيها وأكمل:

- هأكون مبسوط منك لو جيتي في ميعادك بالظبط، أنا أصلي باحترم جدًا الدقة.

وقالها وخرج لتهوي هي لأقرب مقعد، ضاعت فيروز، ضاعت للأبد.

***

مقال الخميس.

ألم تكتف بعد يا بغدادي؟

والسؤال من شكري أجابه بغدادي:

– مش هارتاح إلا لما أحط الناس قدام الحقيقة.

أهذا بصدق ما يظنه، أن من يقرأ مقالاته يسعى خلف حقيقة يريدها.

– كفاية لحد كده يا بغدادي، سيب عارف في حاله وركز في مشاكلك مع صبا أحسن.

لكن البطل المغوار لم يُعجبه، إن لم يحرر البطل الجميع من الأسر فمن سيفعل؟

وبغرفتها كانت صبا تتحدث لعارف وقد دبَّر لها أمر تركها للمنزل ستغادر بالغد وتُفاجِئ والدها!

***

عاد لمنزله تسبقه رائحة تبغه الذي ما عاد يفارقه، البيت على ما يرام وكأن درة أو كما يقول هو هازئًا "سوبر درة" قادرة دومًا على فعل كل شيء:

"ملل".

إنها تحترق كالعادة حتى لا يزعق أو يتشاجر وكلما فعلت كل ما هو فوق طاقتها كلما فرضت عليه البحث عن صغائر لا تذكر، تتفادين الشجار، حسنًا.

وجد كوبًا زجاجيًا على مكتبه منذ الأمس فدفعه متعمدًا كسره والآن فلنبدأ الشجار.

"طبعًا، ولا في دماغك تشيلي الكوباية وأهي اتكسرت بسببك وبسبب إهمالك، اتفضلي بقى تعالي لمي اللي اتكسر ده".

والزعيق من قوته باتت الجيران تلعنه وتلعن عشرته أكثر منها هي، وعلى إثر الصوت استيقظت إحدى بناته فزاد زعيقه لأن صوت بكاء بناته بات يضايقه.

– لمي اللي في إيدك ده وسكتيها، مش ناقص صداع.

– حاضر.

ردٌّ خانع مستسلم يخرج من فمها وقد اختلط بكل مرارة بات يحملها قلبها.

– فين الغدا يا ست هانم؟

– حاضر يا مسعود هأسكت البنت وأحضَّر الأكل.

قالتها باستجداء باكٍ فزفر هو وظل يزعق:

– نكد نكد نكد، نكدية شبه أمك، دي عيشة تقصر العمر يا شيخة، الله يلعن اليوم اللي عرفتك فيه يا بنت عطيات.

وبقية اليوم يمر برتابة أكبر، هو بمكتبه يدخن سجائره، مُنكبًّا على عمله وهي مع بناتها.

واليوم قد ينتهي برغبة تدفعه نحوها تقابلها هي باستسلام جثة هامدة بين يديه، ربما نائمة من شدة تعبها وربما ما عاد الأمر يعنيها

كي تتجاوب، وبالحالتين هو يكره نفسه، هي لا تدري أنها اختارت أشد طرق العقاب عليه، كل تصرفاتها تشعره أنها ضحيته، فيزداد سوء سلوكه عليها يومًا ما تثور أو تغضب.

***

اليوم هو الموعد المتفق لشراء الشبكة، ومرة أخرى يلوح سؤال بالأفق، هل تم إجبارها؟

كانوا على عتبات الخروج، حين بدا وجهه متجهمًا فاستشعرت مشيرة ضيقه، ظنت أن طلب إسماعيل السبب فقالت بحسم:

- أوعى تكون فاكر إني موافقة.

استوقفته كلماتها، وقبل أن تكمل منعها وعقّب:

- مين قالك إن موضوع إسماعيل مضايقني، بالعكس أنا باتمنى أنه يتم لو هتكوني مبسوطة، الحاج إسماعيل راجل أنا حبيته من قلبي وحاسس أنه....

كانت مرتبكة لدرجة أن وجهها تبدل للأحمر القاني ونظرت أرضًا عندها ابتسم وهو يكمل:

- عمومًا الحاج إسماعيل قال براحتك، استخيري وفكري ولو موافقة أنا موافق، المهم عندي أشوفك مبسوطة.

قالها وقبّل جبينها وعندها استوقفته هي لتسأل:

- طيب إيه اللي مضايقك؟

واصطنع المزاح وتفادى إجابة سؤالها وبمحل الصائغ لم يشغله إلا متابعة شجن وتصرفاها.

– في حاجة عجبتك؟

سأل بانتظار إجابتها ليتفاجئ بردها:

– مش فارقة أي حاجة.

ظلت تطالع المعروضات بلا مبالاة واضحة ثم تابعت:

– تعرف إن المشاوير الرسمية في الجواز دي دمها بيكون تقيل قوي.

هي قالتها بعفوية وكعادها "دبش" كما تنعتها فاطمة، زاد ضيقه فتركها واتجه حيث الدبل ووقف يشاهدها وحده، جاورته وقد وقعت عيناها على ثنائي أمسكته من مكانها وهي تقرر:

– دول حلوين قوي.

– دول لازوردى يا آنسة ضعف التمن من الدبل العادية.

قالها الصائغ فوضعتهم من يدها وهي تقرر:

– تمام.

– لو عجبوكي ناخدهم.

– لا طبعًا، على إيه يعني، القصة مش مستاهلة، خلينا نجيب أي حاجة وخلاص.

– هي دي خطوبتنا في نظرك، مش مستهلة ومش فارقة.

– لا أنا قصدي...

التفت خلفه ينادي مشيرة وفاطمة ويقرر:

– شوفوا اللي يريحكم وأنا هارجع ادفع.

ثم ترك المحل برمته وخرج، ما الذي ينتظره؟

تلك اللحظة التي ستقذف فيها الدبلة بوجهه وقد جاورها غيره، وبعينيها هي ترقرقت بعض الدموع وقد خشيت أن تكون المرة الوحيدة التي وافقت برغبتها قد تسرعت في قرارها، لاحظتها مشيرة فقررت تلطيف الأجواء وقد ساعدتها لتختار بينما فاطمة تغلي، لم تختر ابنتها شبكة غالية كما تمنت.

***

ساعة الصفر ستكون عند التاسعة مساء غدًا الجمعة، ولحظة البداية هي الآن.

فستان أرجواني صارخ حوى جسدها وانساب بنعومة تغوي الحجر فما بالك برجل؟

وقور خلوق يتقطر منه الاحترام كحبات المطر، لكن إغواءه ليس بمعضلة، فقط ستتمايل بغنج بجوار سيارته ثم تسقط أمامه على إثر شعور مفاجئ بدوار، عندها سيتوقف عنوة ويهرول من سيارته كي يطمئن عليها وهو بصعوبةٍ يتحكم في انتفاضة أعصابه، لظنه أنه صدمها، وما إن يراها حتى تزداد دهشته:

"مدام فيروز".

قالها متفاجئًا وقد تأكد حين طالعها أنها هي رغم أنه لم يلتقها إلا مرات قليلة لكنه عرفها، تأوهت وهي تستند على كتفه، فساعدها حتى تقف على قدميها ثم سأل:

– أنتِ كويسة؟

– أنت تعرفني.

– أنا دكتور بغدادي والد صبا يا مدام فيروز.

– آآه، آسفة، أنا أصل عربيتي عطلت و....

بدت منهكة فلم تكمل فعقب هو:

– لو تحبي أوصلك في أي مكان أنا تحت أمرك.

وهو المطلوب يا دكتور، جاورته ثم أملته العنوان وظلت صامتة، تحرك هو حتى وقف عند أقرب مشفى كي يطمئن عليها، وذوقيات كتلك ستستوقف اي امرأة، وطريقته زادت من شعورها بالذنب هل ستسلمه لعارف بالفعل؟

واصل سيره عندما تحججت بأنها فقط مرهقة وقبل الوصول قطعت هي الصمت وسألته:

– لسه مُصر تكمل المقالات اللي بتكتبها يا دكتور بغدادي؟

– بتقريها؟

– أكيد، بس مش كل الناس هيفهم أو يستوعب اللي أنت بتكتبه.

تنهد بضيق ثم أجاب وسط شروده:

- لو وسط كل مية، واحد بس هيستوعب اللي باكتبه فده مكسب.

- أنت بتأذن في مالطة.

- يبقى كسبت ثواب الأذان، ثم إن الحق ربنا بينصره وبينصر أصحابه دايمًا.

- تفتكر؟

قالتها وقد وصلا عند منزل عارف وتوقفت السيارة، فلم يجبها لأنه لو يدرك الإجابة لقالها، اضطربت لوصولهما ثم طلبت بتردد:

- إيه رأيك في فنجان شاي ونكمل كلمنا بس في بيتي.

- إعفيني مش هأقدر أنا أصلي عندي ميعاد و....

"أهلًا".

قيلت بصوت أجش وسمعت بصعوبة من خلف نافذة السيارة، فضغط على زر نزول الزجاج أتوماتيكيًا فتجلت الصورة شيئًا فشيئًا:

- عارف.

- أهلًا بيك في بيتي يا دكتور بغدادي.

صدمة لم تكتمل لأن الرؤية بعدها تشوشت، بأقل من دقيقة انغرس بوريده حقنة خدرته، وأمام فيروز سحبه وعلى جهازه صفده، ولم تخْشَهُ فيروز بلحظة كما باتت تخشاه الآن، فبخلاف بروده كان يدندن وكأن ما يفعله يمتعه.

- أنت هتعمل فيه إيه؟

سألت بخوف فأجابها مبتسمًا:

– هأثبتله أن توقيت جرينتش حقيقة مش خيال.

بدأ بتثبيت كل قطع الجهاز حول رأسه بينما ارتعدت هي وانكمشت بأحد المقاعد سائلة:

– هتقتله؟

– لا، هاحدد لعقله اللي هيعمله، هيزني ومن صدمته في نفسه هينتحر.

قالها بهدوء واقترب منها وهو يؤكد:

– وهيعمل كل ده وهو في كامل وعيه.

– وأنت هتستفيد إيه من انتحاره، ثم وارد محدش يصدق إنه انتحر، وساعتها ممكن أي حد يشك فيك.

ردت بتلعثم وهي تبكي وكأنها تستجدي الرحمة لها ولذلك المُصفَّد

– ومين قالك إني عايزه انتحار، أنا عايزها جريمة قتل متكاملة الأركان والقاتل عندي.

– مين؟

– بشير

"All operations completed successfully"

وقاطعهم صوت جهازه ليؤكد، كل العمليات التي أضافها لعقل بغدادي نجحت، وآخر حساباته كان زعيقها:

– أنا مش ممكن أساعدك أبدًا في جريمة زي دي، أنا مش ممكن أنزل للمستوى ده أبدًا.

قالتها ودفعته لتجري مبتعدة لكنه جذبه من شعرها وإلى قبضة يده أعادها وفي أذنيها كان فحيحه:

– طريقك وأنتِ اللي اختارتيه ولازم زي ما بدأ يكمل، بغدادي لما يفوق هيكون معاكي أنتِ.

– اخرس، مش بنت عز اللي تبقى مومس عشان رغبات مريض زيك.

– فات الأوان يا بنت عز، يا أما تنفذي اللي بأمرك بيه يا أما بكرة الصبح هيكون في فيديو طريف قوي ع اليوتيوب لصاحبة شركة الفيروز اللي قدمت نفسها بمنتهى الرخص لعارف، بس ساعتها مش هتكون هي دي الحقيقة، لا!

دار حولها وهو يكمل:

– الحقيقة هتكون صاحبة شركة بتستخدم الدعارة عشان تحسن علاقتها وتأخد شغل لشركتها، وفوق الكلمة عشرة لا مية، وأنت عارفة الفضايح في بلدنا، شرارة صغيرة وبعدها الناس هتكمل.

"ارحمني، أبوس رجلك".

قالتها وانكبت أرضًا فوق قدمه تقبلها منهارة، وعندها أقر من عليائه بتشفٍّ:

- أول ما يفوق هتلاقي منه تجاوب واستعداد لعلاقة تجمعكم، هتطلعي بيه الأوضة اللي فوق، وبعد ما أصوركم هاعمل تمويه على صورك، وهارفع الفيديو بكرة، وبعدها مفيش بيت في مصر مش هيتكلم عن بغدادي أيوب.

***

مقال الجمعة

ألا يزال هناك من يقرأ، أو حتى مهتم ليعرف؟

استيقظ من نومه بتململ يجاهد عقله تذكر ما كان بالأمس، يقاوم شعورًا قويًّا بالخزي فالقديس قد سقط في شباك شهوته، ظل يجوب الغرفة بخوف ممزوج برعب وصدمة، كيف باع أخلاقه، بل لم يفكر بابنته، بالأمر خطأ، كيف حدث؟ ربما كان يحلم.

طرقت صبا باب غرفته لتخبره بتحضيرها للفطور وقد بدت ودودة فدب الأمل بداخله؛ هل ستقتنع بالعودة للبشير؟

ومع أذان الجمعة اغتسل وبدَّل ثيابه وودعها قبل رحيله بقلبة فوق جبينها ودعوة أب لا يتمنى إلا صلاح أحوالها، بينما جمعت هي كل أغراضها وبدلت ملابسها لترحل وقد قررت أن تترك له رسالة مفادها احتقاره على أفعاله كافة، لأنه ببساطة سقط من نظرها.

وطوال وقت الصلاة وحتى بعد خروجه، لا شيء يضاهي الهمز واللمز من حوله، نظرات احتقار، سُبة دون سبب، بصقة لأنه مر من جوار أحدهم وبمدخل البناية اجتمع كل الجيران وراحوا يزعقون

وجوده بينهم، والرجل لا يفهم ما الذي حدث، تتصاعد نبرات الحدة بالهتاف:

"اقتلعوا الشجرة الفاسدة من جذورها، طهروا البناية واقذفوا القمامة بعيدًا عنا وعن أبنائنا، وكاد يُضرب من أحدهم فأسرع إلى بيته يركض وقد ارتعدت فرائصه".

ينادي صبا ولا حياة لمن ينادي، فقد رحلت.

وانهار أرضًا يقرأ جوابها ويبكي بكل قهر، ابنته تركته ورحلت مستعينة بعارف أبو العزم ولن تعود لأنها على يقين من انحلاله.

فهل انتصر عارف؟ انتصر على صاحب الحق؟ انتصر على صاحب القضية؟

كيف؟ ولماذا؟ ولِمَ؟

أليس من حق الخير أن ينتصر، بل ألم يقسم الله بنصرته؟

أنا عملت إيه غلط؟

وجاءه اتصال كان يحمل الإجابة؛ هل اكتفيتَ يا بغدادي؟

"عارف".

هل حقًّا تريد إجابة، إذا أدرك شيئًا واحدًا، إذا أردت اللعب مع الشيطان فعليك أن تتحمل مزاحه.

"عارف".

وهذه التمتمة كانت منه لمن وقف أمامه ففرض عليه الخوف وقد جذبه من ملابسه ليقف ثم تطلع في عينه ولم يجرؤ بغدادي حتى أن

يسأله كيف دخل إلى شقته، وكأنه بات يعرف الإجابة، لا شيء باستطاعته الوقوف أمام عارف أبو العزم، استنتاج رآه عارف في عين بغدادي فتمتم عندها:

– هايل بس يا خسارة، فهمت متأخر، بعد ما خسرت كل حاجة.

– فين صبا يا عارف؟

قالها بضعف بينما دفعه عارف ليجلسه على أحد المقاعد ثم استهزأ بضعفه وأجابه بسخرية:

– أنا اللي المفروض اسألك، فين بنتك يا صاحب الفضيلة؟

– أنت ضحكت عليها، اقنعتها تهرب، شوهت صورتي في عينيها.

– وأنت كنت فين وقتها، ليه ملحقتهاش، ليه سيبتها تضيع.

وطالَعَه بأسًى ولم يملك إجابه فأكمل عارف وقد زادت نبرته استعلاءً:

– البطل مش لاقي مبرر لسقوط بنته، ولا غروره هيمنعه يعترف أنه كان السبب، بكذبه وتحايله واتهامه للشرفا بالباطل.

زعيق فرض على بغدادي الزعيق: مسير الناس هتعرف حقيقتك، أنا عمر اتهاماتي ليك ما كانت بالباطل.

– تبقى بتحلم لو راهنت على الناس، الناس عايزة اللي يلهيها، الناس عمرها ما كانت عايزة الحقيقة، أنت أذنت في المالطة زي ما

قلت، بس تفتكر ثواب الأذان ممكن يكون كافي عشان يمحي خطيئة أنك زاني.

وهاله ما سَمِعَ.

"زاني"؟

- أنت كداب وحقير وضلالي.

والفيديو المصور حين وُضِع أمام عينه ألزمه السكوت مصدومًا:

- مستحيل مستحيل، أنا مكونتش في وعيي، أنت أكيد خدرتني، أنا مستحيل أعمل كده، مستحيل.

- فعلًا، أنت مكونتش في وعيك، كنت تحت تأثير برمجة جهازي لعقلك، كنت بتوقيت جرينتش.

وتبادلا عندها النظر بغدادي ناقمًا وعارف مستهزئًا، يتطلع من عليائه بمن أدرك هزيمته.

"لو فعلًا بطل وصاحب مبدأ، اخرج للناس وواجهم، قولهم إن كل تصرفاتك كانت بسبب إن جهازي حقيقة، وساعتها برضو هتترل من نظرهم".

ساد الصمت لحظات، نكس فيها بغدادي رأسه فسأله عارف هازئًا:

- انهزمت.

دار حوله يكمل وقد زاد تهكمه:

- تؤ تؤ تؤ، معقول يكون ده مصير الحق، ومصير الراجل اللي عايز الناس تعرف الحقيقة، طيب إزاي؟

فخٌ وعارف أحكم شراكه والضحية ما عادت تملك ما تقوله، وضع على المنضدة التي تقابله مسدسًا وأشار إليه به وهو يُحدد:

- تقدر تقرر اللي جاي بنفسك، إيه رأيك؟

ودار حوله مرة أخرى وهذه المرة كانت جملته الأخيرة:

- لو خسرت كل حاجة كانت تستاهل في حياتك فايه قيمة أنك تكمل طالما مفيش فايدة، متخيل أنك تقدر تغير الكون، لا فوق لنفسك، إبليس قدر يخرج آدم من الجنة، وطول ما الدنيا ماشية هيفضل الصراع داير، بس البقاء يا دكتور عمره ما هيكون للمبدأ، ولا للحق ولا حتى للأقوى، فوق وافهم، البقاء دايما للأذكى...... يا غبي.

وجثا بعدها بغدادي على ركبتيه وقد نكس رأسه، انهزمت يا بغدادي وانتصر عارف لأنه صاحب الرؤية، لأنه لا يعرف اليأس ولأنه لا يتراجع ولا يتسلم، انهزمت يا ابن أيوب انهزمت، انهزمت.

قالها وتعالت صرخاته بينما تركه عارف وأوهمه برحيله ليهاتف بشير، رنين فرض على اعتماد سحب الهاتف والإسراع لغرفة إسماعيل لتخبره معقبة:

- رد أنت عليه وقوله يبعد عن بشير ويسيبه في حاله بقى

وحين رد إسماعيل لم يمهله بغدادي أي كلام، سوى رجاء بدى في غاية الإذلال لبشير كي يأتي إليه، وصوته فرض على إسماعيل القلق فقرر أنه سيذهب لبيته ليؤازره وعندها، أنهى عارف التسجيل الصوتي ومن ثم المكالمة، سيأتي بشير، ولكن هل سينتحر بغدادي؟

قرر الاختباء والمراقبة بينما بغدادي طالع المسدس شاردًا.

"بغدادي".

نداه إسماعيل حين وصل، ولكنه لم يسمعه واللحظة مرت أسرع من ظن إسماعيل حين وجد المسدس بيده وهو يهذي باسم صبا ويلعن نفسه ويمدح عارف وذكاءه.

"بغدادي".

صرخة لم تكن كافية من فم إسماعيل لإيقاف من يئس، لقد مات الأمل بقلب بغدادي وبموت الأمل لم تعد للحياة برمتها أهمية، أنهى حياته ولم تكن سرعة إسماعيل كافية حين قرر دفع المسدس من يده أو إسعافه وهو يهتف فيه:

- ليه عملت كده ليه؟

وصوت صراخاته بجوار صوت الرصاص كان كفيلًا لتجمع الجيران والاتصال بالشرطة مع يقين أن إسماعيل هو من فعلها!

أحقًّا انتحر بغدادي؟

والإجابة نعم، هُزم لظنه أن الصبر والاستسلام من الممكن أن يكونا وجهين لعملة واحدة.

لينسج القصة ذاتها وإن اختلفت تفاصيلها، قصة كل بطل اتجه لحلبة النزال قاتل الباطل دون عُدة فصارع حد نزع الروح من الجسد وعند الهزيمة سأل؛ أين وعد الله بالنصر، صمت الجميع فزادت حيرته، لكنه بموته اختبر، النيات وحدها ليست كافية.

***

(14)

"إن كنت تعلم قدراتك وقدرات خصمك فما عليك أن تخشى من نتائج مائة معركة، وإن كنت تعرف قدرات نفسك وتجهل قدرات خصمك فلسوف تعاني هزيمة ما في كل نصر مُكتسب، أما إن كنت تجهل قدرات نفسك، وتجهل قدرات عدوك... فالهزيمة المؤكدة هي حليفك في كل معركة".

سون تزو.

هل انتحر البطل؟ ترك الساحة فارغة أمام عدوه ويئس!

أم أن الجميع هم من تخلوا عنه؟

هل صدقت نياته أم أنه استحق مصيره لأنه كذب؟

بغدادي لم يكذب على أحد، لا بل كذب على نفسه وتلك هي المعضلة!

ولم تكن نهايته وحده، فثمة بريء بات خلف القضبان بتهمة قتله، ولن يصدقه أحد لو صرخ ببراءته وعلى رأس القائمة جيرانه.

بيقولك....

بيقولوا.....

"إسماعيل كان مبيت النية عشان ينتقم منه بعد اللي عملوه هو وبنته في بشير".

"بغدادي ده أصله زبالة، ستات داخلة وستات خارجة وإسماعيل ميعجبوش الحال المايل".

"اللي اسمه بغدادي ده يستاهل القتل وإسماعيل يستاهل السجن".

ونقطة ومن أول السطر، هي ليست شماتة في الدم إنما هو إعلان بمصير مستحق لكليهما، وبكل عقلانية لو كانوا أبرياء لظهرت براءهم، لو كانوا على الحق لكان نصرهم.

ولولا الشدائد ما كنا لنعرف حقيقة من هم حولنا، من يناصرنا ومن يتخلى عنا، وذلك ما أدركته مها حين قررت حماها أن تُكره حسن على فسخ الخطبة والحجة لن يتزوج الدكتور من حفيدة قاتل.

وبين عشية وضحاها، تلاشت الأحلام، خطبة تم فسخها وأخرى توجب عليها أن تُقام بجوار بيت مها، ذاك بالطبع مراعاة لعشرة والجيرة، ولكي يتسنى لها أن تتطلع من نافذة منزلهم لترى حسن وقد كسب رضا والدته وعروسًا جديدة، ولم تبكِ كما توقعت بل فرضت على والدها الذهول حين بدلت ملابسها وقررت أن تهنئ العروسين بنفسها، توجهت بكبرياء وسط المدعوين حتى وصلت إلى والدته لتبارك لها وله ولعروسه رغم كل همهمة وتمتمة، حفيدة إسماعيل أرادت أن تعلن أنها لن تنكسر، موقف فرض على بشير مجاورتها خشية أن يضايقها أحد بكلامه، وما إن رآه حسن حتى كادت

الحسرة تُمزِّق كيانه، لن تكون مها من نصيبه، أدركها حين رحلت بجوار بشير، وزاد يقينه بها حين تعالت الزغاريد من والدته عمدًا لتؤكد أن غيرها ستكون زوجته.

ولم يبد على المتجاورين في الصمت التأثر، منذ سجن إسماعيل وقد باتت كل تصرفات الناس من حولهم متوقعة، فالأغلبية تأثرت بحوارات "الميديا" وبرامج "التوك شو" التي صورت بغدادي وإسماعيل على أنهما خلاصة الشر بالكوكب ومن لم يصدق كانوا قلة خشيت الإعلان عن موقفها.

– لقيتي شغل؟

سألها بشير فلم تنتبه فأعاد السؤال بصوت أعلى كي يقطع شرودها فأجابت:

– من يوم ما صاحب الصيدلية مشاني وأنا لسة بادور.

كانا قد وصلا عند منزلها فتوقف مُقرِّرًا ألا يصعد ثم أكد كي يطمئنها:

– إن شاء الله قريب هتظهر براءة جدو، مش عايزك تتأثري بكلام حد أو تزعلي، ولو احتاجتي لأي حاجة فأنا جنبك.

أومأت رأسها في تفهُّم وابتسمت وقد قررت أن تضع النقاط فوق الحروف فقالت:

– أكيد يا بشير، أنت أخويا، أخويا اللي طلعت به من الدنيا.

جدية فرضت عليه أن يفهم، هو لن يكون البديل لحسن وهي لن تكون البديلة لصبا.

***

لم تكن تدري أنها ستبكي كل هذا البكاء على رحيله، فالراحل بنهاية المطاف والدها، ربما كان عليها ألا ترحل ألا تتركه وحده لذلك النذل إسماعيل ليقتله.

كانت تهذي وهي تلعن وتسب إسماعيل وبشير واللحظة التي دخلا فيها على حياتهما، بينما عارف وفريد يسعيان لمواساتها، ولن تنكر أن عارف وفريد كانا نعم الأهل بعد رحيل والدها، نعم الرفقة وتعويض القدر لها بعد قرار تقديم استقالتها من شركة الفيروز لأنها لا تريد رؤية ذاك الحقير بشير بعدما قتل جده والدها، ولكن إلى متى ستظل معهما دون عمل أو مسكن، وهنا ظهر "مستر باسم" وكان له دوره وهو يشير إلى هيثم:

– الأمورة اللي مع فريد على طول دي يا ترى إيه سكتها.

والنظرة من هيثم لصبا فرضت عليه بعدما حدَّق بتدقيق أن يهتف: – أشوفهالك يا باشا؟

وهنا قد فهم ما يجب عليه فعله.

***

رَحَلَ وتركها، ولم يتسنَّ لها أن تخبره أنه كان يذكرها بوالدها، لم يتسن له أن يشرف على رسالتها وقد كانت على عتبات فك شيفرة

كل ما يحدث، لتظل الأسئلة معلقة بالهواء دون إجابة تاركة صاحبتها في مقدمة طريق بلا وجهة، والنداء من آلاء فرض عليها الالتفات لرؤيتها، فركت وجهها واعتدلت تمسح بقايا دموع لم تعد تفارقها، ففرضت رؤيتها على آلاء أن تجاورها مربتة على كتفيها وهي تقر:

- مهما كان اللي حصل هيعدي، فاكرة الجملة دي، دي جملتك المفضلة، لا استني وفي كمان واحدة بس عميقة، لعل الخير يكمن في الشر.

وطريقتها فرضت على أيتن أن تبتسم وعندها جذبتها من ذراعيها لتخرج من غرفتها وهي هتف:

- أيوة كده ابتسمي، ده أنا أصلًا حضرتلك الغدا بنفسي.

وأمام منضدة تحوي (تونة وبطاطس مقلية وعدد من أرغفة الخبز) وضعتها وقد افتخرت بما صنعت.

جاورهًا تحاول نفض تفكيرها في كل ما حدث إلا أن الجملة ظلت تئنُّ برأسها على مدار أيام، وكأنها تُمني نفسها لو استطاعت أن تفعل شيئًا، ومع التفكير بدا لها سؤال آخر وجب عليها طرحه.

ما الذي على أصحاب أي قضية أن يدركوه؟

"ربما ألا يظل دورهم محصورًا على الدفاع ضد الهجمات، بل يحتاج ذلك الدور الضعيف إلى التغيير".

كيف؟

وهذا هو السؤال الأصعب، فالكل يريد المُخلّص والجميع يخشى المبادرة.

ورأسها كاد ينفجر فقامت من مكانها، أعدت كوبًا من الشوكولاتة الساخنة وخرجت للشرفة ظلت تطالع السماء، ومع كل رشفة زفرة وقد تساءلت بحيرة:

لماذا مات من قرر أن يواجه عارف؟

بل لماذا مات بتلك الطريقة البشعة؟!

هل كان الأمر مدبرًا؟

غادرت الشرفة وفتحت حاسوبها وكتبت على متصفح "جوجل" ساخرة من نفسها:

"كيف يفكر عارف أبو العزم؟؟"

وأجابها جوجل بكمٍّ صفحات متناثرة عليها مقالاته وكتاباته ومقاطع فيديو له، هل عليها أن تقرأها:

"لِمَ لا".

قرأت وسمعت حتى بدا لها أنها قد تقتنع بكل ما يقوله، فالرجل يملك ملكة إقناع قوية، استمرت تُمني نفسها نهاية لما تفعل، تلوم نفسها وتؤنّبها ورغم ذلك مستمرة حتى توهج عقلها بسؤال، لو أن كل ما سبق صحيح، فكيف تكون خطط المواجهة؟

أنشأت ملفًا وأسمته "لمبة" وأنارته فكتبت:

الحرب خدعة؟! ولكن أين هي الحرب؟!

تلك هي الخدعة!

***

وطيلة الليلة التي تلت وفاة بغدادي لم تفارقها الكوابيس، فعجزت عن النوم، وعلى مدار عدة أيام بعدها لازمها الخوف وبجواره إدمان الحبوب المنومة والمهدئات، فما إن تغفو حتى تراه قادمًا "إنه عارف لا بل هو بغدادي وعاد لينتقم، لا بل الشرطة وقد كشفت أمرها".

ولم تستطع مواصلة العمل، أفضل شيء فعلته صبا هو تقديم استقالتها لأنها لا تملك القدرة على مواجهتها، لكن رؤية بشير قاتلة، الاستمرار هكذا يعني الموت يا فيروز، ولأنها فشلت قررت أن تنسحب، اتصلت بمحاميها واتخذت قرارها.

"ستفوض مسعود لإدارة الشركة وهرب لأي مكان وحين تستطيع العودة ستعُود."

"مصائب قوم عند الآخرين فوائد".

وكان هذا هو العنوان الأمثل للقادم، ولم تخبر أحدًا وبمنتهى السرية غادرت فيروز البلاد، وبصباح اليوم التالي كان محاميها يطلب مقابلة مسعود ليخبره بتوكيل فيروز له لإدارة شئون الشركة في غيابها وبجوار ذلك:

"مفاتيح عربيتها بحكم أنك بقيت رئيس مجلس الإدارة وأكيد هتتحرك برة الشركة وهتحتاجها، وفي حساب باسم حضرتك في

البنك بمبلغ مليون جنيه دي كل السيولة المتاحة لمدام فيروز وحضرتك لك حق التصرف فيها لو الشركة احتاجتهم".

ومبلغ مالي آخر تركته له لشراء بدل جديدة للرجل الذي سيصبح واجهة للشركة، وقرابة الساعة كان يحدق إلى الفراغ في غير تصديق منه لما فعلت فيروز، هل تثق به إلى هذا الحد؟

وأول شخص فكر في إخباره كان بالتأكيد عارف، وأول سؤال كان؛ إزاي أقدر أتعامل معاهم من غير ما يعملولي مشاكل؟

كان اللقاء بمركز السراب، أتى من سيحل محل فيروز ليسأل ذات السؤال، وليسير على نفس درب من سبقته.

- في البداية خليهم يحسوا أنك مش زي فيروز، أنت واحد منهم وقلبك عليهم والقادم أفضل.

ومع المزيد من الشرح فهم مسعود ومع أول اجتماع بهم بدأ يطبق ما لقنه عارف ليمتلك عقولهم.

وقف على رأس طاولة الاجتماعات وأمسك بيده صورة ليطالعوها معه وهو يسأل:

- يا ترى فاكرين الصورة دي؟

"سيلفي الموظفين في الأرض".

تلك الصورة التي جمعتهم ومدبولي قبل سفره، بداية محمومة بالمشاعر هكذا كانت نصيحة عارف.

إذا أردت أن تمتلك سلطة اشحن خطابتك بكل العواطف الممكنة لتمر كلماتك إلى عقلهم الباطن مباشرةً، فالمشاعر لا يفسرها العقل الواعي، والتأثُر سيلغي التفكُر.

"أنا عمري ما هانسى وقوفكم جنبي وكل اللي عملتوه معايا لحد ما بقيت هنا، أنا عايزكم تعتبروني أخ قبل ما أكون مدير، أي حاجة تحتاجوها أنا تحت أمركم، أنا عمري ما هأكون زي فيروز أبدًا".

والتصفيق كان من مدبولي الذي اغرورقت عيناه بالدمع فجرى ناحيته فاتحًا ذراعيه ليحتضنه، وكاد يبعده خشية اتساخ حلته الجديدة الغالية، لكن إشارة عارف فرضت عليه التجاوب، وقد قرر بعدها صرف مكافأة للجميع، فرحة فرضت على مدبولي إعداد الشربات، رحلت فيروز وجاء الخلوق الطيب.

لكن ماذا عن البقية، هل حقًّا شعروا بالفرحة؟

لم يملك عبد الشكور إلا الشعور بالمزيد من الدنو لكنه هنَّأ مسعود ومنَّى نفسه أن يصدق عارف في مساعدته لعل حاله يتغير، أما بشير فمباركته كانت مقتضبة، بينما عيسوي أظهر غيظه رغمًا عنه وهو يطالع مسعود وعارف وقد قال:

– مبروك.

ثم ترك الغرفة، ليؤكد لمسعود بما فعله أنه بات عدوه الأول، خرجوا جميعهم فتبادلَ عارف ومسعود النظرات، نظرة تقدير أمام نظرة عرفانٍ، وقد أكد الأول:

- برافو عليك يا مسعود، كنت هايل.

إطراء فرض على مسعود أن يطلب من عارف العمل معه مستشارًا إداريًّا للشركة، نظير أي مرتب يطلبه، وبعد إلحاح كانت موافقته، ولكليهما كانت تلك البداية "ولا أروع".

***

دماء لطخت كل شيء، الأرضيات الحوائط بل حتى يده وملابسه، وبقية الأحداث وازت سرعة البرق، دخول الجيران، إبلاغ الشرطة ثم عدة روايات اجتمعت لتدينه وعلى رأسها إتهام مباشر من صبا له، وهو كان ولا يزال يدعي الصمود.

- مقتلتوش والله العظيم ما قتلته.

- وبصماتك اللي كانت موجودة ع المسدس؟ الجيران شهدوا أنكم كنتم بتتخانقوا.

- والله ما حصل، صدقوني أنا بريء بريء.

وهل يوجد من سيصدق؟

تحقيقات تتوالى وقضية تحوّلت لقضية رأي عام، ثغرات يبحث عنها محامي الدفاع، وأخرى يتلاعب بها محامي الخصم، وما بين الاثنين، ضاع إسماعيل وانتهت الحياة في غيابات الجب.

زنزانة ضيقة جدًّا لا تكاد تسعه، وقد تقرر حبسه انفراديًّا لأنه "خطر"، والمتنفس نافذة صغيرة بالقرب من السقف تحمل دومًا بصيص النور لرجل أراد أن يفلسف الحياة بطريقته، يفرض عليها أن

تحمل له رغم أنفها السعادة، تعانده ويعافر، تتمنع ويقاوم، وهو لا يملك سوى أنفاسه وقد قرر رغم كل شيء مر أن يحياها، تتحجر الدموع في عينه فيزداد العناد، لن تكسرك الدنيا مهما فعلت بك يا إسماعيل، لن تفعل ولن تجرؤ

خمسة وأربعون يومًا قد مرت هنا واليوم سيتم العرض على النيابة للتجديد، فهل من شيء يستدعي البشارة؟

"مخبيش عليك يا أستاذ بشير، الآنسة صبا مصرة على موقفها من اتهام جدك، وللأسف بصمات جدك على المسدس كفيلة بتأكيد اتهامها".

– البصمات دي لأنه حاول يمنعه لكن مقتلهوش.

– للأسف صعب حد يصدق الرواية دي.

والجملة من المحامي المجاور لبشير وقد كانا بالنيابة بانتظار مجيء إسماعيل، بينما ظهرت صبا بجوار فريد كما العادة يتابعها لفيف من الصحفيين وهي تحاول تفاديهم حتى باتت على مقربة من بشير فقررت الرد على أسئلتهم.

"أقل شيء ممكن يشفي غليلي القصاص، زي ما ربنا قالنا من قتل يقتل ولو بعد حين، إعدام إسماعيل بالنسبة لي أقل حاجة".

تابعت جملتها بنظرة احتقار لبشير الذي ما إن ظن أن احتمال الإعدام قائم حتى هوى قلبه من بين ضلوعه، هل سيتركه حقًا لمصير كهذا ويقف ليشاهد وهو عاجز؟

واللحظات الباقية حتى مجيئه مرت كالدهر، حتى ظهر إسماعيل فركض بشير لاحتضانه رغم أمر العسكري المجاور بابتعاده.

ظَلّ على سكونه بحضن إسماعيل غير قادر على الحركة يريد فقط أن يطمئن كما العادة بوجوده، والصمت بينهما كانت له السيادة، تمالك بشير نفسه كي لا يبكي فيزيد من حزن إسماعيل وتمالَكَ إسماعيل نفسه كي لا يبكي فيزيد من حزن بشير فبكى الاثنان.

والتعقيب من إسماعيل كان المزاح وهو يقرص خده لينهاه:

– أنت هتفوِّل عليا ولا إيه، أنا لسه عايش وبصحتي وخاطب وعلى وش جواز ولا أنت ناسي.

وجاهَدَ حاله كي يبتسم وهو يرد:

– لا مش ناسي، وليك عليا أول ما تطلع هاعملك أحسن فرح اتعمل في الحلمية وهاكون أول واحد يرقص للصبح.

– خلي بالك من مها ومن أمك وخالتك أنت مكاني دلوقتي.

– حاضر.

علا النداء باسم إسماعيل، فدخل ومعه المحامي، بينما استند بشير على الحائط يسعى للتماسك، أتى عيسوي ومعه عبد الشكور وقد أشارا إليه واتجها نحوه يسألانه، والرد كان الصمت لأنه لا يملك إجابة، فجاوراه بانتظار رؤية ما ستؤول إليه الأحداث وبعد ساعة بدا واضحًا مع خروجه أن القرار كان التجديد واستمرار الحبس على ذمة القضية.

"خلي بالك من نفسك يا حاج إسماعيل".

"شدة وتزول يا حاج إسماعيل".

والأولى من عيسوي والثانية من عبد الشكور، بينما بشير لم يستطع رفع عينه لجده من شدة شعوره بأنه خذله ولم يفعل من أجله شيئًا.

- خلوا بالكم من بشير وهونوا عليه، قولوه مقدر ومكتوب وبلاش يحمل نفسه فوق طاقته.

قالها وابتعد عنوة حين سحبه العسكري المرافق له حتى خرج من المبنى، تابعه بشير وقد سار خلفه عيسوي وعبد الشكور حتى افترقا، وآخر ما رآه كانت ابتسامة منكسرة من إسماعيل حاول بشير أن يبادله إياها لكنه عَجَزَ.

***

صباح اليوم التالي جمعتهم الشركة وزعيق مسعود، مرة بمدبولي لأن القهوة لم تعجبه والأخرى بالهاتف لمقاول الموقع وهو يقرر طرد أحد عماله، عصبية اجتاحته وزادت حين مر بجوار مكتب بشير فوجد فيه الثلاثي البغيض مجتمعين، أيدعمون بشير من أجل جده أم يضعون خطة تمرد محكمة عليه؟ والاحتمال الثاني بدا الأقرب لعقله؛ ألم يتمردوا على فيروز من قبله؟

فتح باب مكتب بشير عنوة ثم سأل بغلظة:

– ممكن أعرف سايبين مكاتبكم ومتجمعين هنا ليه؟ ولا هي تكية بابا الباشا.

– أنت حد كلمك يا جدع أنت؟

وكما توقع رد عيسوي بحدة وقد جاهَدَ نفسه كي لا يسبه، فشعر مسعود بالانتشاء لأنه استفزه، فاقترب منه وعقب ببرود: اسمي باشمهندس مسعود، ومرة تانية لما تكلم مديرك تكلمه بكل أدب بدل ما أضطر أعلمك الأدب.

"مسعود".

والهتاف كان من عبد الشكور بغيظ فرض الدهشة على مسعود؛ من أين أتته الشجاعة فجأة؟

– نعم.

ردَّ وقد عقد ذراعيه أمام صدره فأكمل عبد الشكور:

– يا ريت متسوقش فيها وتنسى أنه وضع مؤقت لحد ما مدام فيروز ترجع.

والبقية تطلعت له باستغراب وكأنه أراد أن يقول ما بات يئنُّ بصدره وقد طفح كيله، فأكمل غاضبًا:

– أنت ليك شغلك اللي دايمًا جاهز على أكمل وجه، ومع ذلك مش بتقدره، بقالك شهر مكان مدام فيروز وكل اللي شايفه غلطاتنا وبس.

"صباح الخير".

وكان تدخلًا لا يبدو صحيحًا لمن لمح مكاتبهم فارغة فبحث عنهم وحين وجدهم بغرفة بشير قرر أن يقطع حديثهم أو بالأحرى شجارهم، تطلع الأربعة إليه وهو فعل بدوره، ثم نظر لعبد الشكور وسأل:

– مالكم؟

ولم يعقب سوى مسعود: متشغيلش بالك يا دكتور عارف، أعتقد في شغل أهم ورانا، ويا ريت كل واحد يتفضل على مكتبه، لأن الشركة لها شغلها مش مفتوحة للتكافل الاجتماعي.

وجملته قيلت بصرامة، فرضت على بشير أن يطلب منهم المغادرة وعند خروجهم استوقف عارف عبد الشكور قائلًا:

– عايزك تعدي عليا في مكتبي.

وبكل ضيق أجابه:

– حاضر.

وما إن غادروا حتى التفت عارف لبشير ثم اقترب حتى جلس على أحد المقاعد المقابلة لمكتبه وسأل:

– جدك عامل إيه يا بشير؟

زفر ورد:

– كويس، وأعتقد الأفضل لحضرتك تتفضل عشان أشوف شغلي وإلا الباشمهندس مسعود ممكن يتضايق.

قالها بتهكُّم فرض على عارف أن يقف في مكانه وهو يُعقِّب:

- أوكي، بس كنت حابب أنصحك نصيحة، حاول تشوف محامي شاطر، لأن المحامي اللي مع صبا دارس ثغرات القضية كويس، وأكيد جدك مش هيعدي من تحت إيده.

قالها بكل برود وغادر إلى مكتبه أو بالأحرى مكتب مسعود السابق بعدما تم تجهيزه على أفضل ما يمكن، دقائق وطرق باب مكتبه عبد الشكور ودخل ثم جلس قبالة عارف وعندها سأله:

- هه إيه الأخبار؟

وعندها بدأ عبد الشكور في سرد كل أخبارهم بداية من خطبة عيسوي وشجن وكل المشاكل التي بينهما منذ أن بدأت الخطوبة مرورًا بمشكلات مسعود مع زوجته التي لمح لها مرة حين قام بتوصيله وبالتأكيد أخبار قضية إسماعيل وتفاصيل ما حدث بالأمس في منزل بشير مع والدته وابنة خالته.

"هايل".

والتعقيب من عارف لجاسوسه وقد أكمل:

- حقيقي برافو عليك يا عبد الشكور، أنت كده تستاهل فرصة حقيقية بـــ"توقيت جرينتش".

"بجد يا دكتور عارف؟"

والتعقيب جاوره شعور بالفرح كونه نجح في تنفيذ ما أمره به عارف؛ بأن يرافقهم ليعرف كل أخبارهم أو بالأدق ثغراهم وشعور

آخر بالحقارة حاول أن ينفضه عن نفسه وعمَّا بقى من ضميره واجتهد ولن ينكر أنه لم يستطع.

– طيب امتى يا دكتور عارف، أنا منتظر أي فرصة بفارغ الصبر؟

– خلاص يا عبد الشكور، حدد الوقت اللي يناسبك وأنا تحت أمرك.

***

بمكتبه كان شاردًا يُطالع الحلقة الفضية التي تتوسط إصبعه بضيق، يقارن رغم أنفه بينها وبين صبا ويخشى أنها لا تستحق مشاعره، يقاوم الابتعاد تارة ويغرق رغم أنفه عدة مرات.

تُرى كيف هو طعم الفراق يا بشير؟ وما الوصف المناسب للغدر عندها؟

زفر بشدة ومنّى نفسه أن رجاءه بشجن لن يخيب، وعاد وكررها دون حماسةٍ:

"شجن ليست صبا".

حتى أتاه مدبولي ببعض أوراق من مسعود مفادها أنه تم تعديل كل ما قام به من تصميمات بما يوافق رأي مسعود، بل اعتماد ما تم تعديله دون الرجوع إليه.

– وفين مسعود دلوقتي.

– راح الموقع.

وعندها لم يستطع أن يتمالك غضبه وكأن ما بات يحدث في تلك الشركة الملعونة يحدث عن قصد ليدفعه دفعًا ليثور، وها هو في طريقه لمكتب عارف، دفع الباب بيده ودخل صافعًا إياه خلفه، ضرب مكتب عارف بكلتا يديه ثم بدأ يزعق:

– لو أنتم متخيلين إني ممكن أسكت عن حقي، أقسم بالله ما هيحصل، ما هو مش نتعب ونشقى ويطلع عينا وفي الآخر الفضل كله يتنسب لمسعود، المدح لمسعود والمكافأة لمسعود والشكر والتقدير لمسعود، واحنا ولاد البطة السودة .

ثم هدأ لعله يستطيع التقاط أنفاسه، بينما رفع عارف رأسه يطالعه مستغربًا وكأنه يجاهد عقله التذكر.

– أنت عدوي مش كده.

– عيسوي.

قالها ببالغ غيظه بينما قام عارف من مكانه ليقف قبالته وهو يكمل تظاهره:

– أه، افتكرتك.

ثم صمت للحظة ثم تابَعَ:

– أنت اللي فيروز كانت عايزة تمشيك يوم ما قررت ترقي مسعود، بس أنا قولتلها ياخد فرصة.

"أفندم"؟

والصدمة ارتسمت على ملامح عيسوي وبظهورها آن لعارف أن يكمل:

– الغريبة أنك بدل ما تحترم الفرصة اللي اتوفرتلك بالعافية نتيجة ضعف قدراتك، وتحاول تحسن من نفسك عشان تثبت مكانك في الشركة، كل يوم بتعمل مشكلة، وده عشان أنت مصر تشوف نفسك أحسن من اللي حواليك، مصر متشوفش نقط ضعفك والقصور اللي فيك، وأنك واخد اللي تستحقه ويمكن أكتر شوية.

– أنت إزاي تتكلم عن شغلي كده، ثم أنت مين أصلًا عشان تقيمه.

والزعيق لم يعد بنفس الحدة، ثمة تراجع خافت بدا واضحًا من نبرة صوته أكدَّ لعارف ظنه:

– ومن قالك إن أنا اللي قيمتك أو فيروز أو حتى مسعود.

والهدوء احتال لزعيق وهو يسحب إحدى الأوراق من فوق مكتبه ثم يهتف وهو يضعها في وجه عيسوي:

– ده تقرير كامل في كل ثغرات شغلك، من أكتر من مهندس متخصص استعانت بيهم فيروز وهي بتقيم شغلك، ده غير كم التعديلات اللي اتعمل على رسوماتك الفاشلة والناس اللي قالت لمدام فيروز بكل صراحة أنها محتاجة تغير مهندس العمارة لأنه ضحل ومش بيفهم، ودي مش أول مرة

ثم رمى الورقة من يده بإهمال على المكتب ولم يجرؤ عيسوي أن يأخذها ليتأكد، ولو فعل لأدرك أنها فارغة ولكن كيف وقد احتلت

كلمات عارف عقله؟ ربما هو يكذب ولكن ماذا لو كان صادقًا؟

"لوعايز تسيب الشركة وتدور على شغل في مكان تاني تقدر من دلوقتي، ده إذا لقيت مكان يقبل بيك".

والجملة قيلت بحدة وقد أمسك بعدها برسوماته الهندسية وقذفها بوجهه فسقطت أرضًا أمام قدم عيسوي، فانحنى يلتقطها ومع انحناءة رأسه ابتسم عارف وقد أدرك، لقد انكسر الثائر وآن له أن يخْضع!

رفع رأسه بكل غيظ والتفت ليرحل وعندها قرر أن يستوقفه:

"عيسوي".

وقف فاقترب قبالته مقررًا اللعب بأكبر ثغرة في حياته كلها وبنبرة هادئة اكتست بحنو قال:

"اعتبرني زي والدك، وأنت زي ابني، تصرفاتك دي ملهاش إلا معنى واحد، أنت عندك مشاكل كتير، جايز مع والدتك أو مع خطيبتك، احكيلي يا عيسوي، يمكن أقدر أساعدك".

"معقولة؟"

قالها عيسوي بشك بينما ابتسم عارف وعقّب: جرب تفتكر هتخسر إيه لو جربت؟

وتلك النظرة الحنونة زادت من شكوكه، هل حقًّا كان يظلم الدكتور عارف بظنونه؟

"طيب حاول تعيد التصميمات، وأكيد هيطلع منك شغل أفضل، وأنا مش هأستعجل على ثقتك فيا، لأن اليوم ده أكيد هييجي.

ثم شمل كتفه بربتةٍ حانية وأكمل:

- ربنا يوفقك يا عيسوي.

وبالتأكيد من خرج من تلك الغرفة كان آخر غير الذي دخلها منذ دقائق، وعندها زادت ابتسامة عارف، أخرجَ ورقة من جيبه وأمسك بالقلم وبجوار اسم مسعود المشطوب واسم عبد الشكور المشطوب تم شطب اسم عيسوي ليبقى بعدها أمام اسم بشير، لن يأتي اليوم وربما لن يأتي غدًا لكنه بالنهاية سيأتي إن لم يكن من أجل مصالحه فبالتأكيد من أجل براءة جده.

***

(15)

إذا نزل مؤمن وكافر إلى البحر فلا ينجو إلا من تعلَّم السباحة، فالله لا يحابي الجهلاء.

مصطفى محمود

كانت تطالع سقف الغرفة بضيق، مقيدة ببالغ شعورها بالعجز حين طرقت أختها باب الغرفة تحمل بيدها طبقًا كبيرًا مملوءًا بالفشار وقد أشفقت على حالها، جلست قبالتها تمني نفسها لو استطاعت مساعدتها ولكن أختها العنيدة لن تكف عن المحاولة.

– باللمبة!

– مالها اللمبة؟

– أنا قريت الملف على فكرة، دكتور بغدادي استايل، كلي فشار أحسن.

قالتها وهي تمدُّ يدها لأختها بالطبق فكان رد أيتن إخراجها من الغرفة عنوة بطبقها وهي تتمتم:

– بت فصيلة صحيح.

عادت أيتن للتفكير لكنها سئمت فقررت ترك غرفتها وجاورت آلاء وقد بدأت تأكل فشار وتتابع معها "المسرحية"، تشرد فيما تسمع وتضحك على نفس المقاطع التي اعتادت الضحك عليها رغم تكرارها..

– تفتكري احنا بنضحك عشان فعلا بنضحك ولا عشان اتبرمجنا أننا نضحك؟

ولم تُجبها إلا بمزيد من الضحك وهي تتمتم:

– تصدقي بالله، أنتِ بتفكريني بأحمد زكي في المسرحية دي، يا بنتي كلمينا بالهجايص.

"هجايص؟"

– أيوة، كلمي الناس بلغتهم.

فكرت قليلًا ثم ابتسمت وسألت:

– هنحارب عارف بالهجايص.

– وهو كان فلح مع الناس إلا لإنه بيهجص.

واستشعرت أن آلاء على حق، والسؤال الذي دار بخلدها، لماذا يجب على المثقفين احتراف العمق، والعمق دومًا هو تقعير الكلمات حد التسطيح من كل ما هو بسيط وقادر على الوصول بسهولة للجميع.

"البساطة ليست سطحية".

ومَن يغلب عارف لا بد عليه أن يفهم ألاعيبه، أن يضعه بحجمه الحقيقي دون إنقاص أو تهويل.

علا نور الصباح، اتجهت صوب عملها بالحضانة واجتمعت بأنقى صحبة على الأرض، حيث الرسم بالألوان واللعب بالصلصال، فوقفت بالمنتصف وهتفت:

– النهاردة عندنا مسابقة كل واحد هيعمل من الصلصال اللي قدامه حاجة محدش جرب يعملها قبل كده، يلا وروني شطارتكم.

وتابعتهم في شغف وقد شردت في قدراتهم، وعندها تنهدت بحسرة، آه وألف آه لو أننا نترك عقولهم على الفطرة، عندها بالتأكيد ستزدهر وتبتكر وتبدع، وفي ذلك الخطر الأعظم

بدأ الأطفال في التوافد عليها، من صنع دميته ومن صنع شخص آلي قادر على تغير المستقبل، ومن بدت شاردة على غير عادتها صامتة تلهو بالصلصال وقد بدا أنها قد تبكي.

– مالك يا كتري؟

– مفيش.

وتلك الإجابة منها لأيتن أقلقتها فجاورتها تنظر إلى ما فعلته وتسأل:

– طيب أنتِ حاولتي تعملي إيه؟

لم ترد فنظرت لما فعلته وسألت:

– إيه ده يا كتري، ده لاب توب؟

"تؤ":

ثم صمتت ثم شردت وسألت في أسى:

– هو ممكن اللي باعمله ده يتحول لحاجة حقيقية؟

وبعد نظرة إمعان أجابتها:

– طيب مش لما أفهم الأول إيه ده؟

وببعض حماسة أجابتها:

– ده توقيت جرينتش.

ومن فرط ذهولها نسيت كل شيء من حولها وأجلستها فوق قدمها وكان حوارهما، والد كتري يعمل مع عارف ويريد أن يدخل بتوقيت جرينتش وكذلك والدها، وشجارهما في كل يوم من أجل ذلك، فلم تملك الصغيرة إلا أن تصنع لهما جهازًا بديلًا علهما يكفان عن الشجار.

– تعرفي حد يساعدني، نوصله بالكهربا عشان يبقى حقيقي؟

– أنا ممكن أساعدك، هاخد منك اللي أنتِ عملتيه ده وأحاول أعمل واحد زيه بالكهربا، بس هناخد شوية وقت عقبال ما يخلص.

– ماشي، المهم يبقى عندنا جهاز تاني وممكن بعد ما ماما وبابا يقعدوه عليه، ناس كتير تقعد عليه من غير فلوس ونفرحهم.

– هايل هايل يا كتري، ده أنتِ طلعتي عبقرية.

قالتها أيتن واحتضنتها بقوة وقد شعرت أن كتري وحدها استطاعت إضاءة أكبر لمبة.

تمدد على سريره وضع كلتا ذراعيه خلف رأسه ناظرًا في الفراغ، لم يذهب إلى عمله منذ يومين، تحديدًا بعد كلمات عارف له، انكسر أو في طريقه للانكسار وهذا الشعور كالعلقم بفمه، لم يكن يريد أن يزيد من حزن والدته التي انطوت بعد سجن إسماعيل، فتظاهَرَ طوال كل ما مضى بأن كل أموره على يُرام، حتى طفح الكيل عن آخره، وقد زاد شعوره بالنبذ؛ من والده وعمله وزملائه وأخيرا خطيبته.

زفر بشدة وعندها طرقت مشيرة بابه لتسأله عن حاله، اعتدل في مكانه حينما جاورته وقد تمكن منها القلق فسألت:

- مروحتش الشغل، وشجن مش بتكلمها، مالك يا عيسوي.

زفر ورد:

- هي اشتكتلك؟

ضحك هازئًا فكان ردها:

- بطلت تكلمها ومش عايز تروحلهم، هي مشتكيتش هي بس كانت عايزة تطمن عليك.

زفرة ثالثة ثم أغمض عينيه متنهدًا بضيق، ثم رد:

- أروح عشان أقعد مع باباها ومامتها ونتكلم في اللي عملته واللي ناقص والحاجة اللي غليت والآخر أقعد معها نص ساعة تعاملني بمنتهى البرود، ولا أكلمها ونتخانق لأننا مش عارفين نتفاهم وشكلنا ولا هنعرف.

بدا عصبيًا وقد قام من مكانه مقررًا الوقوف في النافذة، التفتت لتراه وقد زاد شروده فقامت من مكانها وجاورته وقد وضعت يدها فوق كتفه وعقبت:

– اسمع يا ابني، بطلوا شغل ناقر ونقير بتاع الأفلام العربي ده، وبطلوا عند ومكابرة، أنت بتحبها وهي كمان، بس كل واحد خايف من التاني وعايز يحمي نفسه، كل واحد منكم متوقع الوحش من التاني، ومستني الغدر وكسر القلب، واللي بيستنى حاجة لازم يلاقيها، لأن كل تصرفاته من غير ما يحس بتبقى رايحة به ناحية اللي خايف منه، ابدأ أنت مفيش ست بتغفل الاهتمام، وانسى أبوك، وسامحه.

"أسامحه؟"

التفتَ لها وقد اغرورقت عينه بالدموع مُعقّبًا بانكسار:

– يا ريت كنت أقدر، يا ريت، المشكلة إني كل ما أفتكر أنه كمل حياته عادي ولا كأنه داس على حد مبعرفش، باكرهه أكتر، نفسي أوجعه ولما بتيجي فرصة وأفتكر إني عرفت بيصدمني إن تصرفاتي ولا بتفرق معاه.

– وإيه دخل شجن بكل ده.

ولأنه بحاجة للزعيق زعق:

– بتفكرني بيه؛ ببروده، لو قربت زيادة هاكرهها وأنا مش عايز أكرهها.

واستوقفته هي برجاء:

– اتأنى عشان متظلمهاش، شجن لا هي أبوك ولا هي صبا ولا أي حد تاني، شجن هي شجن وبس يا عيسوي، اهدا وبلاش تفكر وأنت مضغوط.

أنهت ما قالته والتفتت لتخرج من الغرفة فهتف عندها:

– أنا ناوي أقدم استقالتي.

وكان يدرك أن فاطمة وعبد الغفور لو عرفا، فذلك سيكون كافيًا لفسخ الخطبة، ولكن هي هل سترضى؟

***

كانت شاردة وقد أصابها القلق وفكرة واحدة سيطرت على عقلها، ركض خلفها لأنها صعبة المنال وحين تمت الخطبة استهتر بها.

تطلعت لصور الخطبة بينما أشجان قررت سحب الهاتف منها علها تقطع شرودها، وما إن نظرت للصور حتى تنهدت وعقبت:

– شوشو بتسرح يا أم شوشو، اللي اداك يدينا يا سيدي.

زفرت شجن بضيق وأشاحت بوجهها عنها فهتفت عندها أشجان: – الحقي يا شجن عيسوي بيتصل.

انتفضت تسحب الهاتف من يدها لتتأكد عندها أن أختها كانت تمزح وعندها لم يسع شجن إلا قذفها بأقرب وسادة وهي تطردها من غرفتها، خرجت أشجان وجاءت فاطمة.

فزادت زفرها، بالتأكيد ستسأل عن سبب انقطاع زيارات عيسوي وتحقق كما كونان، بينما فاطمة ستحملها نتيجة ما آلت له علاقتهما وتأنبها، فهل هي مخطئة بالفعل؟

وما إن تركتها فاطمة حتى قررت أن ترسل له رسالة؛ مفادها "ممكن تكلمني؟"

وانتظرت قرابة الساعة ولا استجابة تذكر وعندها بكت وما كانت تظن أنها قد تفعل.

والوجه الآخر لم يكن كما ظنت، فعيسوي كان ممسكا بهاتفه لا يعرف بما يرد، كتب خمس رسائل وحذفها قبل إرسالها، هل حقًّا تبالي أم تتظاهر؟، ما عاد يدري.

***

يوم لم يكن اعتياديًّا بعمله انتهى منه ثم عاد لمنزله يفكر هل لم يعد عارف يثق به؟

بات واضحًا أن عبد الشكور نادم ولا يريد الاستمرار فيما يفعل بل وبدا لعارف أنه بدأ يراوغ ولا يخبره بكل ما يعرف.

اتجه إلى خزانة الملابس ليبدل ثيابه لكنه توقف لثوانٍ وأمام المرآة يتطلع لوجهه.

"حقير".

قالها ثم جلس على طرف السرير منكسًا رأسه في صمت بينما كتري جرت لتجلس فوق قدمه وقد قررت أن تحكي له عما دار في

حضانتها اليوم، سمعها بنصف ابتسامة ثم قبل رأسها، كررت آخر ما قالته مستفهمة عله يجيبها فأكدت:

- هو أنت مش مبسوط مني عشان هاعمل الجهاز ده؟

وبعد تنهيدة مريرة أجابها:

- طبعًا مبسوط يا كتري.

شعرت بالراحة فسألت:

- يعني مش هتتخانق أنت وماما تاني؟

سؤال فرض عليه الأسى وأدرك معه معاناة ابنته فأجابها بحسم مفتعل:

- لا.

- توعدني؟

زادت ابتسامته وضمها دون تعقيب وعندها أتت رنا، تطلعت إليهما قبل أن تأمر كتري بغسل يديها قبل الأكل فاستجابت للأمر وخرجت من الغرفة، بينما جاورت رنا عبد الشكور، ليدور الحوار المعتاد حول عارف وتلح بسؤالها الدائم؛ متى سندخل جهاز عارف؟

هتف بضيق:

- شيلي موضوع يدخلنا ده من دماغك، لو هيساعدني أنا ماشي، لكن أنتِ ليه، ربنا العالم جهازه ده له أضرار ولا لا يا رنا.

- قول أنك عايز تتغير للأحسن لوحدك، ماشي يا عبد الشكور.

قالتها بعدما وقفت قبالته ولشدة غيظها منه تابَعت:

- بس خليك فاكر أنك لو كنت تنفع كان زمانه دخلك، بس هو محرج يقولك أنك مش مناسب.

زاد غيظه فجذبها من ذراعها حد إيلامها وهو يقف أمامها ويرد:

- يا شيخة حرام عليكي ارحميني بقى.

سحبت ذراعها وقد ترقرقت الدموع في عينيها، فشعر بالندم حين فركت ذراعها من الألم ثم خرجت من الغرفة.

اجتمعوا على مائدة الطعام دون أن يتفوهوا بكلمة فقررت كتري سرد ما فعلت بالحضانة على والدها وما إن قالت أنها قد تصنع بديلًا لجهاز عارف حتى ردت:

- محدش يا كتري يعرف يعمل جهاز بدل جهاز دكتور عارف، ميس أيتن كذبت عليكي ومش هتساعدك وهتروح ترمي الصلصال في الزبالة.

بدا واضحًا كم هي صدمة ابنتها وقد هتفت: لا دي قالتلي هتساعدني وميس أيتن عمرها ما كذبت

- لا كذابة ولما مامي تقول على حد كذاب يبقى كذاب، فاهمة؟

لم تزعق ولكنها كانت محتدة، كانت تشعر بالغيظ حيال زوجها ونفثت غضبها في ابنتها التي تركت الطعام واتجهت لغرفتها واجمة بعدما كُسر خاطرها، وبدوره ترك الطعام واتجه لابنته يطيب خاطرها، واستمر اليوم دون كلام حتى صباح اليوم التالي، لتتأكد كتري أن عليها الثقة بمعلمتها، فقد عكفت أيتن على رسم جهاز يشبه ما فعلته

كتري بصلصالها مع إجراء عدة تعديلات وكأنها هي نفسها باتت تفكر في تنفيذ الفكرة أو على الأقل ستحاول!

ومع عودة عبد الشكور لمترله عصرًا كانت فرحتها وهي تقصُّ عليه ملخص يومها وقد هتفت بسعادة:

– ميس أيتن مش بتكذب عليا، شوفت بقى.

وحين قالتها فرضت عليه سؤالها:

– وأنتِ فرحانة عشان هتساعدك ولا عشان مش بتكدب.

– عشان مش بتكدب، عشان كده أنا باحبها وبحبك أنت كمان عشان أنت برضو مش بتكدب خالص، صح؟

بدا الوجوم على وجهه واضحًا وكأن ابنته صفعته بكلماتها، وما إن جمعتهم مائدة الطعام حتى استشعر أنه ما عاد قادرًا على تناوله، تطلّع لابنته وابنه وحاله فشعر بالأسى ودون كلمة اتجه ليبدل ملابسه وخرج، وأمام مترل بشير وقف وقد شعر بالتردد من الصعود، ربما يظن بشير أنه يؤازره كما ظن سبقًا، لكنه سيخبره الحقيقة التي يعلم كم هي مؤلمة.

"ممكن أتكلم معاك شوية على انفراد؟"

وجمعهم سطح مترل بشير وكوبان من الشاي وحديث مطول انتهى بعلو صوت بشير وشجار وصدمة، وقد وقف أمامه يهتف بذهول:

– أنت تعمل كده، ليه؟

قالها بشير بمرارة فنكّس رأسه أرضًا، ولم يملك إجابة، فأردف بشير بوجعٍ:

– أنت جبان وخاين يا عبد الشكور، خاين.

ترقرقت بعض دموع في عينه وحاول الدفاع عن نفسه لكن كلماته هربت منه وباغته بشير:

– اطلع برة، اطلع برة يا عبد الشكور.

قالها بحدة وقد أولاه ظهره، وعندها أدرك حجم ما سببه من ألم لمن ظن أن ما بينهما أكثر من زمالة عمل، التفت ليرحل فاستوقفه بشير بجملة واحدة:

– صعبان عليا قوي إني اعتبرتك أخ واقف جنب أخوه في محنته، عمري ما كنت أتخيل أنك موجود عشان تطعني في ضهري، وأنك جاسوس عارف وسطينا عشان تنقله أخبارنا.

علق بخذلان:

– أنا آسف قوي يا بشير.

بحسرة رد:

– وأنا عمري ما هاسامحك.

وكان هذا آخر ما سمعه، غادر بخطوات مثقلة، وطوال طريق عودته جاهَدَ نفسه كي لا ينخرط أكثر في البكاء، وقد حسم أمره بأنه لن يستمر فيما يفعله واللعنة على جهاز عارف بل عارف نفسه.

ليستوقفه اتصال من عارف وكأنه عرف ما فعله، لم يتحدث كثيرًا فقط قال أنه سيسمح له اليوم بدخول جهازه وقبل أي ردٍّ باغته، رنا بطريقها للفيلا لأنه طلب منها أن ترافق زوجها.

وطوال طريقها كانت بدورها شاردة، تتخيل المنشورات التي ستكتبها بالفيس بوك عن حياتها بعدما تغيرت، سفر لأوروبا، أزياء مميزة بماركات عالمية، قصر وخدم وراحة وسعادة، وأخيرا سيأتي الأفضل.

وصلت واتجهت للفيلا، وطرقت الباب ليفتح عارف عندها، شعرت بالتردد في الدخول حين علمت أن زوجها لم يأتِ لكنها حسمت أمرها ودخلت لأن عارف مصدر ثقة، جلست على أقرب أريكة وجلس هو قبالتها ثم عقّب:

– كويس أنك جيتي الأول.

جملها لم تفهم مغزاها فأردف:

– أنا محتاج أتكلم معاكِ بصراحة، وفي عدم وجود عبد الشكور، ممكن.

– آه طبعًا اتفضل.

وبدأ حواره بشكل علمي مبسط عن مواصفات من يجب أن يجلس على جهازه، كلمات أقرب لما قالتها نانسي مسبقًا عن احتمالية أن عبد الشكور غير مؤهَّل لدخول الجهاز، وها هو عارف يؤكد:

- عبد الشكور حتى لو دخل جرينتش حياتكم عمرها ما هتتغير، وده لأنه غبي، آسف بس دي الحقيقة اللي مش هأقدر أخبيها عنك.

بكت ولم تكن دموع مصطنعة بل بكت بانهيار لأن أحلامها تحطمت وعندها أردف:

- أنا مش بأقولك الكلام ده عشان تعيطي، أنا بأقولك كده عشان في حل لكن محتاج منك مساعدة.

رفعت رأسها تطالعه برجاء فأكمل:

- أنتِ اللي تدخلي الجهاز مكانه المهم يقتنع بكلامنا.

وبأسرع ما لديه وصل، دَقَّ جرس باب فيلا الدكتور عارف ودخل ليرافقهم وقد بدت ملامحهم متغيرة وبالأخص رنا، طالعهم وقد جاور زوجته ثم نظر لعارف وسأل:

- هو في حاجة ولا إيه؟

- أبدًا، أنا هاجيب الشاي وارجعلكم.

قال جملته وتركهما، عندها هتف عبد الشكور بضيق في زوجته المتهورة:

- هو أنتِ أي حد يقولك تعالي تروحي، ملكيش راجل تستأذنيه قبل ما تنزلي.

محتد، مغتاظ ورغم ذلك أخفض صوته رغم أنفه بينما هي قررت الرد غاضبة:

- كالعادة طبعًا خدوهم بالصوت مش كده، عمرك ما هتتغير أبدًا يا عبد الشكور، واللي تستنى جنبك تغيير تبقى غبية.

- رنا لو عايزة تتخانقي لينا بيت نتخانق فيه، ويلا بينا أنا لا داخل جهاز ولا عايز من وش الراجل ده حاجة.

وكأن الزيت كان بحاجة للمزيد من النار ليشتعل، هتفت بغيظ:

- أنا مش هامشي من هنا قبل ما أدخل الجهاز.

"تدخلي؟"

قالها بصدمة فأكدت هي:

- أيوة، طالما أنت مش عايز تدخل، أنا هأدخل، أنت لو راضي بعيشتك وعايز تفضل محلك سر أنا لا، أنا أستحق الأفضل وأنت لازم تفهم كده.

"رنا؟"

"في إيه يا جماعة مالكم؟"

قالها عارف بهدوء وقد عاد حاملًا بيده صينية موضوعًا عليها فناجين من الشاي، وضعها من يده ثم طالبهما بالتوقف عن الشجار.

"لا يا شيخ!"

زعق بها عبد الشكور وقد وقف قبالته ثم أكمل:

- أنا دلوقتي بس بقيت شايفك كويس يا دكتور، اصحى وفوق، وافهم إني خلاص فهمت.

ابتسم عارف ثم نظر له ببرود ورد:

- كل ده عشان قلت أنك لا تصلح لتوقيت جرينتش، كل ده عشان قلت إن مراتك فرصتها أعلى منك؟

والصدمة ارتسمت على ملامح عبد الشكور، بينما نظرتِ له رنا بريبة ولم يعرف عندها ما هو الرد المناسب، ولم يمهله عارف فرصة ليفكر، فطَرَقَ على الحديد وهو ساخن:

- كل ده غِل جواك، للدرجة دي نجاح رنا مخوفك! إيه مشكلتك لو احترمت قدرات مراتك وأنها أحسن منك؟

- أنت بتقول إيه؟

جذبه من ملابسه عله يصمت وما إن صمت عارف حتى تحدثت هي: كفاية بقى، أنت إيه يا أخي؟

"رنا؟"

"بلا رنا بلا زفت، غباء ورضيت، خيانة وعديت فاضل إيه تاني يا أخي؟ كفاية بقى لحد كده".

كانت تزعق بكل جدية، كأنها تقر كلام عارف كالمسحورة، لقد صدقته، أو ربما قد وافق كلامه هواها وفي كل الأحوال النتيجة واحدة.

هتاف يدافع أمام زعيق يهاجم، تدافع كلمات ما عاد يحكمها عقل:

"أنتِ مستحيل تكوني رنا!"

"أنت اللي مستحيل تكون عبد الشكور!"

- أنا باقول تروحوا بيتكم وتفكروا بهدوء وتحاولي تقنعيه يا رنا وأي وقت أنا وجهازي تحت أمركم.

وألقى الشيطان بعظته وتركهما.

عادا إلى بيتهما وقد احتدم الشقاق بينهما، وما عاد باستطاعتهما حتى النظر في وجوه بعضهما البعض.

***

عدة أيام مرت بدت كتري فيها منطوية بينما أيتن تسعى خلف فكرة مكتملة توازي جرينتش، كانت تراقب صلصال كتري على مكتبها حين تعالت ضحكات أختها وقد نادتها:

- تعالي شوفي الفيلم ده بسرعة.

- اطلعي من نفوخي يا آلاء.

- تعالي بس.

متذمرة قامت من مكانها واتجهت لتجاورها وقبل الزعيق فيها على كونها تركت مذاكرتها استوقفها المشهد الذي شاهدته، فمدير شركة درنجا يرى أن الدعاية السلبية في حق صاحبة الشركة التي سرقت مدير التسويق من أولاده إيجابية، لأن الجميع سيتحدث عن شركة درنجا ومن ثم ستزداد المبيعات.

"معقول؟"

جاورت آلاء تسألها:

- اسمه إيه الفيلم ده؟

- اسمه عصافير الجنة ولعلمك بقى، الكلام ده من سنة 55.

وظلت بمكانها تتابع الفيلم لنهايته، ولم يستوقفها قدر ما فعلوه الثلاث بنات بحق شركة "درنجا" حتى خسرت زوجة أبيهم كل ما كانت تملك.

"درنجا خلاصة دموع ثلاث صغيرات".

"درنجا يُسبب العمي".

"أوعوا حد يشرب درنجا، كسر يا ابني الإزايز دي".

"عينايا، عينايا درنجا بتسحب النظر".

"معقولة؟"

همهمت بها وقد التمعت الفكرة واستشعرت أن عليها المحاولة فهتفت:

- عشان كمال يرجع لأمينة، لازم درية تخسر كل فلوسها .

طالعتها آلاء بقلق وسألت:

- أنت كويسة.

اكتسى وجهها بابتسامة نابعة من حماسها وهتفت:

- أكيد، على الأقل لقيت طريقة أخلص بيها من الدرنجا.

واتجهت لغرفتها وكتبت بورقة جانبية:

"بالصور إزاي تعملي توقيت جرينتش بمكونات من جوه مطبخك وأنضف من الجاهز بكتير".

***

هي العادة أو هكذا ستبدو، هو يزعق وهي صامتة هو يثور وهي صابرة، يعود معه بقية أوراق العمل لينهيها في المترل، يدفن نفسه في العمل لينسى ويصعد، الشركة باتت تنجح بسرعة غير اعتيادية والفضل فعليا يعود لجهوده، والمال بدأ يغدق عليه وحده!

شركات تريد الشراكة وأخرى تسعى خلف استشارته الهندسية، لقد لمع اسمه وهذا احتاج لكل جهده وكان حرفيًا على حساب كل شيء من حوله، ما لم يكن يدركه أن درة كانت تجاوره على أمل واحد، أن يعود مسعود القديم ذات يوم، لكن ما تأكدت منه أنه كلما صعد أكثر كلما دعس مسعود القديم، حتى أيقنت أنه تلاشى حين تركت إحدى بناها تزحف أرضًا فتوجهت لغرفة مكتبه المفتوح وعبثت بأوراقه وعندها اجتاح طوفان غضبه الرضيعة حد أنه كاد يضربها فحملتها درة وهربت من أمام وجهه وأغلقت عليها باب غرفتها بينما زفر هو بشدة وعاد يلملم الأوراق وهو يسب ويلعن وما إن هدأ حتى بدأ يدرك كم تغير، جلس يشعل سيجارة ويدخن بينما صوت بكاء صغاره يزيد من احتراق أعصابه.

هل حقًا وصلنا لنقطة النهاية؟

والسؤال كاد يكون بلا إجابة إلا أن عطيات اتصلت به بصباح اليوم التالي لتخبره أن درة قد غادرت المترل وتطلب الطلاق ولا تريد الاستمرار، وهذه المرة كل شيء يحمل الجدية في تفاصيله كافة، لا تريد ولا ترغب ولم تعد تملك طاقة.

وأغلق الهاتف ودارت به الغرفة، الملعونة ثارت على جبروته وتريد فراقًا حتميًّا، هوى جالسًا على مقعده وقد ارتجفت شفتاه بكلمة "طلاق".

لا مستحيل، درة لا تستطيع أن تعيش بدونه لحظة، ستعود مساءً، ستثور وتزعق وقد يعتذر ربما عليه أن يعتذر لكنها أبدًا لن تتركه.

وكاد عقله يذهب من فرط التفكير حتى هداه لحل واحد؛ الاستعانة بعارف وطلب المشورة وقبل التوجه لغرفته دفع بشير الباب ودخل واضعًا الأوراق التي كانت في يده أمام مكتبه هاتفًا:

– شغل من تحت الترابيزة يا مسعود هي حصلت، هي دي الأمانة اللي سابتهالك فيروز، بدل ما تحافظ عليها بتاخد المشاريع لحسابك.

وهالته عصبية بشير وزعيقه به فكان الرد زعيق أعنف:

– أنت نسيت نفسك يا بشير، وكمان داخل تزعق!

– أنت اللي نسيت نفسك يا مسعود، لا ونسيت أننا زمايلك مش خدامين أبوك.

– لا ده أنت اتجننت رسمي، اسمع يا بشير أنت ملكش عندي إلا مرتبك اللي بتاخده أخر كل شهر، وأظن من يوم ما فيروز مشيت وأنت حقوقك محفوظة، غير كده بقى فالشركة تحت تصرفي، وأظن إن الكل شايف بعينه إزاي الشركة بقت أحسن ألف مرة لما بقيت أنا المدير.

"أنا اللي طورتها، أنا اللي مفحوت وطالع عيني، أنا.....أنا..."

وآه من الأنا حين تتملك منا فلا نرى بعدها إلا أنفسنا!

والزعيق المتبادل كان سيد الموقف حد أن سمع كل من في الشركة شجارهما، لكن لم يعد يعني عبد الشكور أو عيسوي شأن شركة الفيروز، منذ متى كانت تلك الشركة الملعونة عادلة، كل منهما أفنى عمره يعمل ويجتهد لعل حاله يتغير للأفضل، وبالنهاية يأتي من يترأسها رغم أنوفهم، فتسحقهم وترضيه، كفى يا شركة الفيروز! كفى طالما أن خيرك لم يكن يومًا لأهلك.

"كفاية".

قالها عيسوي وقام من مكانه متجهًا لمكتب مسعود لتقديم استقالته غير عابئ بزعيقه وبشير، سيضع استقالته ويرحل من هنا للأبد.

"والله اللي مش عاجبه يا بشير يمشي".

وما استشعره عيسوي أنه لو دخل إليه الآن فبالتأكيد سيقتله.

"أنا أعرف أجيب اللي أحسن منكم يشتغلوا وبنص مرتباتكم كمان".

وبالكاد تماسك عيسوي كي لا يفتح الباب ويدخل لذلك الحقير، فقبض على ورقة الاستقالة بيده وعاد أدراجه لمكتبه وقد كورها وألقى بها في سلة المهملات حانقًا، أهذا ما يريده، أن يرحلوا، إذًا لن يرحل بتلك البساطة أبدًا.

ثم علا رنين هاتفه باتصال من شجن فقذفه على مكتبه وهو يتمتم:

- مش وقتك خالص.

ولم تملك إلا إعادة الاتصال بعدما خرجت من محل الهدايا، وقد أعدت ما اتفقت عليه مع مشيرة، لم يرد فزفرت وعندها لم تملك إلا الاتصال بمشيرة لتحكي لها:

- تفتكري كده ينفع أعدي عليه في الشركة.

- لو مش عايز يرد ابعتيله رسالة، قوليله أنك رايحاله الشركة.

زفرت بقلة حيلة فأردفت مشيرة:

- أنا عارفة إني تقلت عليكي لما طلبت منك تروحي، بس عيسوي نفسيته وحشة قوي والنهاردة راح عشان يقدم استقالته، وجودك هيهون عليه مع كلمتين حلوين منك، خصوصًا إن النهاردة عيد ميلاده يعني معاكي حجة أهو.

صمتت وقد بدا لمشيرة أنها مترددة فعقّبت:

- طيب على كل حال لو مش عايزة تروحي، بلاش.

- لا خلاص هابعتله رسالة واروح، سلام.

وانهت مكالمتها واستوقفت سيارة أجرة وبمجرد ركوبها أمسكت هاتفها وكتبت:

"أنا جايالك الشركة دلوقتي، واهو نحط النقط اللي مضايقاك طول الوقت ع الحروف، أما أشوف أخرتها معاك يا سي عيسوي".

واللعنة على اختيارها للتوقيت الخطأ دون قصد منها! واللعنة على عقله الذي ترجم رسالتها بأن الملعونة أتت لفسخ الخطبة وإهانته هنا

في الشركة وأمام زملائه، وعلى رأسهم مسعود الذي لن يسعه إلا أن يشمت أو عارف الذي سيتأكد من فشله!

أسرع بالخروج من مكتبه ليرتطم بعم مدبولي، الذى وقف ليحكي:

- الحق يا أستاذ عيسوي، بشير ومسعود ماسكين في بعض.

ولم يملك تعقيبًا لمدبولي فتركه واتجه للخروج ليستوقفه عند باب الشركة رجل قد وقف سائلًا:

- الأستاذ عبد الشكور رسمي عبد الصبور موجود من فضلك.

والاستغراب علا ملامح عيسوي وفرض عليه فضوله أن يسأل ليخبره أنه محضر من المحكمة.

وما إن سمع مدبولي ما قاله الرجل حتى أسرع لمكتب عبد الشكور ليخبره، وكلماته فرضت على عبد الشكور الانزعاج، فهرول ناحية الباب ليخبره عندها:

- السيدة رنا أمين رافعة على حضرتك قضية خلع.

"خُلع؟"

والصدمة كادت تهوي به أرضًا إلا أنه تماسَكَ وقد أسنده مدبولي بينما ظل هو ينقل بصره بين عيسوي ومدبولي وبين المحضر الذي التفت ورحل.

"خُلع؟"

أعادها عله يصدق أن ابنة عمته وحبيبة عمره قد فعلتها حقا، بل وأرسلت الإنذار إلى محل عمله، وأمام زملائه ودكتور عارف، هل كل ما يهمها هو أن يعرف عارف بما فعلته، لفظته خارج حياتها لأنها تستحق الأفضل.

"عبد الشكور أنت كويس؟"

هوى جالسًا ولم ينطق بكلمة فقط نظر لعيسوي ولم يعرف بما يرد، فكر بكتري وتيم ومصيرهما، وكأن شريط حياته قرر رغم أنفه المرور على عقله، عرسه سبوع ابنته وابنه وكل لحظة مهمة، ألم يكن كل هذا بحاجة للتروي؟

خرج بشير من مكتب مسعود صافعًا الباب خلفه، وأول ما فكر به هو التوجه لعيسوي، وللحظة فكر في عبد الشكور، ولكنه نفض الفكرة، فذلك الحقير لن يسامحه أبدًا.

وعند مدخل الشركة سمع همهمتهم وتسمر لرؤيتهم وقد اجتمعوا أمام عبد الشكور فسأل:

- إيه اللي حصل؟

وعندها تبادلا النظر وعبد الشكور، الكل سيشمت بك يا عبد الشكور وعلى رأسهم بشير لأنه الوحيد الذي يعلم حقيقتك.

قالها في نفسه قهرًا ولم ينطق، انتفض من مقعده وخرج مبتعدًا عنهم، كفاه طعنات وشروخ وكسور، كفاه أنه كان دومًا "حائطهم المتدني"، الكل يتكئ عليه، وليس من حقه الصرخة.

"سلام عليكم."

والصوت كان لشجن التي وصلت فالتفت لها عيسوي وقد أيقن أنه أخيرا قد عرفها على حقيقتها، شجن هي رنا هي صبا هي كل امرأة حقيرة لا تصون ولا تقدر.

"جاية ليه يا شجن؟"

ولم يصدمها طريقة سؤاله بقدر صدمتها بزعيقه وعصبيته وجذبه لذراعها بعنف فرض عليها أن تتجمد بمكانها.

وفرض على بشير التعقيب:

- بالراحة يا عيسوي أنت اتجننت؟

وربما الإجابة نعم فقد سحبها خلفه متجهًا بها لمكتبه ثم أغلق بابه، والتفت لها جاذبًا إياها من كلتا ذراعيها صارخًا:

- جاية تفسخي الخطوبة هنا يا شجن، عايزة فضايح وعلى عينك يا تاجر، ما أصل كرامة عيسوي وشكله وسط زمايله دي هتهمك في ايه، طالما في الأحسن منه يبقى وماله مش كده.

ولأول مرة تستشعر أنها عاجزة حتى عن دفعه، تبكي وتريد الرد ورغم هذا صامتة.

"ايه اللي ناقص عيسوي عشان يبقى عريس يليق بالآنسة شجن، أنه يبقى نحنوح مش كده، عيسوي محترم وأنت صنف مينفعش معاه إلا قليل الادب، الواطي تجروا وراه لكن لو شاري مياخودش إلا

بالجذمة، ايه اللي ناقص عيسوي عشان يعجبك، طيب قولي اللي مش عجبك، اسمه ولا شكله ولا ظروفه؟"

"كفاية بقى كفاية".

وبصعوبةٍ صرخت عله يتوقف وصراخها فرض على بشير أن يتدخل فطرق الباب وناداه عله يرد لكنه لم يفعل هو بالأساس لم يعد يسمع.

ولم يحرك مسعود ساكنًا لظنه أنهم يتشاجرون بسببه، ولم يحرك عارف ساكنًا لأن أصوات شجارهم جميعًا تمنحه النشوة.

"يا جماعة استهدوا بالله مش كده".

قالها بشير وهو ينظر باتجاه عيسوي الذي لم يلتفت له، كان فقط يطالعها، ببالغ حزنه من نفسه يكاد يسأل وهو المجروح ألم أكن أستحق فرصة؟

هل بات عليهما أن يفترقا، ليته يستطيع قبل الفراق أن يخبرها بأن عينيها جميلتان جدًا، بل كل ما فيها، لكنه لن يكسر كرامته لن يضعف لأجل فتاة مهما تمكن حبها منه.

ابتعد عنها، خطا خطوتين للخلف ثم خلع خاتمه من إصبعه ووضعه بيدها، لن يتركها لتبادر كما فعلوا سابقاها.

"ربنا يوفقك في حياتك يا آنسة شجن".

ولم تحكم قبضتها على خاتمه فسقط من يدها، بينما أولاها هو ظهره متكئًا على مكتبه.

وأخيرا استجمعت شجاعتها لتخبره رغم صوقما المبحوح ببكائها:

أنا مكونتش جاية أفسخ خطوبتنا.

ووضعت أمامه هديته وعقبت:

- كل سنة وأنت طيب، أنا عرفت......عرفت من طنط إن عيد ميلادك النهاردة.

ولم تكمل كلامها بل ركضت منهارة، فالتفت لطيفها الراحل ثم نظر لبشير وكأن الصدمة أعجزته عن فهم ما عليه فعله.

وما أسعفه كان هتاف بشير فيه وهو يسحبه ويهز جسده:

- الحقها يا بني ادم، اجري وراها الحقها.

وفعل رغم أنه تيقن أنه مهما يركض فلن يعد باستطاعته اللحاق بها أبدًا.

"هو إيه اللي جرالكم بس يا ابني، والله دي عين وصابتكم، فينك يا ست فيروز ولا يوم من أيامك، كفاية إن الشركة كانت ماشية".

ولم يصمت مدبولي ظل يتمتم وهو يضرب كفًّا بكفٍّ على حالهم بينما بشير ينظر باتجاه غرفة عارف.

"عارف".

أي تعويذة ملعونة أتت بك إلى هنا، ونظر لأوراق الحسابات التي تلاعب بها مسعود واتجه ناحية غرفته ودخل حتى دون أن يطرق بابه

"وأخيرا يا بشير".

قالها عارف في نفسه ثم نفث دخان سيجاره وسأل:

عايز حاجة يا بشير؟

وبخطوات ثابتة وبصوت هادئ وضع ما بيده من أوراق على مكتبه قائلًا: طبعًا أنت عارف كويس قوي الشغل اللي بيعمله مسعود من تحت الترابيزة، أنا متأكد إن مفيش حاجة في الشركة هنا أنت متعرفهاش، لا ده مفيش حاجة في بيوتنا أنت متعرفهاش.

ازدرد لعابه ثم عقد ذراعيه أمام صدره وأكمل:

– مسعود بقى حرامي وعبد الشكور جاسوس، وعيسوي يمشي طالما مش هيبقى تحت طوعك مش كده.

زفر عارف بشدة ثم قام ليقف قبالته، وبدوره طالعه حانقًا، ظل ينتظر مجيئه ليرجوه مساعدته في البحث عن براءة جده، لكنه أتى ليحدثه عن شركة الفيروز وكأن جل مشكلاته قد تم حلها.

– أنا مش فاهم أنت عايز تقول إيه.

– أنا اللي مش فاهم أنت هنا بتعمل إيه؟

– باشتغل، زي ما أنتم بتشتغلوا.

– بتشتغل إيه يا دكتور عارف، مستشار إداري لشركة الفيروز، تقدر تقولي وجودك فادنا بإيه، ولا أنت مش حاسس أنك خربتها؟

– لا الحقيقة مش حاسس.

ثم أردف ببرود:

- عارف ليه، لأن كل واحد فيكم كان له حق الاختيار، وكل واحد فيكم هو اللي اختار بنفسه سكته، مالي أنا بمسعود لو سرق، أو عبد الشكور لو خانكم وجالي يحكيلي اللي يخصكم، أو عيسوي لو عايز يمشي، أنا مش وصي على تصرفاتكم يا بشير، وأظن أنتم كبار كفاية وتقدروا تفرقوا بين الصح والغلط.

- أنت استغليتهم، استغليت الحوجة والضعف وكسر الأحلام.

- ولو أنا مستغل كده مستغلتكش ليه زيهم.

واستشعر بشير الريبة من طريقته، هل يريد استدراجه كما استدرجهم، ولم يمهله فرصة، وضع يده على كتفه وأردف:

- أنت معدنك أصيل فمنكسرتش، لكن هما فالصو، ورغم قمة عجزك ملجأتش ليا، مع أنك كنت تقدر لكن حتى محاولتش.

واستشعر أن الوسواس يتلاعب بعقله فقرر أن يستدرك نفسه، أبعد يده عنوة ثم عقب:

- أنا مليش دعوة بكل الكلام ده، أنا من بكرة هاروح لمحامي مدام فيروز وأبلغه بكل الحاجات اللي بقت بتحصل في الشركة، وهو يطلب منها ترجع وتدير شركتها بنفسها، وساعتها هي اللي تقرر مين يقعد ومين يمشي.

ظَلَّ عارف يطالعه بغيظ متسائلًا؛

أحقا هو أمام نموذج عليه احترام ذكائه، أولاه بشير ظهره ليخرج فاستوقفه عارف مُعقبًا:

– تفكر فيروز تستاهل منك كل الحرص ده عليها وعلى شركتها.

وقف بمكانه ودون أن يلتفت ردَّ:

– أنا بأعمل اللي يمليه عليا ضميري، المال السايب يعلم السرقة.

– ويا ترى ضميرك هيفضل صاحي حتى بعد ما تعرف أنها السبب في كل اللي حصل لجدك.

واللحظة المثلى للإجهاز على بشير أتت، لإدراكه أن الصدمات كفيلة بشل تفكير البشر.

التفت يطالعه بريبة وسأل:

– قصدك إيه؟

اقترب عارف منه وعقَّب:

– بشير أنت عملت إيه عشان تساعد جدك في محنته، غير أنك وقفت تتفرج.

– وأنا كان في إيدي إيه أعمله؟

سأل بشير متهكمًا بينما كتم عارف ابتسامة كادت تتراقص على شفتيه وتابع:

– طيب يبقى على الأقل متاخدتش صف فيروز، وهي اللي كانت السبب في كل اللي جرا لبغدادي.

ولم ينتظر أي رد ممن بات واضحًا تشويشه، رفع هاتفه ليسمح لبشير برؤية فيديو، إنه الفيديو الذي قد سبق نشره قبل موت

بغدادي، طالَعَه رغم الخجل رغم الخوف والفزع وباللحظة الأخيرة ظهر وجهها.......فيروز؟

اتسعت ابتسامة عارف وهو يطالع وجهه، مشتتًا، مضطربًا، عاد بشير لقواعده، والتجربة باتت بأمان دون مقاومة.

***

(16)

"عند الأفراد الجنون هو أمر نادر ولكن في المجموعات الأحزاب، الأمم، والعصور الجنون هو القاعدة".

فريدريك نيتشه

بعد مرور أربعة أشهر

كثيرة هي الأقلام التي تتحدث عن حواء، الضحية المظلومة من الجميع، وآدم بالطبع على رأس القائمة، هو الظالم والقاسي والملعون، بل ربما هو نفسه اللعنة.

أفلام ومسلسلات، برامج وحوارات، كلها لا حديث لديها إلا عن تلك التي تعاني الأمرين من تسلُّط الجميع واضطهادها، حتى صدقتهم وباتت تتصرف وفق ما تم رسمه، تارة بالندية وأخرى وقد تلبسها دور محررة المرأة من قبضة المجتمع الحديدية وبين الاثنين ضاع آدم وكما يقولون "في شربة مية"، آدم لو زعق فهو عليه اللعنة كيف يجرؤ ويفعلها، ولو قصر فهناك من يفعل الأفضل، ولو أخطأ فيا ويله! وما بين نيات حسنة لإنصاف حواء وقضايا تم مناقشاها بجدية مرورًا

بمغالاة واضحة بات الهدف منها التربُّح على حسابها، تم طحن آدم دون تفرقة بين غث وطيب.

فمتى سنتوقف عن تجريد آدم من رجولته؟

"هانت".

فات الكثير ولم يعد ما هو أكثر، فكتالوج الرجولة الحصري قد تبدَّل بنجاح، وكل القناعات باتت قابلة للتلاعب، وكأن الحياة لم تكن يومًا "دائرة"؛ حواء تربي وتضع برأس آدم ما تريد حصده، وآدم قبل أن يكون الند، قد يكون الأب الأخ، السند والمربي.

لكن من يعبأ، وصانعو القناعات كل همومهم هي مكاسبهم والميديا على رأس القائمة.

فها هو إعلان توتو اللول قد عاد يتصدر التلفاز، وما إن تطل نجمته الجديدة حتى يتسمر الجميع أمام شاشته فالصاروخ الجديد "أرض جو" أو بالأحرى "سلاح نووي".

"ده كفاية المايوه الوردي".

وإن كان هذا هو حال من يطالعها عبر الشاشات فما بالك بمن يعايشها اللحظة، يراها عن كثب وقد قررت أن تتفرد وتكسر الخطوط بكل ألوانها.

"أكشن".

قالها هيثم لمن وقفت على حافة حمام السباحة وبيدها اليمنى ترفع شعرها الأشقر لأعلى بينما اليسرى حوطت خصرها، ثم استدارت

تخلع "بورنس" السباحة وتلقيه بإهمال ثم قفزت لتحتضن المياه جسدها الذي راح يتمايل، بينما الكاميرا تقترب وتبتعد بإتقان مدروس، حتى بدا أنها ستغرق، وهنا سيظهر من العدم "سيد الرجالة" الذي سيركض مسرعًا، يخلع قميصه ليكشف عن عضلاته ثم يلقي بجسده في الماء منقذًا إياها بعد ما يضطره الموقف لاحتضانها ولا بأس من قبلة حياة ليتأكد أنها بخير ثم ينتهي المشهد بصدمة حين يعرف أنها زوجة "الباشا"، ورغم هذا لن يواري أنه قد اشتهاها بقدر ما اشتهته.

"استوووووووب".

والتصفيق لحالة الإبداع القصوى كان سيد الموقف حد قيام المنتج بالتوجه للفنانة المبدعة وهو يحمل "بورنسها" ويساعدها بنفسه على ارتدائه، بينما يملي هيثم تعليماته وينهي كلامه بأهم تعقيب همس به في أذنيها:

"كنتي هايلة يا صبا".

"عظمة على عظمة يا أستاذة، يا كيداهم يا اللي هتقعديهم كلهم في بيوتهم".

– مش للدرجة يا مستر باسم، ده أنا لسه في الأول.

قالتها بينما لفَّ فريد ذراعه حول خصرها مُعقبًا:

– بلاش تواضع يا سندريلا.

– لا والله مش تواضع، لكن...

ولم يمهلها فرصة لترد لأنه طوقها أكثر واضعًا قبلة على وجنتيها هامسا في أذنها:

- مفيش لكن.

فخجلت وابتسمت وعقّبت:

- فريد عيب احنا قدام الناس.

فعقب باسم وقد شعر بالغيرة من مكانة فريد عندها:

- لا خدوا راحتكم، طالما هتبهرونا كده.

ولم يمهلهم فريد الوقت ليكملوا سحبها من بينهم متجهًا بها لغرفته أو غرفتها؛ لا فرق.

بينما تطلع باسم بغيظ:

- حتة بتلو وعهد الله بس يا خسارة، محجوزة.

- عايزها؟

والسؤال من هيثم فرض على عينيه لمعة وهو يسأل:

- إزاي بس والواد الخرع ده ملازمها زي ضلها.

- سيبلي الموضوع ده، وليك عليا هي اللي تيجي بنفسها لحد عندك.

قالها بثقة فرضت على باسم التعقيب:

- أوستاااذ.

***

ولن ينكر أن كلام عارف قد أصابه بمقتل، عاد يومها وعقله وحده يكرر الفيديو الذي جمع بغدادي وفيروز، وألف سؤال يتصارع برأسه

لطالما كان الخجول المتردد العاجز عن المبادرة بأي فعل، وحتى بأحلك اللحظات لم يتغير، ظن أنه لا يملك لجده شيئًا، لكن الصادم أنه بالأساس لم يحاول، استفاق على ورقة حين شرد كتب بمنتصفها بغدادي، ثم شعب منها عدة أسماء على رأسها فيروز وعارف، صبا وشكري.

وعلى مدار أربعة أشهر مضوا قرر أن يجد خيط عله يثبت براءة جده، بدأ بشكري أهم أصدقاء بغدادي وأكثرهم رجاء لمعرفة الحقيقة، ومنه عرف أيتن؛ آخر المقربين له، تذكر أنه قابلها بمكتبه حين نهرته من أجل أستاذها، شكري منحه خيطًا حين قال ما عرفه عن رسالتها التي حدثه عنها بغدادي سابقًا، ثم محامي فيروز الذي رفض المساعدة في البداية ثم بالنهاية تأكّد بشير أنه صدقًا لا يعرف مكانها؛ فأين اختفت بل لماذا؟

إجابة البحث عنها استحق مجازفة، فراقب فيلتها، ليكتشف أن خادمتها تتوجه كل جمعة إليها لتنظيفها وترحل عند الرابعة.

فرصة سنحت للتسلل ومع البحث بأرجاء الفيلا انتهى المطاف بغرفة مكتبها، وأمام درج مغلق بمفاتيح بدا واضحًا أنها مع فيروز

وحدها لم يعد هناك مفرٌّ من استكمال ما بدأ، سعى لفتح الدرج بطريقة تعلمها من جده مسبقًا دون كسره ليجد نفسه أمام ما صدمه:

ملفًّا مكتوبًا بخط يد دكتور عارف، كتبَ فيه أسماءهم وبجوارها تحليل شخصياتهم.

"مسعود شمالي، عبد الشكور جنوبي وعيسوي غربي وبشير شرقي".

وورقة مكتوب عليها خطة تفريقهم.

هل سيعرف الآن إجابة أكثر سؤال حيره؛ ما الذي يفعله عارف بالشركة؟

(ربما).

لكنه يدرك أن ما عرفه بات أكبر من أن يواجهه وحده، وقف لدقائق وفكّر، كيف سيخلق فرصة لتوحيدهم أمام عارف، ولأنه ما عاد يثق بأحد سوى عيسوي قرر أن يبدأ من عنده.

***

هو تذوق المنصب ولذلك نكهة خاصة، رغم أنفه امتزجت بخوف أن يزول منه ما يملك.

وكالعادة ككل مرة سيهرع لعارف ويهتف:

– الحقني.

فيفتح له ذراعيه بترحاب:

– تحت أمرك.

"محامي فيروز بيقول إن بشير بيدور عليها، عايز يوصل لطريقها بأي تمن، أكيد هيقولها على اللي بيحصل في الشركة ومش بعيد أخسر كل اللي عملته".

والصوت معبأ بارتجافة، يتبعها تبرير يتلوه تبرير، هو لا يسرق هو فقط يقوم بالمشروعات لحسابه الشخصي، ومن ثم فأموالها من حقه، هو مستغل ربما لكنه ليس سارقًا، هو يكد ويتعب، يسعى خلف طموح تمنى أن يرى النور يومًا، ولكن كل الطرق قد أُغلقت بوجهه.

– متقلقش هاساعدك.

وبعدما خرج من مكتبه ظل مشتتًا، ماذا لو عادت فيروز قبل أن يجمع ما تبقى لشراء شقته بدلًا من كونه مستأجرًا، وهل سيترتب على ذلك فقدان درة؟

وهل حقًّا عادت درة؟

حين ثارت وتركت المنزل، استطاع وفق نصيحة عارف وأد ما فعلت، والبداية كانت حين غادر الشركة يومها واتجه لشراء هدية لعطيات وأخرى لها وعلبة حلوى غالية ثم اتجه لمنزل حماته، وما إن رأته عطيات حتى تهللت أساريرها، وحملت عنه ورحبت بحفاوة، وبغرفة الصالون كان عمها بجوار خالها بجوار والدها، لقد سمعوا منها وآن أوان كلماته.

– يا ماما عطيات صدقيني ضغط الشغل كبير قوي من ساعة الترقية، أنا باشتغل ليل نهار فعلًا، بس ليه.

أخرج من جيبه ورقة عقد ابتدائي وأعلن:

– أنا خلاص هاشتري الشقة وكنت ناوي أكتبها باسم ذرة، ودي أقل حاجة أقدر أقدمها لإنسانة كافحت معايا ووقفت جنبي.

وفي زاوية ما من الغرفة كان إبليس يصفق، نظرت عطيات لدرة ببالغ الغيظ، ابنتها تريد الطلاق منه بعدما تحسنت حالته المادية، بينما عمها وخالها قاما بتقريعها.

عندها بكت وبشدة، حركت دموعها بقايا ضميره، لكنه تشبث بصورة الوديع وصمت بينما انفجرت هي تتحدث عن إهاناته، فأجاب مبررًا:

– غصب عني، وأنتِ يا ذرة المفروض تخلي بالك من البنات، الورق اللي قطعته حوز ده فلوس ناس، إهمالك هو اللي بيترفزني.

وينتهي هو ليبدأ عمها وخالها ووالدها بتقريعها مرة أخرى، هو محق، هو معذور، هو ملاك بريء وأجنحته تغطي جنبات الغرفة.

والمباغتة كانت الحل الأمثل اتجه نحوها وجذبها من ذراعيها لتقف أمامه ثم اعتذر وقبل رأسها فهمت عطيات من مكانها تهتف فيها أن تعود معه وإلا...

تهديد صريح بالقطيعة والدعاء عليها ودفعها بالإكراه للعودة، وما إن تحركت حتى انزوت على شفتي مسعود ابتسامة شماتة بادلته إياها بنظرة كره صريحة فرضت عليه العبوس، وما إن عادا لمنزلهما حتى زعق فيها بكل كيانه:

- الموت أقربلك من اللي في دماغك، لو انطبقت السما على الأرض أنا مش هطلق.

تطلعت لعينه لتشعر وكأنها تراه لأول مرة، هو رجل آخر غير مسعود الذي أحبته وارتضت أن تعيش معه القادم من حياتها، وأمام زعيقه وحياة باتت مفروضة عليها هتفت بحرقة:

- أنا باكرهك يا مسعود، باكرهك.

وما قالته هي بقلة حيلة كان القشة التي قسمت ظهره، هي ليست ضعيفة كما تظن، يكفيها فقط أن تصرح بكراهيته كما فعلت، تتجنبه وتعيش معه كجثة هامدة، فيلعن نفسه عندها في اليوم الواحد ألف مرة، لأنها الحمقاء تناست أن لا مكاسب تضاهي خسارتها.

***

ربما هي زيارة متأخرة بعد غياب طويل لكنها بالتأكيد كانت بحاجة إليها، أتت إلى شركة الفيروز وما إن وصلت حتى ظل مدبولي يطالعها بكل استغراب وقد بدا عليه التأثر فلوللا قد ارتدت الحجاب، أيعني هذا أنها اعتزلت؟!

إختفت لوللا عن الأنظار حين تم استبعادها من فيلم توتو اللول ثم عادت فاجأة بلوك مميز "محجبة"، وبالتأكيد خبر كهذا تلقفته مواقع التواصل الاجتماعي، وأجادت لوللا التوقيت بشكل متوازٍ مع من سرقت منها الأضواء "صبا".

- أقدر أدخل يا أستاذ عبد الشكور؟

قالتها بعدما طرقت باب مكتبه وانتظرت رده، كان شاردًا يعمل دون اهتمام، فلا شيء بات ذا أهمية، ولولا "كنزي وتيم" لتمنى نهاية الحياة وفقدانها.

صدمته رؤيتها، والسؤال منها فرض عليه بعض الارتباك قبل أن يسمح لها بالدخول، وما إن جلست حتى سألت:

– ممكن أعرف ليه مكونتش بترد على مكالماتي؟

– أبدًا شوية ظروف.

"رنا".

وذكرى الاسم فرضت مرارة عليه حين سمعه، مرارة عادت به للمحكمة، لحظة الوقوف أمام القاضي ورنا تتحدث عنه، يومها فقط أدرك أنه كان أبشع رجل رأته في حياتها.

"ما رأيك في إتهام مدام رنا لحضرتك".

والصمت يومها كان الإجابة المثلى، وبعدها التفت لها ونظر لعينيها، كان يدرك أن كلهما لم يعد نفس الشخص، لم يُخبئ انكساره لكنه حسم أمره، سيحتفظ بأبنائه إن تمسكت بطلاقهما.

ولم ترفض أو تتراجع أو تفكر، ولم ينتظر حكم المحكمة بدوره، نظرة أخيرة منه عينيها امتزجت فيها اللوعة بالحسرة، ثم استجمع قواه وأهداها ما ترغب.

"أنت طالق".

– يااااه كل ده عشان رنا، للدرجة دي كنت بتحبها.

جملة اقتطعته من شروده، فزفر ثم تظاهر بلامبالته وسأل:

– خير يا مدام لوللا؟

– إيه الطريقة دي يا عبد الشكور؟

قالتها بضيق ولكنها التمست له عذرًا وقررت أن تكون أكثر مباشرة ووضوح، فما أتت من أجله وعندها قالت:

– أنا مش هالومك عشان حاسة بيك، وهاقولك أنا جيت ليه على طول، بصراحة كده أنا قررت اسيبني خالص من موضوع الإعلانات والتمثيل، عملت شركة دعاية وقررت بما أنك شاطر في التسويق أنك أنت اللي تبقى مديرها، الحقيقة أنا مش هالاقي حد أستأمنه غيرك يا عبد الشكور، قلت إيه؟

والعرض مغرٍ كما المرة السابقة خاصة وقد قرر سيادته بجوار ما يجمع من أموال لمصروفات المدارس أن يدبر مبلغ المؤخر لزوجته، حتى لو تنازلت هي عن حقوقها، لكنه ودون أن يمهل نفسه لحظة ليفكر حسم أمره ورد:

– آسف مش هاقدر.

والضيق بدا واضحًا على ملامحها ورغم ذلك ترجَّته:

– ليه بس، ده أنا جيالك رغم كل حاجة عدت، رغم رفضك ليا وكل خوفك على مشاعر واحدة أنت عمرك ما كنت في دماغها.

"لوللا".

زعق بها لكي يسكتها لكنها لم تسكت وتابعت:

- متزعلش مني، بس أنت لازم تفوق وتعرف أها عايشة حياها ومبقاش فارق معاها اللي فات زيك، رنا هتشتغل مع عارف في القناة الجديدة بتاعته هيعملها برنامج ودعاية وشهرة، ده غير أها قريب هتتجوز.

"كفاية مش عايز أعرف عنها حاجة".

زعق وأولاها ظهره بعدما حرك مقعده وعندها قامت هي من مقعدها واتجهت لتكون قبالته، نزلت على ركبتيها وأمسكت بكف يده وقالت:

- أنا مش عايزة أشوفك كده، رنا متستاهلش، بكرة تندم لما تعرف أن كل اللي هي فيه، لمعة من برة ومن جواه حديد مصدي، تعرف يا عبد الشكور، أنا مستعدة أسيب الدنيا كلها ورا ضهري وأكمل معاك اللي جاي مهما كان بس أنت ترضى، عبد الشكور أنا...

ولم تكمل، ظلت تتطلع لمن أغمض عينه ونكس رأسه وكأنه لا يريد أن يسمع المزيد منها وعندها هضت ببقايا كبريائها وقالت بحدة:

- أنا آسفة، الظاهر أني باشحت منك.

وقاطعها هو ليرد:

- يا ريت تفهميني، أنا مش ناوي أجيب لولادي مرات أب، كفاية اللي كترَي وصلته، أنا حياتي مبقاشَ فيها حاجة أقدر أقدمها لحد، ومعنديش استعداد ابقى "جوز الست".

كلمة حاسمة فرضت عليها الشعور بالخزي، هو يدرك مغزى محاولتها ويرفضها، ولم تمهله الوقت ليكمل، حملت حقيبتها ورحلت مسرعة بعدما أيقنت أنه لا أمل لأي روابط بينهما.

***

بمكتب مصلحة الجوازات والهجرة مكث قرابة الساعة بانتظار دوره وما إن تم النداء على اسمه حتى قام من مكانه ليتسلم جواز سفره.

وأخيرا اقتربت غالبية الإجراءات من الانتهاء، وما تبقى بات أقل مما مضى، كل ما عليه فعله الآن هو مراسلة الشركة الإمارتية والتأكيد على موعد سفره وبعد فترة سيرسل لمشيرة كي ترافقه، قاطعًا كل صلة بـــ"أم الدنيا" وكل من فيها وعلى رأسهم بالتأكيد "شجن".

"وحق كل دمعة نزلت من عين بنتي يا عيسوي، لو أنت آخر راجل في الدنيا مش هتتجوزها".

زفر بشدة وعاد إلى دراجته البخارية، قادها بأقصى سرعة مُمنيًا نفسه أنه قد يطير بلحظة ما وعندها سيتنسم معنى ألا يقيده شيء، لا روابط أسرية ولا قلبية ولا أي شكل من أشكال الانتماء، عيسوي لن ينتمي إلا لعيسوي فقط.

"ليه تعمل كده يا ابني، حرام عليك ده أنا اللي طلبت منها تروحلك عشان تفرحك، تقوم تكسر خاطرها كده".

زاد من السرعة أكثر وأكثر، وكل ما يتمناه ألا ترافق أصواهم أذنه:

"أنا مكونتش جاية أفركش الخطوبة".

"شجن أنا بحبك".

"الاحترام أهم ألف مرة من الحب".

ضغط مكابح دراجته فجأة وكاد يسقط عنها، توقف عن الطيران لكن عقله الملعون لا يتوقف عن التفكير فيها، عاد واتجه لغرفته وانزوى بها وباتت هذه عادته، لا يتحدث إلى أحد ولا يخرج وكل وقته يمر وهو منغمس في العمل.

"أحضرلك الغدا؟"

سألته مشيرة فلم يلتفت إليها، ظل منعكفًا أمام حاسوبه يكمل عمله وعندها جاورته وأكملت:

- مش ترحم نفسك شوية؟

- قربت أخلص.

جلست بجانبه ثم أخبرته:

- اسكت مش عماد اتصل يسأل عليك.

"بسأله على شجن قال...."

"ماما".

قاطعها بحدة كونه لا يريد أن يسمع وعندها رغمًا عنها بكت بحرقة، أيعلم أنها تخشى إن سافر ألا تراه مرة أخرى؟!

تركته فشرد رغم أنفه في حالها وقد ألمه إيلامها، لكنه ما عاد قادرًا على الاستمرار هنا ولو لساعة واحدة، هو يتوق للسفر أو الأحرى الهروب.

وعلى غير المتوقع أتى بشير، زيارة أسعدت مشيرة لظنها أنها ربما تخفف عن ابنها.

وأمام كوبين من الشاي جمعتهما غرفة عيسوي، وقد جلس بشير يسرد عليه مفردات القصة منذ بدايتها حتى انتهى ثم وضع أمامه الأوراق المكتوبة بخط عارف منتظرًا تعقيبه، حدَّق بها عيسوي ثم قال:

– أنا مش فاهم أي حاجة من الورق ده.

– أنا هاشرحلك، عارف حلل شخصيتنا بعلم البوصلة، وحط لفيروز خطة لتفريقنا، كان متأكد أننا هنختار اختيارات معينة أو ردود أفعال معينة بس في نفس الوقت كان بيحاول يسبقنا بخطوة عشان نختار اللي هو عايزه، فهمت؟

– بصراحة لا، بس إيه الدافع لكده؟

– مش عارف.

صمت الاثنان وبعد ثوانٍ عقَّب عيسوي:

– طيب الواجل ده جاب فيديو بغدادي وفيروز منين؟

– برضو مش عارف، واللي مستغربله أكتر معقول يكون بغدادي كان فعلًا كده.

وكلاهما تأفَّف حتى سأل عيسوي:

- طيب تفتكر صبا ممكن تساعدنا، ممكن يكون عندها إجابة على أي سؤال من دول.

واستغرب بشير من نفسه حين ضحك هازئًا وهو يتذكر ما آلت إليه صبا فرد:

- نجمة فيلم توتو اللول، معتقدتش.

ثم تابَعَ:

عارف إيه اللي احنا محتاجينه دلوقتي بجد، محتاجين احنا الأربعة نتجمع ونواجهه بكل اللي عرفناه، احنا الأربعة لو...

"إيه إيه إيه؟"

وقف عيسوي ثائرًا وقد قاطعه وهتف:

- أنت متخيل إن أنا ممكن أحط إيدي في إيد مسعود لأي سبب، أنت أكيد بتهزر صح.

وقف بشير قبالته وقد عقد ذراعيه أمام صدره وأجاب:

- أمال نرجع الشركة اللي بتقع دي إزاي، ونواجه عارف إزاي، أنت متخيل إننا نقدر أنا وأنت لوحدنا.

"أنا وأنت".

ساد الصمت للحظة ثم تابَعَ:

- ومن قالك إني ناوي أواجه عارف، أو إني فارق معايا شركة الفيروز، ما تولع الفيروز على فيروز ذات نفسها على عارف، أنا كنت أخدت منها إيه عشان ألحقها ولا أدافع عنها.

وخطا خطوة نحو بشير ثم وضع يده فوق كتفه وأكمل:

- متزعلش مني يا بشير، أنت بتدور على براءة جدك، بتدور على الحقيقة، لكن أنا خلاص كلها عشر أيام وأسافر وأنسى الفيروز وقرفها، أنا مقدر إن عندك قضية بس أنا يا صاحبي "بعت القضية".

ولم يُعقِّب بشير على ما سمعه جمع الأوراق واتجه للخروج تبعه عيسوي وقد شعر بتأنيب ضميره على حاله.

- طيب استنى بس.

دفع بشير يد عيسوي عنه وقد اتجه ناحية الباب، ثم التفت له يطالعه بضيق فأشاح عيسوي بوجهه فقال:

- طول الشهور اللي عدت كنت بحاول أدور على الحقيقة مش بس عشان جدي، إنما عشان احساس بيقولي إن الحكاية أكبر من إسماعيل وبغدادي، أنا ماشي بس، قبل ما امشي عايز أقولك حاجة، جرب مرة تشوف الناس اللي أنت خذلتهم زي ما أنت دايمًا مش شايف غير اللي خذلوك وبس، سلام يا صاحبي.

***

اعتادوا الجلوس بشكل يومي بالمقهى لمتابعة واحد من أهم البرامج الحوارية وهو: "ساعة مع عارف".

وما إن انتهى تتر البرنامج وظهر الدكتور أبو العزم حتى تحولت كل الوجوه باتجاه الشاشة، يُطبق الصمت على المكان ويتلاشى تمامًا عقل الفرد ليحل مكانه عقل جمعي، وما أدراك ما العقل الجمعي!

حالة ذوبان وانصهار لأفكارك أنت ومعتقداتك أنت، لقيمك أنت، بينما الكل من حولك يصدق ما يسمع، يهز رأسه بأريحية ويستمتع، فهل ستشذ أنت وتعترض؟

"يا أستاذ بشير ما تيجي تسمع".

والنداء من صاحب المقهى فرض على العائد لمنزله التوقف، فكر أن نداءهم ربما لأجل الاطمئنان على جده، وما إن دخل حتى همهم أحدهم:

"الدكتور عارف بيشتغل مع بشير في نفس الشركة".

هرول أحدهم لمنحه مقعدا يجلس عليه بينما نادى صاحب المقهى صبيه طالبًا لبشير كوب "سحلبٍ مخصوصًا" وعاد الالتفاف لمتابعة دكتور عارف الذي تحدث عن اختراعه ببالغ الصراحة دون تغطية:

(جهاز اسمه توقيت جرينتش، يعمل على إحلال الأفكار السلبية برأسك بأخرى إيجابية، يغير مجرى حياتك، يكسبك المال والشهرة والنجومية، وقد يحيل العجوز إلى صبية).

عارف وآه من الاسم وصاحبه، عكفت فتاة جرينتش على نشر فيديوهات على مدار ثلاثة أشهر فرضت على الجميع السخرية والتقليل من جهازه، بل خسائر أدركها عارف حين زهد الناس مركزه فاستدرك الأمر برمته مقررًا فتح قناة تلفزيونية وإظهار طيبة

قلبه كونه سيساعد الناس ويشرح لهم عبر برنامجه بالمجان، وليس برنامجه وحده، بل هي قناة شاملة كاملة.

(برامج دينية واستشارات أسرية وطريقة عمل الأرز بالمهلبية والمتعة حصرية).

فإعلان افتتاح القناة كان للمتألقة "صبا".

"خليك معانا وأوعى تغير المحطة، فأنت معانا بالتوقيت العالمي، بتوقيت جرينتش".

بدأت التعليقات فور انتهاء الحلقة بين إعجاب ورجاء، فلم ينتظر ليسمع أكثر، رَحَلَ مسرعًا لمنزله يختبئ منهم، لمحه حسن فتمنى لو استطاع أن يستوقفه فهرول خلفه ونادى ولكنه لم يلتفت.

شعر بخيبة أمله فجلس على أحد مقاعد المقهى زافرًا، رآه صاحب المقهى فجواره يسأله عن حاله وعما يضايقه، والإجابة كانت زفرة أخرى وضيقًا وحزنًا ومطالعة بلا أمل للشارع المؤدي لمنزل مها، فهم منها صاحب المقهى ما يجول بخاطره فعقّب:

- يمكن جدها يطلع قريب.

- هو بشير قالكم حاجة.

سأل بشغفٍ ولكنه توقف حين أدرك أن طريقته قد كشفته فصمت وعندها ابتسم صاحب المقهى وأكمل:

- طيب هو يعني اللي خلقها مخلقش غيرها، وبعدين ما أنت كنت خاطب ولو مفيش نصيب شوف غيرها.

والإجابة كانت زفرة ثالثة دون تعقيب فرضت على صاحب المقهى أن يفهم وعندها اقترب منه يهمس:

- طيب ما تروح للمركز بتاع اللي اسمه عارف، يمكن يطلع عنده حل أو يتوسطلك عند بشير، كلام في سرك بيقولوا راجل واصل وفيه حاجة لله، عمره ما حط دماغه في موضوع إلا واتحل.

- عارف أبو العزم.

- غير كده شغال مع بشير وعارفه يعني مساعدة مضمونة ميه في الميه؟

ولم يبدِ حسن أي اعتراض، ببساطة عاجز يريد حلًّا، وعارف يملكه، فلِمَ النقاش إن كان ما يريده قد يحصل عليه!

***

أن تنتصر على الباطل في جولة فتظن أنك قد حققت انتصارك المطلق هو الوهم الأكبر.

وضع تلك الكلمات بعقلك وأدرك وأعرف، بالحياة لا مكاسب دائمة ولا خسائر مستمرة، إنما هي جولات يحددها أصحاب القضية

"أقوياء بوعي"، فتكون النتيجة نصرً، أو "غثاء سيل"، فتكون النتيجة خزيًّا، حتى يأتي يوم ينتصر الشر بلا رجعة لحق أو خير فتكون نهاية الكون الأبدية، الكون سينتهي يوم ينتهي الخير.

"لذا لا تبكي أيتن؛ لا تبكي لأن الجولات لم تنقضِ بعد، لقد حققتِ شيئًا، انتصرتِ حد إدراك عارف أنه بحاجة للمزيد من الدعاية واللهو، علّ الناس تنفض عنك وتركض إليه.

"بالصور إزاي تعملي توقيت جرينتش بمكونات من جوه مطبخك وأنضف من الجاهز بكتير".

وعلى مدار ثلاثة شهور كانت تلك الملعونة، كالصداع المزمن لعارف.

من هي؟

لا يعرف ولو عرف لقتلها، ولن يختلف مصيرها عن مصير بغدادي أبدًا، لكنها الملعونة تقدم فيديوهات ساخرة دون ظهور لوجهها، مستخدمة فقط أداءها الصوتي.

وقد أدركت تمامًا كيف يكون الإمساك بخيوط اللعبة؟ قررت تعرية أسلوبه باستخدام أسلوبه نفسه بداية من "الصدمة"، بأسئلة تثبت أن الجهاز وهمي، وعندها ما كان ألتراس أبو العزم ليسكت:

(بوستات تويتات تعليقات مفادها الدفاع عن الرمز للعلوم والتطور، ويا مرحى بدعاية سلبية لكنها بنهاية المطاف دعاية استفادت منها لنشر صفحة أعدها على الفيس بوك وأسمتها

"القرد بيتنطط ولا بطل تنطيط؟"

لا تفعل شيء سوى كتابة منشورات ساخرة وعمل صور ساخرة وألتراس عارف أبو العزم يقوم بنشرها مع اللعن والسباب لأن رمزهم يُهان.

(شكرًا ألتراس أبو العزم لحسن تعاونكم معانا).

"أغبيا"

قالها عارف وهو يسب ويلعن بدوره، هي ترمي الطعم وهم يركضون خلفه وحين أدركت التأثر حان دور الخطوة الثانية.

"التخويف".

بيقولك....

بيقولوا....

"بيقولوا في ناس دخلت ع الجهاز وجالها سرطان".

"الزهايمر كل اللي جربوه برة في ناس منهم فقدت الذاكرة".

"أصلًا برة رفضوا يعملوا الجهاز عشان في قرد مات".

بوستات بوستات بوستات، تويتات تويتات تويتات، ألا أونا.. ألا دوي... ألا تري.

أليس من حق أصحاب الحق أن يفتحوا المزاد؟!

ثم كانت الخطوة الأخيرة: "التسفيه".

فيديو لدمية صغيرة أرادت مصاصة فجلست على الجهاز وجلبها ثم فتحتها فكانت بالونة صغيرة وانفجرت، وفيديو آخر لدمية عجوز دخلت جرينتش وخرجت منه باربي.

والآن هل اكتفت؟

– أيتن تعالي شوفي بسرعة.

وما إن وقفت أمام التلفاز حتى أدركت، قناة جديدة وهو من سيقوم بتمويلها، وإعلان عن قناته ومن قامت بأدائه ابنة الدكتور بغدادي التي تخلت عن حجابها واتجهت للتمثيل والعمل معه!

وعادت لغرفتها دون كلمة فقط زفرة وشعور مرير مفاده:

"مفيش فايدة"

وتلك هي سِرَّ الأزمة.

– نفسنا قصير قوي، وبنيأس بسرعة.

قالتها آلاء ولم تُعقِّب هي لإدراكها أنها محقة، وانتابتها الحسرة، وآه يا دكتور بغدادي لو أنك ما زالت حيًّا، ربما وفاتك كانت لك رحمة.

ومع صباح اليوم التالي أتتها فكرة أو للدقة كانت رغبة بأن تزور قبر أستاذها، هي بحاجة إلى وجوده حتى لو بشكل ضمني بحاجة أن تستشعر أنها ليست بمفردها.

ولأن اليوم هو يوم إجازتها، كان هو بالأسفل ينظر لساعة يده وينتظر خروجها، تلميذة الدكتور بغدادي التي كانت باستمرار معه قبل وفاته، ويوم قابلها بمكتبه انتفضت لأجله، أيعقل أن كل ما جمعها ببغدادي كان فقط دراستها؟

لو صدق عارف بأن هذا الرجل سيئ السمعة، فبالتأكيد ستملك تلك الفتاة دليلًا أو أكثر على حقارته، وربما هي عشيقته، تصرفاهما لا توحي بأنها لعوب، فيوم إجازتها في الغالب تقضيه بالمكتبة، لكنها اليوم لم تفعل، ركبت سيارة أجرة وقد اختلفت وجهتها وهو تابعها حتى وصلت للمقابر، وأمام قبر بغدادي أيوب قرأت الفاتحة ووقفت تدعو، ثم التفتت لترحل، فهتف باسمها ليستوقفها فتجمدت بمكانها:

– آنسة أيتن أنا بشير، اتقابلنا قبل كده في مكتب دكتور بغدادي

بدا أنه سيكمل حواره إلا أنها نظرت حولها فلم تجد أحدًا، خافت من وجوده، بالتأكيد كان يراقبها، وعندها أيقنت أن عليها التصرف فالتفتت عنوة وضربته في وجهه بحقيبتها فسقط وسقطت حقيبتها بجواره، فركضت هي مسرعة وأوقفت أول سيارة أجرة بطريقها حتى وصلت لبيتها فطلبت من حارس عقارها أن ينادي أختها لدفع حساب السائق، بدت شاحبة تنتفض من شدة خوفها، سعت آلاء لتهدئتها ثم جلبت لها كوب ماء لتشرب، ثم سردت ما كان وقد عنفتها آلاء وبشدة: حد يروح المقابر والصبح كده، أنتِ إزاي تتصرفي بالتهور ده.

وقبل الرد قاطعهم الطرق على باب منزلهما، حيث البواب وقد مد يده بحقيبة أيتن قائلًا:

– حد جاب الشنطة دي وبيقول بتاعة الآنسة أيتن.

أخذها وأغلقت الباب واتجهت لغرفة أختها لتعطيها إياها، ثم عقّبت:

– على الله ميكونش أخد منها حاجة.

أسرعت بفتحها وأفرغت كل محتوايتها فوق السرير لتتأكد وعندها وجدت ورقة بدا واضحًا أنه هو من وضعها وقد كتب فيها:

"أنا محتاج أتكلم معاكِ ضروري، لو يناسبك هستناكي بكرة بعد شغلك في المكتبة اللي متعودة تروحي فيها".

بشير

***

على مدار أربعة شهور كان يتابعهم، ردود أفعالهم، تصرفاتهم، ما آلت إليه حياتهم.

هل نجحت التجربة؟

والإجابة؛ أوشكت!

عارف قاب قوسين أو أدنى من كلمة النهاية، بحث عن العاديين ووجد العاديين وأعد الطُّعم باستخدام "دعبس ونبيهة" وابتلعه العاديون، وها هي حياتهم تسير وفق المرسوم لها، وها هي شركتهم تسير وفق المرسوم لها، وها هي علاقتهم تسير وفق مخططاته، إلا استثناء بسيط بالتأكيد عارف سيتداركه:

"فتاة جرينتش والأستاذ بشير".

تلك اللعينة التي تحاول اللعب معه، وذلك الأخرق الذي يسعى لمعرفة الحقيقة ولم يُلهه طُعم البحث وراء براءة جده.

لكن التجربة ستنجح رغم أنف الجميع، فقط لأن "أبو العزم" لم يُخلق بعد من يوقفه.

"أأأأكشـــــــن".

صدح بها هيثم فتوسعت ابتسامة عارف وهو يراقب تطور ابنة بغدادي التي صارت نجمة النجمات، ثم نظر لساعة يده ليدرك أن مسعود قد يصل في غضون دقائق، فقد هاتفه وطلب رؤيته ففكر عارف بأن يأتيه إلى هنا حيث موقع تصوير فيلم "توتو اللول".

ربما لأنه يريد رؤية رد فعل مسعود لما آلت له حياة صبا، والصدمة المرسومة على ملامح مسعود وهو يتمتم "اللهم عافنا".

فرضت على عارف الضيق، قالها بشكل ارتجالي وقد تذكر بناته ودرة، شعر بحريق يجتاح صدره رغم أن صبا لا تخصه، لكن مشهدها الحميمي مع فريد وقد تجاورا بسرير واحد حد إثارة أي رجل فرض على دمائه أن تغلي، لما لا يسحبها ويخرج بها من هنا ثم يفرض عليها ستر نفسها بدلًا من كل هذا؟

"يا خسارة يا صبا".

"كاااااااااااااااااات".

ثم تعالى التصفيق من حوله ليزيد من دهشته بينما هتف هيثم:

– عايز كومبارس يعمل دور "الشيخ" في المشهد اللي جاي.

ثم بحث في الحاضرين حتى وجد بُغيته في رجل سمين وقصير وأسمر البشرة.

"لبسهولي دقن وحواجب، وجلابية بيضا وهاتوه عندي".

وعاد لفريد وصبا يتحدث إليهما ويشرح ثم نادى الرجل وعلا صوته ليكمل:

– صبا نازلة من عند فريد هيعاكسها تلاتة من فتوات الحتة، عايزك تلعبلها حواجبك وتقول "تبارك الخلاق فيما خلق" "الواحد بيدخل بيته يقول أعوذ بالله من الخبث والخبائث" بس تقولهم بالفصحى.

أومأ رأسه ثم عاد لفريد ليكمل بقية المشهد ففريد سيغار ويضرب الفتوات ومن ثم سيقف أمامه "الشيخ" مذعورًا يهتف فيه:

"إن كنت كبيرًا فالله أكبر".

– هتقولها وتكررها وبعدين فريد يضربك والآخر تقوله: "لعنة الله عليك"، تمام؟

والمشهد كوميدي حد ضحك الجميع إلا مسعود الذي تساءل: ما الذي يجري هنا بالظبط؟

سؤال تجلت إجابته حين التفت لرؤية من ناداه، وقد قررا أن يتوجها معًا لمركز السراب حيث موعد هام بانتظار عارف، رغبة وافقت من شعر بالضيق من وجوده هنا فرحلا لمكتب دكتور عارف، ليجمعهما فنجانين من القهوة وحديث مطول، بدا مسعود عصبيًا،

دخن أكثر من أربع سيجارات زفر بكل قوة ثم أنهى حواره بكلمة أطربت أذن عارف حين سمعها:

"خايف".

والخوف وقود جُل الخطايا كما الشهوة.

"خايف أخسر اللي وصلتله، خايف أخسر شغلي، خايف من رجوع فيروز، وخايف قوووي أخسر درة".

والجملة الأخيرة قيلت بتشديد أقرب للرعب، حد ابتسامة واسعة ملأت وجه عارف وهو يعقب:

– للدرجة دي بتحبها؟

ولأن الحب ضعف عاد مسعود يتكلم وقد ارتدى قناعًا واهيًا من القوة:

– دي مراتي يا دكتور عارف، أنا معنديش في الدنيا غيرها، طول عمري كنت لوحدي، معنديش استعداد أخسرها.

ثم زاد قلقه وهو يكمل:

– عطيات لو حست إن ظروفي ساءت أكيد هترجع تزن عليها على الطلاق، ويمكن المرة الجاية أرتكب جريمة بسببها، الناس مش بتحترم الضعيف يا دكتور عارف ولا الطيب ولا المؤدب.

ظل عارف يسمع ولا تزال ابتسامته حاضرة حتى دعس مسعود سيجارته الأخيرة وسأل بتوتر:

– هتساعدني؟

- أكيد

- طيب قولي أعمل إيه، إزاي أخلي فيروز محتاجة لي ودرة إزاي تحبني من تاني بس من غير ما أمها تحس للحظة إني ضعيف؟

والرغبة بعينه كانت مثيرة للشفقة، هو بلحظة استثنائية، قد يفعل أي شيء.

"أي شيء"!

والنصائح بسيطة، في الخيانة يكمن الحل.

"الخيانة"

- استخدم كل الصلاحيات اللي سابتهالك فيروز ضدها، فك وديعة الشركة وانقل الفلوس لحسابك، ألوي دراع فيروز حتى لو وصلت أنك تخلص منها.

والوجل تمكن من الخائف، اعتاد الدوران حول الخطأ مبررًا لنفسه أفعاله، أما الآن فالخطأ مباشر، سرقة لفيروز واضحة وصريحة أو...

- وَدرة؟

- ما أنا قولتلك الخيانة هي الحل المثالي.

هز رأسه نافيًا الأمر فتابع عارف بتأكيد:

- الست لما بتحس أن بيتها هيتهد بتفوق يا مسعود، شوف بنفسك أي صفحة من صفحات المشاكل لما ست بتكتب أن جوزها خانها، كل الناس وأولهم الستات بتكون ردودهم إزاي، الراجل دايمًا معذور لو خان، وهي اللي دفعتك لكده.

– أيوة بس...

– وأبسط نصيحة هتنفذها أنها تهتم بنفسها وبيك عشان تحافظ عليك، درة محتاجة لصدمة تفوقها، اصدمها، ومفيش أسهل من أنك تجيب ست وتقضي معاها ليلة وهي تعرف.

"زنا؟"

"إيه الأوفر ده، وبعدين ما هي السبب".

والحيرة كانت سيدة الموقف، فكلمات عارف تتلقف عقله، خياله شرد في درة وهي تسعى للتودد، تخشى الطلاق.

"تخشى الطلاق".

أعادها ضميره وكأنه يفيقه، كيف لها أن تخشاه وقد طلبته بل ولعنت لحظة عودتها؟

وهاتف عارف قطعه من شروده حين علا بالرنين، فكان رده:

"دقيقة واحدة وهكون معاك".

جملة فرضت على مسعود أن يستأذن ليرحل، وعندها عاد عارف لمكالمته وسأل:

– وصلت لفين؟

– هيقابل أيتن بكرة، أنا استنيت لما اتأكدت أنه مشي وطلعت ورا البواب ولحقته قبل ما يدي الشنطة لأيتن، خد مني فلوس ابن اللذينة عشان أفتحها وقدهم مرتين عشان ميجيبش سيرة.

– ولقيت حاجة مهمة؟

– لقيت حاجة أستاهل عليها مكافأة، لقيت اللي كنت بتدور عليه.

– مش فاهم.

– مش كنت عايز تعرف مين اللي بيتزل الفيديوهات اللي بتتريق على جهازك يا دكتور، أنا في شنطة أيتن لقيت الدليل اللي يأكد أنها اللي ورا الفيديوهات دي.

***

(17)

هو الآن على مشارف أقسى اختبار بحياته، أقارب للتوسط، عمته تريد أن تعتني هي بالأبناء لأنها تدرك أنه لن يستطيع أن يفعل، وزوجة تنجح بالفعل بعدما ابتعدت، حد الشهرة بالميديا ومواقع التواصل الاجتماعي

"شيخة رنا".

أو دعك من تلك التسمية القديمة وأتنا بالجديد؛ إذا لنقل الداعية الإسلامية "رنا أمين"، واللوك الجديد كافٍ لإثبات كم كان عبد الشكور شخص "مفتريًا"، فها هي زوجته تطل بإطلالة راقية وقد استطال حجابها "نوعًا ما" وقد استبدلت ملابس المحجبات العادية بعبايات أكثر أناقة، "وارد تركيا".

ووفق الرؤية لما آلت إليه أوضاع كليهما، قرر من حولهما تحليل الأمر، لو عبد الشكور رجل صالح ما كانت الأمور ستبدو هكذا لأن رنا "ربنا نصفها".

كان بالمطبخ يقشر البطاطس من أجل قليها بينما كتري تلاعب تيم حين صدح صوت كتري فجأة بهتاف:

"ماما في التلفزيون".

ولا يدري لما ترك البطاطس متناسيًا أمرها وهرول ليشاهدها:

– ومعانا اتصال تليفوني ونقول آلو:

– مساء الخير، أكلم الشيخة رنا لو سمحتي؟

– أه طبعًا اتفضلي يا قمر.

– شيخة رنا أنا بجد بحب حضرتك جدًّا وعايزة أقولك كل عباياتك وهم ومش ممكنة.

– جزاكِ الله خيرًا يا قمر، قولي سؤالك.

– بصي هو أنا محرجة بس هسأل......أنا للأسف حصل بيني وبين البوي فريند بتاعي موقف كده، ومش عارفة يعني...

– قولي متتحرجيش.

– هو الحقيقة يعني كانت بوسة كده، بوسة والله مش أكتر.

– وبعدين كملي.

ورغمًا عنه ابتسم هازئًا بينما لم يأتِ رنا من المتصلة سوى الصمت وعندها لم تملك إلا أن تسأل هي:

– طيب قوليلي هي كانت بتملُّك ولا عابرة؟

– كانت بتملُّك حضرتك، سوري.

– طيب حوط خصرك بذراعيه ولا ملحقش.

– لا حوط حضرتك، سوري.

– طيب سؤال أخير اللي حصل ده بناءً على إيه، يعني كاتب كتاب؟ خاطب؟ قاري فاتحة؟ عاوز يتعرف على بابا أو بيحاول حتى...

– لا هو مجرد بوي فريند عادي، حتى علاقته بخطيبي تعتبر سطحية جدًّا

– أنتِ مخطوبة يا قمر؟

– أه حضرتك، سوري.

– لا سوري إيه ده أنا اللي سوري، طيب السؤال إيه بالظبط؟

– هو دلوقتي احنا كنا في نهار رمضان، فأنا مش عارفة هل أنا كده فطرت ولا لا وسوري على كل حال.

"اممممممممممم"

والتمتمة من المذيعة مع انتظار الرد الذي لم يأتِ لوضوح الصدمة على ملامح الداعية فرضت عليها التعقيب:

– فاصل ولنا عودة.

وعلى رائحة دخان البطاطس هرول للمطبخ ليدرك أنه حرقها، فجمعها وألقى بها في القمامة، وفتح النوافذ ثم هوى بعدها لأقرب مقعد يطالع كترى وتيم وطيف فشل يلاحقه كلما سعى أن يكون الأفضل على الأقل من أجلهما.

أيعني هذا أن عارف على صواب؟

دفن وجهه في كفيه وتنهد بحسرة وعندها وضعت كتري قبلة على خده وهمست:

- ممكن ناكل أي حاجة تانية؟

نظر لها وقد جاهَدَ وجهه الابتسام وسأل:

- تحبي تروحي تعيشي مع ماما يا كتري؟

ومنّى نفسه رفضها، فهو أول من يعرف أنه يجتهد فقط لأجلهما.

- أنت مش عايزنا؟

قالتها حزينة فأجابها:

- أبدًا بس...

ولم يكمل احتضنها واحتضن تيم ضمة طويلة سيستمد منها قوته ليقف ويكمل ما بدأه، مسح على شعرهما بحنان ثم سأل:

- نأكل بيض وجبنة.

ابتسمت وقالت:

- ماشي وأنا هساعدك.

وفعلت؛ اتجهوا للمطبخ، جهز العشاء وتناولوه، ثم ساعدته كتري من أجل تغيير حفاض تيم ثم تجاور الثلاثة في سريره، نام الصغيران بينما جافى النوم عينيه.

"هل من الممكن أن تأتي إليه نادمة على فراقهم بعد كل تلك الأضواء والنجاح والمال؟

"ربما".

يغلبها الاشتياق لترى أطفالهما، وقد تشتاق له بقدر اشتياقه لوجودها، لو عادت لن يسامحها بسهولة، سيعنفها كي تتعلم الدرس، وربما يصفعها أو يسبها من باب التأديب، لا لن يصفعها هو فقط سيزجرها كي تتعلم ثم يحتويها بصدره، ويخبرها أنه متفهم أنها لم تكن تقصد أو تتعمد كسر قلبه.

اقتطعه من شروده دق جرس الباب فاتجه لفتحه وحين ظهرت تسمَّر بمكانه:

"رنا"؟

"ممكن أدخل؟"

هل يعقل أنها قد تعلمت الدرس بكل تلك السرعة، سعل وحاول أن يعدل من هيئته وهو يبتعد قليلًا كي يسمح لها بالدخول، طالعت الفوضى من حولها باشمئزاز وقد أكد لها حال الشقة أن عبد الشكور اقترب من عتبات الانهيار وقريبًا سيعود لها معترفًا بخطئه ونجاحها، انتظر جلوسها لكنها لم تفعل، فتحت حقيبتها وأخرجت منها رزمة مالية بدا واضحًا أنها ليست بمبلغ قليل، وضعتها على الطاولة أمامه ثم سألت بهدوء:

- الولاد كويسين؟

نظر للمال ثم لها ثم رد:

- آه، تمام.

أمسكت بالمال ووضعته بيده ثم قالت:

- خلي دول معاك، دي فلوس كتير، هات للولاد كل اللي نفسهم فيه، وأي فلوس تحتاجوها متترددش تعالى واطلبها مني.

ولم تكمل كلامها، ألجمتها نظرة عينه التي عجزت عن تفسيرها، ثمة شيء ما انكسر لتوِّه بداخله، أو بينهما، هو لا يدري هو عاجز عن التحديد، عاجز حد الرمش بعينه وكأنه يريد التأكد أنه مستيقظ ولم يغط في النوم بجوار أولاده.

"انسى أننا انفصلنا، ياما ناس اتطلقت واتعاملت برقي عشان بينهم أولاد".

"برة".

قالها وقد دفعها واتجه ليفتح باب شقته ثم جذبها من ذراعها وأخرجها وهو يعيدها:

- اطلعي برة، برة.

ثم ألقى بالمال في وجهها وهو يؤكد بحدة:

- مش عايز أشوف وشك تاني، فاهمة؟

صفع الباب بوجهها وقد اخترقت أذنه تمتمتها:

- هتفضل طول عمرك غبي يا عبد الشكور.

وصفعة أخرى هوت ولكن لكيانه كله، قلبه عقله ونفسه، هي لن تستفيق بل ستتمادى حد الغرق، تمامًا كما فعلت صبا.

وعندها تجلت صورة عارف في الأفق، عارف!

"عارف لا بد أن يدفع الثمن".

ذلك الوجه المتجهم هي لا تعرف سببه، صفف شعرها كعادة كل يوم لكن بدون كلمة مزاح واحدة كما عوّدها، جهز حقيبتها وحقيبة أخوها ثم توجه بهما للحضانة حتى دون كلمة "صباح الخير"، كانت أيتن بانتظارهم عند الباب كعادتها مؤخرًا، منذ علمت بأمر انفصال والديها وهي توليها وأخاها الاهتمام، بداخلها خوف من أن تنطفئ كتري على إثر ما طال حياة أبويها، وملاحظة أخرى استشفتها عن أخيها الصغير ولفتت والده لها.

"منطوٍ ومتأخر بالكلام".

وكأن هذا ما كان ينقصه.

"صباح الخير".

قالتها أيتن وقد فتحت ذراعيها للصغيرين لتستقبلهما، دخل تيم ولكن كتري عادت لوالدها، احتضنته ومنحته قبلة على خده ثم عقبت: صباحك فل يا شيكو، أوعى تتأخر.

وطريقتها فرضت عليه وعلى أيتن أن يضحكا، بينما أومأ هو رأسه بالإيجاب ورد:

- حاضر.

وكعادة كل يوم سأل عن أحوالهما وبعد إجابتها التفت ليرحل كادت تستوقفه وبداخلها تريد أن تسأله بشكل مباشر عن "بشير" خطيب بنت دكتور بغدادي السابق إلا أنها تراجعت بآخر لحظة، فبالتأكيد هي لن تملك تفسير لاستفسارها عن زميله، ولو أرادت

التأكد من كون بشير يعمل بذات الشركة التي يعمل بها عارف فالأمر ليس بالصعب عليها، ولأول مرة تستشعر أن عقلها يساعدها كونه يسترجع لها عدة صور على رأسها طيف شاب يراقبها، بالمواصلات، المكتبة

هل حقًّا هو بشير؟

أم من الممكن أن يكون شخصًا آخر؟

ولو هو حقًّا بشير فلماذا، ولو غيره فلماذا أيضًا؟

هل عليها أن تقلق كونها "فتاة جرينتش" التي تحدث عنها عارف مرة بإحدى حلقاته وهو يسيء إليها كونها تحاول تشويه صورته، هي لا تظن أبدًا أن باستطاعته فعل شيء، لذا ستنفض عنها كل الأفكار وقرارها الأخير، لن تقابل بشير، ولن تثق بشخص هي ببساطة لا تعرفه.

***

عاد لسيارته فأتاه اتصال من أحد المقاولين الذين تم التعاقد معهم مطالبًا إياه بالمجيء لموقع البناء للضرورة.

فاضطر لتغيير وجهته وما إن وصل ونظر للمكان حتى أدرك مدى الفوضى التي وصلت إليه، قابله المقاول وقد بدأ يحكي عن المهازل التي تعمُّ المكان.

"مون بتتسرق، حديد بيتسرق، وأي غش هيحصل في المباني هتبقى خسارة كبيرة، العمال بطلوا يشتغلوا، محدش بقى في دماغه،

نكلم باشمهندس مسعود يقول مش فاضي، نكلم باشمهندس عيسوي ميردش، وأخيرا كلمنا حضرتك، الوضع لو فضل كده هتحصل كارثة، لازم حد يبقى على إيد العمال يا بيه، الناس حطت شقى عمرها في العمارات".

"أنا هتصرف".

قالها عبد الشكور وقد رحل والغيظ يتلقفه، هل حقًّا عليهم ألا يبالوا حتى النهاية، أم على أحدهم أن يستفيق ويفرض الاستفاقة على الجميع؟

وصل الشركة ثم اتجه صوب مكتب مسعود، دفع الباب ودخل يزعق سائلًا بكل حدة:

ممكن أعرف أنت بقيت بتعمل إيه هنا بالظبط؟

والطريقة الهمجية فرضت على مسعود ضرب المكتب بيده والهتاف في عبد الشكور كونه دخل عنوة دون استئذان..

لكن عبد الشكور لم يدعه يكمل، جذبه من قميصه ليخرجه من مقعده وهو يدفعه ناحيته زاعقًا:

- خربتها يا مسعود، خربتها لما حسيت إن فيروز راجعة، خايف على المنصب ومش خايف من تضييع الأمانة، ناوي تعمل إيه أكتر من كده؟

دَفَعَه مسعود بقوة حد سقوطه على أحد المقاعد وقد ردَّ هازئًا:

– مين اللي بيتكلم عن الأمانة، عبد الشكور؟! ده على أساس أنك مكونتش بتتجسس علينا وتنقل أخبارنا لعارف ولا أنت فاكرني مش عارف؟

أراد أن يقلب الطاولة، فجذب عبد الشكور من قميصه وأكمل زعيقه، وهو يكيل التهم له وللبقية كونهم يغارون من تفوقه وترقيته، والرد من عبد الشكور كان لكمتين، ثم دفعة ثم سُبة، تصرف فرض على مسعود أن يعتدل ليرد الضربات وكلاهما كان يدفع الآخر حد خروجهم من مكتب مسعود إلى الرواق المؤدي لمكاتبهم، حالة فوضى فرضت على عم مدبولي أن يضرب كفًّا بكفٍّ، بينما الاثنان ما عاد أي منهما يستشعر الزمان أو المكان، حتى أنهكهما شجارهما فسقطا أرضًا وأمام قدم عارف توقفا.

"معقول، ده أنتم كده ممكن تقتلوا بعض!".

قالها بشماتة فرضت على عبد الشكور الوقوف ومطالعته بغِلٍّ وقد قرر أن يهتف فيه:

– اطلع أنت منها وهي تعمر.

"حلوة التمثيلية الجديدة دي يا عبد الشكور".

والتعقيب كان من بشير الذي وقف على مقربة منهم يتابع شجارهما هازئًا، من المصطنع هذه المرة ولِمَ؟

واستهزاؤه فرض على عبد الشكور أن يزعق فيه:

- أنا لو بمثل لدرجة إني أخسر كل اللي خسرته، يبقى أنت أعمى النظر يا بشير.

والتعقيب عقلاني لكن من يضمن، ربما كل ما مضى كان خدعة، فكرة أطلت على عقل بشير ففرضت عليه أن ينظر لعبد الشكور باحتقار

نظرة احتقار تلقاها عبد الشكور في كرامته ففرضت عليه أن يدفع بشير في صدره من فرط غيظه:

- يا أخي أفهم أنا مش عدوك.

- ومين يضمن، تفتكر أنا ممكن أثق فيك بعد كل اللي عملته، أو أثق في مسعود؟

"وليه أنت اللي مفروض تكون مصدر ثقتهم يا بشير؟"

والجملة قيلت بتحدٍّ، نظرة خبيثة مفادها - آتِ ما عندك - هذا إن كنت تملك حُجة.

وللحظة استشعر بشير أن عارف يريد استفزازه والمواجهة، يريد أن يعرف خبايا بشير، دقيقة تفكُّر وإقرار من نفسه - استخدم عقلك

- غموضك الآن بات مصدر قوة.

"واضح إن معندكش حاجة تقولها".

تابَعَ عارف فأجابه بشير:

- لو ده يريحك يا دكتور عارف، فالإجابة أيوة.

ثم وقف أمامه وجهًا لوجه، والوقوف في وجه الشيطان صعب لكنه ليس بالمستحيل، وعندها أردف بحسم:

– ومين قالك أن ثقتهم فيا تفرق معايا؟

– ليه مش كان نفسك تبقوا إيد واحدة، صف واحد لحد ما فيروز ترجع.

– وليه متقولش أننا كنا محتاجين كل اللي حصل، عشان نتمايز ويبان معدنا الأصلي، مش ده كلامك عنهم، مسعود انتهازي وعبد الشكور خاين وعيسوي مبيهموش إلا نفسه.

والجملة استوقفت عيسوي الذي جمع ما بقيَ مِن أغراضه ليرحل دون رجعة.

طالعهم وعلى وجهه قسمات تردد: هل يرد على ما قاله بشير أم يصمت؟

صمت امتد لدقائق تطالع فيها كل العيون بعضها البعض.

مَن الخائن؟

ومَن الأمين؟

مَن الكاذب؟

مَن الصادق؟

"ربنا يرجعك بالسلامة يا ست فيروز".

– فيروز هربت وسابتنا لمسعود وعارف يا عم مدبولي، خافت على نفسها من الفضايح وهربت.

والرد من المتهور أدركه عارف ففهم أن بشير بالتأكيد أخبره، ودون انتظار تعقيب من أحدهم أردف:

- فيروز مش راجعة، ولا شركة الفيروز هترجع، أنا ماشي ولو عايزين رأيي أنتم كمان امشوا، سيبوها لمسعود مش هو عايز المنصب خلوه يحكمها خرابة.

- عايزنا لما نشوف المركب بتغرق نكون أول من ينط منها.

- مش أحسن ما تغرق وتغرقنا.

وتبادلا النظر للحظة.

عيسوي **VS** بشير.

- وأنت كده فرقت ايه عنهم.

- أنا مأذيتش حد يا بشير عشان اتساوى بيهم.

- وهروبك مش أذى.

- مش كل القضايا تستاهل البطولة، القضية دي خسرانة، فبلاش تضيع وقتك.

"وليه متكونش تصرفاتكم قدامنا دلوقتي هي اللي تمثلية".

والهتاف كان من عبد الشكور بينما مسعود قرر أن يعقب بدوره فصفق، صقفة، اثنتان، ثلاث ثم هتف:

- لا برافو، هايل قوي دور البطولة المزيف ده، دلوقتي مسعود بقى الحيطة المايلة اللي عايزين تشيلوها خيبتكم، دلوقتي شركة الفيروز بقت خرابة يا سي عيسوي.

"أنا ماشي".

قالها عيسوي والتفت ليرحل فهتف مسعود:

- في داهية.

"واطي يا مسعود والرد عليك مفيش منه فايدة".

"وأنت مش زيه".

والسؤال من بشير والصدمة تمثلت في رده:

- أنا، أنا يا بشير.

- أيوة أنت، هو ده رد الجميل للحاج إسماعيل اللي فتحلك بيته يوم ما اتخانقت مع مامتك، رد الجميل للراجل اللي راح معاك عشان يخطبلك واعتبرك زيي، يوم ما الراجل ده احتاجلك قبل شركة الفيروز عملت إيه عشان تساعده.

- قولتلك مش قضيتي يا أخي أنت ايه مش بتفهم.

- لا بافهم، بافهم لدرجة أن معادن الناس مش بتبان غير لما نحتاجهم.

والنظرة الأخيرة كانت من نصيب عارف، وهو من صفق بحرارة ثم قال بتأكيد:

- مبروك عليك وقوع شركة الفيروز يا دكتور، خطتك اللي رسمتها نجحت، يمكن أنا معرفش هدفك، بس مش هنكر، أن الجول حلو وملعوب باحترافية.

"أنت كسبت يا دكتور".

قالها بشير ثم طالعهم، نظرة أخيرة لرفقاء ما عاد يجمعهم إلا الفرقة، والقرار هو أول من سيرحل.

***

كلهم غادروا وبداخل كل واحد منهم غصة لما آل إليه المشهد، وبطريق عودته دمعت عينه، وهو يفند بعقله، للنصر مذاق من يذوقه قد يركن له حد التبلد دون حركة، ومن هنا تأتي هزيمته.

فكر فيها مسعود وقد عاد لمترله، بدا واضحًا إعياؤه، لكن أتراها تبالي؟

لن يناديها لن يتوسلها ليستند عليها طالما ما عادت تعبأ، ارتمى بجسده على الأريكة بغرفة مكتبه يتأوه، فاتجهت هي مسرعة لتحضير الطعام لتتفادى زعيقه، وما إن وضعته حتى نادت.

لكنه لم يحرك ساكنًا، عادت تستأنف إطعام بناتها بغرفة النوم وقد انتظرت أن تسمع صوته يتوجه لطاولة الطعام لكنه لم يفعل، شعرت أنه يتعمد الانتظار حتى يبرد الطعام فيزعق، أو انشغل في أوراقه أو ربما غفا ولو تركته فبالتأكيد سيزعق، كل الخيارات بنهايتها سيزعق فهو ما عاد يملك فعلًا آخر ليفعله.

كررت نداءها ثم زفرت لاضطرارها للتوجه إليه، وقفت عند الباب وهتفت باسمه، كان متمددًا على الأريكة يضع ساعده الأيمن فوق وجهه، خطت حتى باتت على مقربة، وعندما رأته شهقت بفزع، وانزعاجها فرض عليه أن يقف فجأة محاولا إظهار أنه على ما

يرام، حركة فجائية زادت من ألم أحد ضلوعه، لكنه القوي الذي يجب أن يراه الجميع دوما بكامل قوته، قررت سؤاله وهى تشير بيدها:

- وشك وهدومك، قصدي...

وقطع هو كلامها بتأكيد:

- أنا كويس.

وتركها متوجها لغرفة النوم ليبدل ملابسه، طالع جسده بالمرآة فوجد كدمة زرقاء تتوسطت صدره، تأوه ثم صمت حين وجدها قد أتت خلفه، تطلع لوجهه فأدرك لما شهقت، جرح بجوار شفتيه وبقايا دماء سالت من أنفه، كدمة قوية بعينه اليسرى وآثار جرح بجبينه.

هل ستسأل عن السبب؟

لكنها لم تفعل تركت الغرفة دون كلمة ثم عادت وقد جلبت طبق به ثلج وشاش وقطن، كان قد تمدد على السرير حين وجدها قد جاورته لتمسح جروحه، فقرر إقرار أنه سليم بزعقة وأدمًا لمسة يدها لجبينه، صمت فوضعت خلف رأسه وسادة كي يرتاح لتباشر عملها، وعندها قال بإعياء:

- مش عايز منك شفقة يا درة.

نظرت بعتاب ثم أكملت ما تفعل دون أن تعقب، وكاد يعيد جملته أو ربما أخرى إلا أن لمسة يدها بجوار شفتيه فرضت عليه أن يصمت، بل بدا بعد دقائق أنه يطالعها مستمتعًا.

(ما زالت مهتمة وتعبأ لألمه).

غادرت الغرفة وعادت وبيدها كوب ماء وقرص مسكن، تناوله منها ثم دثرته وسألت:

- تنام ولا أجبلك الأكل؟

- مش عايز أكل بس ممكن تفضلي جنبي.

- البنات هيزعجوك.

- لا أبدًا.

قالها وساد الصمت وتجهَّم وجهه ولم تدرِ لماذا، لكنه يكره لحظات عجزه، تذكره بفشل سفره وماضٍ اعتاد فيه وحدته. تبادلا النظرات، هل نحن بصدد عتاب؟

علا رنين الهاتف وكان الدكتور عارف، تجهَّم وجهها وهي تناوله له وما إن أمسكه ورد حتى أدرك أن عليه الخروج ومقابلته.

"أنت هتنزل عشان تقابل الراجل ده".

سألته درة بأسى فأجابها وهو يبدل ملابسه:

- لازم أنزل.

وقبل خروجه استوقفته هي بالنداء:

- مسعود أنا محتاجة أتكلم معاك.

وقف والتفت وعقَّب:

- لما أرجع يا درة.

- لا دلوقتي.

قالتها بحسم فرض عليه الاستغراب، هي ظنته ضعيف فقررت أن تعود لطلب الطلاق، بينما ما استشعرته هي أن الكيل فاض، كل ما مضى من جفاء جعلها تظن أنها غير عابئة لكن ما اتضح لها الآن عكس ما ظنته.

"وأخرة الطريق ده إيه؟ لحد إمتى هتفضل مكمل وبتدوس من غير ما تفرمل، من غير ما تشوف اللي ممكن تخسره، أنا تعبت".

ورغم أنه اعتاد بكاءها فإن هذه مرة اختلفت، فصوتها الباكي كان أشد عليه من ألف طعنة وهي تكمل:

- أنا كنت خايفة تسافر عشان مكونتش عايزاك تبعد، لكن دلوقتي أنت جنبي وخلاص بعدنا.

تمنى لو استطاع أن يزعق لتصمت لكنه لم يجرؤ، قرر أن يظهر جَلَدَه تجاه دموعها، لكنه تردَّد وبعد فراغ صبره أجابها:

- أنت ليه مش عايزة تفهمي، مسعود القديم مش هيرجع يا درة، مسعود الضعيف اللي الكل كان بيبيع ويشترى فيه خلاص انتهى.

"يعني مفيش فايدة، مفيش فايدة".

وهذه المرة هي من زعقت من فرط يأس يكاد يحطمها، والأسوأ أنه قرر ألا يجيبها والتفت ليخرج فقالت بحدة:

- طيب سجل اللحظة دي كويس، وابقى افتكرها وأوعى تندم، أنا صبورة بس مش قليلة الحيلة.

وهي ليست بحاجة لتؤكد هو يدرك ويعرف لكنه يكابر لظنه أنها مهما حدث ستظل معه.

***

هل باتت التجربة على المحك؟

لم يتأكد بعد، لكنه يتابعهم منذ رحيلهم من الشركة والأمور قد توشك أن تخرج عن سيطرته لكنه دومًا قادر على إعادتهم لدائرته أو هذا ظنه، فبشير خرج يومها من الشركة واتجه للمكتبة لينتظر أيتن ولكنها لم تأتِ، ربما هذا جيد لكن لا ضمانة من أنهم لن يجتمعوا، ولأنه قرر معرفة أخبارها من البواب هاتفه وعندها أخبره بأنه أتى لأيتن ولكنها رفضت مقابلته،وهذا يعني أن بشير على عتبات إحباط من كل جهة، فأيتن قالتها له صريحة وواضحة؛ لن تساعده.

أما عبد الشكور فهناك قنبلة بانتظاره اقتربت أو أوشكت أن تنفجر بوجهه، وبتأكيد سينكسر بعدها للأبد

لكن الأزمة أو الصدمة تمثلت بمسعود، يوم أتى إليه بأحد الملاهي الليلية كما اختار هو وحدد، وأمام بائعات الهوى كانت تعقيبه:

"شايفِ الستات مش تِقولي درة".

زفر بشدة ثم سأل بجدية مُحوِّلًا دفة الحوار:

- حضرتك كنت عايزني ليه؟

بدأت طريقته تفرض القلق على عارف، ما الذي أصابه، هل بدوره ستنفلت زمامه:

- تفتكر هقولك تيجي ليه؟

ثم أشار حوله وقال:

- نقي الست اللي تعجبك، وبكده ابقى ساعدتك في موضوع درة، ويفضل موضوع فيروز وده أنت اللي هتعمله بنفسك، أنا اتكلمت مع محامي أعرفه ولقيت مخرج لو فيروز رجعت هايل.

أشار لفتاة كي تتوسطهما وقد ابتسمت لمسعود فغضب وأشاح بوجهه فأشار لها لتتركهما وهتف:

- معقول خايف من مراتك.

بحسم أجابه:

- مش هقدر أخون درة، وعندي أسبابي، وبالنسبة لموضوع الشركة أعتقد ممكن نتكلم فيه وقت تاني.

ومنذ ذلك اليوم رَحَلَ بلا رجعة.

وآخرهم عيسوي، فالهارب تراجع وكان قراره باللحظة الأخيرة، لن يسافر، وباليوم التالي كانت يده فوق كتف بشير الذي كان جالسًا كما عادته بسطح مترله، ليتسمر عندما يجده أمامه.

ساد الصمت وقد تبادلا النظر وبعد تنهيدة راحة من بشير هللت أساريره، احتضنه بقوة فعقّب عيسوي:

- مش هقدر أقول غير منك لله، صحيت ضميري، الله يسامحك.

رغمًا عنه ضحك ورد:

- أنا مش مصدق أنك رجعت.

- ولا أنا والله، المهم دلوقتي هنعمل ايه يا حضرة المناضل؟

- طالما مع بعض ده كفاية.

"مسافرش؟"

"لا"

والدفع بإحدى المزهريات لتهشيمها كان المنفس لغيظه وهو يتمتم:

- ماشي.

توعُّد بدا واضحًا بعده اضطراره لأي شيء حتى لو كانت ضرباته التالية "تحت الحزام".

***

للترابط قوة من يعرفها قد تعينه حد اكتمال الفكرة، ومن هنا تأتي نصرته.

كانت البداية ورقة وقلمًا، ليسجلا لكل معلومة عرفوها، واستقراء لكل السيناريوهات الممكنة، وبين ما فعله عارف والنتائج المترتبة باتت الخطوة التي يرجونها تكمن في سؤال سأله بشير وهو يدور في غرفته.

(إزاي ندخل لمعمل عارف أبو العزم؟)

(إزاي ندخل لتوقيت جرينتش؟)

وبدا الاستغراب على وجه عيسوي وهو يسأله:

- عايز تقعد على الجهاز.

- لا يا حدق، عايز أشوفه وجهًا لوجه، بس إزاي ندخل معمله والفيلا مُؤمَّنة وكل هفوة بتحصل في الفيلا متوصلة بتليفون عارف؟

زَفَرَ وجلس بينما عيسوي ظل يتطلع لوجهه المتجهم ثم نظر للأوراق التي كتبها بشير وبعد دقيقة عقب:

- نسرق تليفونه.

- طيب ما الكاميرات هتصورنا واحنا داخلين يا ناصح!

- طيب ما هو أكيد الراجل مأمن معمله وأجهزته وحتى لو دخلنا ولا هنعرف نوصل لحاجة.

زفرا بضيق، جلسا قبالة بعضهما البعض، سَحَبَ بشير كوب الشاي بالنعناع، سحب عيسوي كوب الشاي بلبن وتبادلا النظر، كيف سيتمكنان من اختراق عالم هذا الرجل؟

(الواد حماصة بتاع وصلة النت).

قالها بشير ببالغ سعادته وكأنه وجد بُغيته مما فرض على عيسوي أن يرد هازئًا:

- هنقتحم فيلا عارف بحماصة، هو ده آخرنا في الأكشن.

- عندك حد تاني يساعدنا؟

والإجابة بدت نعم حين انزوت على شفتي عيسوي ابتسامة انتصار وقد همهم باسمه:

- عماد.

***

وللغدر صفعة من ينالها قد توجعه حد اتضاح الرؤية، ومن هنا تأتي استفاقته.

"ستتزوج".

والقصة مثيرة لمواقع الفراغ الاجتماعي حد الثرثرة حول قصة رومانسية، وكجوعى ظنوا برغيف خبز فاسد الشبع كانت مشاركة المنشورات على أشدها، وفي خضم التشويش توهجت صورة تم السعي ليكون لمعانها خاطفًا.

"عن نظرة عينه وهو بيبصلها بكل حب وأمان، مقالش مطلقة، مقالش كسر، لا عززها وحبها من قلبه، وقرر يعوضها عن كل اللي فاتها، رنا أمين / هيثم مدكور مبروك من كل قلبي، عن أجمل داعية وأحسن مخرج ربنا يسعدكم ويوفقكم".

بوستات، بوستات، بوستات، تويتات، تويتات، تويتات، إنه ذات "المزاد".

والزوج السابق لا يملك وقتًا لمتابعة الترهات، فهو مَن يراعي الأولاد، يطبخ، يكنس، يغسل، ويغير الحفاضات.

لكن هيثم لم ينسَ دعوته، رغبة جمة في أن يأتي بأي ثمن، لذا أرسل له دعوة وهاتفه وأكد عليه المجيء وأمام إلحاح كتري لحضور المناسبة لم يملك فرصة للرفض.

وحل مساء الخميس وتوجه وأطفاله للفرح، ليتابع عن كثب سيارات فارهة يركبها نجوم المجتمع، حفل صاخب بأحد أكبر فنادق

القاهرة، وما إن بدأ العرس حتى توسط العروسان القاعة، ذراعه حوط خصرها والآخر ضم يديها، ورقصا.

وأخيرا انفض الزحام حد استطاعة دخول عبد الشكور للقاعة، وما إن رأته لوللا حتى شهقت وسألت بقلق:

– ليه جيت يا عبد الشكور؟

لم يرد فتابعت:

– أنت عارف مين العروسة؟

وابتسم هازئًا كون الأمر لا يعنيه، إلا أن العريس قد رفع عروسه وحملها من خصرها ودار بها وسط صفير الحاضرين وتصفيقهم وصياحهم. فلمحها وعندها فهم، لم يخبره أحد من أقاربه، أخوفًا منه أم خوفا عليه؛ لا يهم، تعددت الأسباب والموت واحد.

وأنزلها هيثم مقررًا إنهاء المشهد بطريقة احترافية، ولحظة رومانسية قبلة حميمية تعالى معها التصفيق وعندها التفتت لتراها كتزي: "ماما"!

كلمة ضاعت وسط ضجيج الحفل، فرضت على الطفلة أن تقترب، لتتأكد وفرضت عليه أن يهتف باسمها ليستوقفها، وما بين اللحظتين توقف كل شيء، تلاشى كل شيء إلا دموع صغيرة انهمرت وقد علقت بالوسط، نظرات تبادلاها هو وهي، تساءلت معها عينيها أنادم؟ فأجابها قلبه: بل مستفق.

وكلّل عارف وجوده بنظرة شماتة منحها له بابتسامة متشفية فلم يملك إلا أخذ طفليه والمغادرة.

ساعة الصفر موعد مغادرة عارف لفيلته لحضور حفل زفاف المخرج هيثم مدكور والمهمة تبدأ بدور عماد الرئيسي بعد معاناة من عيسوي من أجل إقناعه بالعودة لهوايته التي يحترفها سرًّا دون علم أحد باستثناء عيسوي، كونه مهندس حاسبات ومعلومات بأحد أهم شركات الاتصالات وهاكر سري ومدمن أفلام أكشن

ومن يظن أن عماد جاء بمحض إرادته واهم فحين فشلت كل سبل إقناعه قرر عيسوي إخراج - سيديهاته - فكانت الموافقة.

وكانت خطوته الأولى تثبيت الإشارات الصادرة من كاميرات المراقبة لهاتف عارف ثم تعطيلها ثم تعطيل الإنذار وقد قفزوا من فوق السور إلى الحديقة، دار بشير حول الفيلا من الداخل حتى بدا واضحًا أن مدخلهم لمعملة سيكون عبر الصعود لإحدى الشرفات المفتوحة والمرور عبرها للداخل، كانوا بالطابق العلوي فقرروا البحث لمعرفة مكان معمله، وبعدما تفرقوا علا هتاف بشير بإشارة إلى مكانه ببدروم الفيلا، فتجمعوا ودخلوا ليكونوا وجهًا لوجه بما يملك وعلى رأس القائمة جهازه "توقيت جرينتش".

هتف عماد وهو يتفرسه بعناية:

- هو ده الجهاز اللي عامل عليه قلبان أنه بيغير مجرى حياة البشر.

وجملته استوقفت بشير فطالعه بدوره وقرر أن يتلمسه ويسأل، أحقًا جلس دعبس على هذا الجهاز.

"شوفت الورقة دي يا بشير".

جملة قالها عيسوي وقد أمسك بيده ورقة كانت مثبتة بدبوس معدني بلوحة كانت معلقة بالحائط المقابل للجهاز، أمسكها بشير، ليجد فيها أسماء مسعود وعبد الشكور وعيسوي مشطوبًا عليهم بينما اسمه هو محوط بدائرة بجواره اسم أيتن وقد حوطته دائرة أيضًا.

"هو الراجل ده عايز منكم إيه بالظبط؟"

قالها عماد فكانت إجابة بشير بثقة:

– عايز تجربته تنجح.

فعقَّب عيسوي:

– واحنا مالنا ومال تجربته؟

وبنظرة عامة للمكان قال بشير ما استشعره:

– التجربة مش هي بتوقيت جرينتش، الجهاز ده تغطية على حاجة أكبر.

ثم نظر الثلاثة لحاسوب عارف الشخصي، ففهم عماد ولكن قبل فتحه ثمة صوت سيارة توقفت أمام بوابة الفيلا، فبدا واضحًا أنه ربما قد عاد أحدهم!

***

وما إن ركب سيارته حتى استشعر أنه ما عاد يملك السيطرة على جنونه، أراد هيثم إيلامه أو جرحه، ولكن لماذا كانت اللعبة رخيصة حد إيذاء أطفاله، لحقت به لوللا لتطمئن عليه وما إن رآها حتى خرج من سيارته وقد طلب منها مرافقة أطفاله.

عاد مسرعًا للقاعة وكل ما يريده رؤية عارف، دخل ودار بعينيه وسط الحاضرين فلم يجده وقد استوقفه أحد المسؤولين عن الأمن مطالبًا إياه بالخروج، فالتفت وقد تبادل النظرات مع رنا مرة أخرى ثم خرج وعندها لمحه عند المدخل وقد بدا عصبيًّا بجوار أحدهم وقد أسرعا الخطى ليبتعدا عن الجميع قدر استطاعتهما فلحق عبد الشكور بهما واقترب ليتيقن ممن رافق عارف، وعندها كانت صدمة غير متوقعة كونه "حسن"!

ما الذي يفعله خطيب ابنة خالة بشير بجوار عارف؟

والإجابة عرفها حين اختبأ وحاول أن يسمعهما.

– غبي قولتلك أنا اللي أكلمك وأنا اللي أحدد امتى وفين نتقابل، ايه اللي جابك؟

– بشير وعيسوي في فيلتك.

وما إن قالها حتى فتح هاتفه واختبر التواصل مع منزله، ومن ثبات الصور أدرك أنه ربما يكذب، وهذا يعني أن عليه التأكد، فانطلق بسيارته لمواجهتهم بمنزله:

"وقعتوا ولا الهوا رماكم؟"

قالها وأوقف سيارته فهتف عماد فيهم:

- هنعمل إيه دلوقتي؟

سَحَبَ بشير حاسوب عارف وقال هو يهرول للخروج من المعمل:

- بنفس الطريقة اللي دخلنا بيها.

أسرع عارف للداخل وركض نحو معمله وما إن طالعه بنظرة سريعة حتى أدرك أنهم قد سرقوا حاسوبه والورقة التي كانت معلقة لا أثر لها، فأسرع ليبحث عنهم بالفيلا حتى استوقفه صوت دراجة بخارية تنطلق مسرعة فركض نحو البوابة ومنها للخارج ولكنهم قد رحلوا.

"أغبيا".

وثمن الغباء لن يكون هينًا.

***

هل عليه أن يقلق لرؤية حسن برفقة عارف؟

دار بالغرفة وطوال ليلته عجز عن استكمال نومه، بداخله شيء يحثُّه على مهاتفة بشير لكنه يدرك أنه لن يصدقه، تقلب في سريره يريد نفض الأمر عن عقله لكنه لم يستطع ومع الصباح أوصل أطفاله إلى الحضانة ثم توجَّه لمركز عارف وأمامه انتظر بداخل سيارته، وعند العاشرة ظهر عارف وقد نزل من المركز ومعه حسن وركبا سيارة عارف وانطلقا حيث الطريق المؤدي لفيلا عارف.

وبنفس التوقيت جاءها اتصال تليفوني اقتطعها من أعمال المطبخ، اتصال يحمل أسوأ خبر من الممكن أن تسمعه، إسماعيل بالمشفى ويود رؤيتها، وبشير بالطريق فهل ستأتي هي؟

دون تفكير أسرعت واستوقفت أول سيارة أجرة وجدتها، وكانت السيارة تدرك وجهتها.

"أنا عند وعدي، ساعدتني واديني هساعدك وبعد دقايق مها هتكون عندك حلال عليك تعمل فيها ما بدالك"

والجملة فرضت على حسن الاستغراب فسأل:

- مش فاهم؟

بنبرة هازئة أجابه عارف:

- مش فاهم، ولا خايف أكون فعلًا قاصد اللي في دماغي؟

- دكتور عارف مش أنا اللي أأذي بنت حتتي.

قالها بحدة فرضت على عارف الضحك ثم الرد ساخرًا:

- حسن، أنت أذيت ولاد حتتك فعلًا.

شعر حسن بالغيظ فهتف مُدافعًا:

- أنت وعدتني تساعدني إذا ساعدتك؟

والرد ضربة تلقها فوق رأسه من فريد فأُغشي عليه، وعندها ركله عارف بقدمه ليكومه جانبًا، ثم توجه للخارج حيث السيارة التي وصلت لتوِّها:

"أهلًا أهلًا".

قالها عارف وهو يفتح لها باب السيارة، وقد جذبها من ذراعها وإخراجها عنوة وإدخالها لفيلته بينما هي تحاول دفعه عنها بكل قوتها وهي تزعق فيه:

- أنت عايز مني إيه بالظبط.

ولن ينكر دهشته أمام ثبات حفيدة إسماعيل التي لا يعرفها، لكنه لم يبالِ فقط أشار لحسن المكوم جنبًا وردَّ:

- هو اللي كان عايز، بس تعرفي أنها مش هتفرق حسن من فريد طالما المتعة واحدة.

أهو تهديد صريح بالنيل منها، من عرضها وشرفها، صفعته بقوة على وجهه وصرخت:

- على جثتي.

أمسك يدها بغيظ ثم جذبها ناحيته وزعق محتدًّا:

- واضح أنها مش هتبقى مهمة سهلة، بس تعرفي أنا معنديش مشكلة أبعت لبشير جثة بنت خالته.

- أنت فاكر الدنيا سايبة.

- أنا مش فاكر، أنا متأكد.

والجذبة أشد وأعتى، ومن هي لتقاوم ولكنها ستفعل، دفعت يده وركضت نحو باب مغلق لن يُفتح أبدًا، لتأتيها الجذبة من فريد والدفع بها أرضًا وهو يعرفِ ما الذي ينبغي عليه فعله وهي ستقاوم وعارف سيضحك.

ضحكات، ضحكات، ضحكات.

صرخات، صرخات، صرخات.

إلا أن ضربة لم يحسب حسابها باغتتهم، حين دفع عبد الشكور الباب، وضرب فريد فوق رأسه بالذات العصا الملقاة بجوار حسن وقد جذب مها لتقف خلفه وتحتمي بظهره هاتفًا:

- مها هتمشي من هنا وإلا هيكون التمن حياتك أنت.

ورؤية عبد الشكور أمامه صعقته، فجذبه من قميصه وهو يصرخ فيه:

- وأنت مالك بيها؟

الغبي الفاشل، مَن يظن نفسه لحمايتها، دفعه عبد الشكور ولم ينتظر فهرول بها خارجًا، ليدرك عارف عندها أن الوقت المزاح قد انتهى، رَكَضَ خلفه وقد أخرج مسدسه وهتف:

- سيبها يا عبد الشكور، وأمشي وأوعى توهم نفسك أنك تقدر تكون بطل، عارف أبو العزم بينفذ مش بيهدد.

استوقفهما قبل الخروج من بوابة فيلته ثم لوَّح لعبد الشكور بسلاحه والعجب كل العجب أنه لم يعد خائفًا، وهذا الشعور جد رائع.

- قدامك تلت ثواني، اختار يا تمشي يا تموت، ويا ريت وأنت بتفكر تفتكر ولادك كويس.

تذكرة ليست بالهينة قد تفرض عليه التراجع لكنه حسم أمره، وبالثانية الأولى هتف:

- على جثتي تمس منها شعرة.

وبالثانية الثانية كان الضغط على الزناد هين، وقبل الثالثة اخترق الرصاص جسده فهوى أرضًا، إلا أنه ظلّ مُمسكًا بيد مها دون إفلاتها، لن يسمح لعارف بإيذائها مدام في كل الأحوال ميت، صرخت باسمه وقد انهارت باكية، بينما اتسعت ابتسامة عارف وهو يطالعها بقوله:

- اختيار موفق.

ثم وقف أمام جسده المُسجَّى وأردف:

- عاش عادي ومات غبي.

لكن استفاقة الغبي أفزعته حين ركل بقدمه سلاحه فأسرعت مها وأمسكته، ثم قذفه بحفنة رمل بعينه:

- مين اللي غبي دلوقتي؟

قالها وقد استند على مها ووقف، ضغط بيده على جرحه وبالأخرى أمسك المسدس وكل ما فكر به خروجهما، لن يركض خلف بطولة قد لا يشبهها أو هذا ظنه، فأسرعا حتى وصلا لسيارته، قادها بصعوبة بينما استشعر أن عارف سيلحق به فاختار الابتعاد عن الشوارع الرئيسية، ساعدته هي بالضغط على جرحه كي توقف النزيف وقد قالت:

- لازم نطلع على أقرب مستشفى.

لكنه لن يستطيع أن يكمل السير فوقف، وعندها نظر لها وتمتم بخفوت:

- كتري، تيم.

قالها بخوف فسألته من بين دموعها:

- ليه عملت كده؟

- أي راجل مكاني كان هيعمل كده؟

- مفتكريش يا أستاذ عبد الشكور

قالتها وقد شهقت ببكائها، فأجابها مؤكدًا:

- عشان أطمن على كتري، عشان ميجيش اليوم اللي يكون فيه التفريط في الأعراض هين.

- وحياتك وأولادك؟

- أوعديني إن بشير هيخلي باله منهم، مش عايزهم يتربوا مع طليقتي.

قالها وصمت ولم يكمل بعدها، لأن طيف غيمة سوداء قد سحبه، ليري فيها أطفاله يركضون نحوه فيفتح ذراعه لهما ليتعلقا برقبته، وشيئًا فشيئًا تتلاشى الرؤى ليصدح معها سؤال بالأفق

أحقًا فعلها العادي؟

بل فعلها العاديون، العاديون لم ينهزموا، بل للدقة لا يوجد عاديون، يوجد بشر والمواقف وحدها تختبرهم.

(18)

وما بين الأمس والآن، قررنا أن نتخذ القرار بإعادة صياغة الحكاية ولكن من زاوية أخرى، حيث إن راوي... إنسان.

أدرك الفرق بينه وبين سائر المخلوقات حين ميزه الله....

"بالإدراك وملكة الاختيار".

"عرفت فالزم".

ولكن أحقًا عرفت حد إدراك المعرفة؟

وما المعرفة؟

هي الوعي!

وما الوعي؟

أحقًا تريد الإجابة؟

إذًا دعك من السفسطة، من كتابة تعريف وسرد أجوبة، وافتح عينيك وأترك لها العنان لترى، واستيقن بما وقر في القلب وصدقه العمل، استيقن بأنك أنت أنت وأنك لست بحاجة لمحاضرات تُعيد لك صياغة نفسك.

"أنت يوم خُلقت رُزقت قدرًا من المعرفة".

لكنهم وأعد الضمير على أي مما تشاء لإدراكهم عظمة وعيك قرروا إلهائك.

ركض خلف لقمة عيش، مستقبل أفضل، طموح وأحلام وأهداف وعند نهاية المارثون فاتك ما كان عليك إدراكه.

بالحياة الحقيقة الأبطال ليسوا أصحاب قوة خارقة بل اختيارات صادقة حسمها يكمن باللحظة الفارقة وأنت وحدك من يحدد، بأي طريق تسلك.

وهو حين قُدر له الاختيار أبهرهم، حد ذهول فرض نفسه وقد تجاوروا بجانب سريره في المشفى بانتظار استفاقته.

"كتري تيم".

قالها بصوت خفيض جاهَدَ خروجه ثم بدا لهما أنه يفتح عينيه فهتف كلاهما باسمه: عبد الشكور.

فتح عينيه ثم طالعهما بدهشة وهو يتمتم:

- هو أنا لسة عايش؟

- أكيد طبعًا، ما أنت لو في قبرك كان زمانك بتتلسوع دلوقتي.

قالها عيسوي مازحًا ثم أردف:

- حمد لله ع السلامة يا عم، خضتنا.

ثم قالها بشير وهو يضع يده فوق يد عبد الشكور، بينما أردف عيسوي:

- يا أخي ده أنت صفيت دمنا.

- آسف والله مكونتش أقصد أخض حد.

- تخض مين، احنا اتبرعنالك بدمنا، حاول ترتاح بقى لحد ما الشاي بلبن يشتغل.

قالها مبتسمًا فزادت ابتسامة عبد الشكور وقد استوقفه أنهما تبرعا بدمائهما لإنقاذه، ثم بلهفة سأل:

- كتري وتيم...؟

وقبل أن يكمل طمأنه بشير بأنهما برفقة مها بمترلها منذ الأمس، وقد قرر وشدَّد أنه في حال خروج عبد الشكور من المشفى بأنه سيخرج لمترله ويقيم عنده حتى إتمام شفائه، وقبل أي أعتراض منه كان الإصرار من بشير والتأكيد من عيسوي: بعيدا عن أنك هتحتاج لحد معاك خلونا نفكر أن عارف دلوقتي بقى حاططنا كلنا في دماغه ومش بعيد يحاول يأذيك مرة تانية.

والجملة فرضت على الثلاثة أن يتطلعوا لبعضهم البعض وقد قرر عبد الشكور أن يُعقِّب:

- أنا مبقتش قادر أفهم الراجل ده عايز ايه بالظبط؟ أنا مش عارف احنا عملناله ايه عشان يبقى كل همه يخرب حياتنا بالشكل ده؟

"كشفناه".

قالها بشير ثم أردف:

- عرفنا هو عايز ايه وبيخطط لايه، وده كفيل أنه يعمل أي حاجة عشان منوصلش المعلومات اللي في إيدينا للناس، صدقوني عارف ضعيف ويمكن خايف مننا أكتر ما احنا خايفين منه، الراجل ده ضيع شركتنا ومن قبلها حياتنا ومعادش ينفع نعمل من بنها.

كلمات فرضت على الثلاثة القلق وعلى من قالها الخوف، هو ليس بتلك الشجاعة وكل سعيه كان لإثبات براءة جده.

- طيب هنعمل إيه دلوقتي؟

سأل عيسوي فأجابه بشير بابتسامة متحدية:

- هنقلب السحر ع الساحر.

عارف **VS** العاديين

وقد بدأت الجولة الأخيرة أو أوشكت.

لكن ماذا عن البقية؟

سؤال كاد كل واحد منهم أن يسأله لكن قبل المباردة بإجابة انتصر صمتهم.

***

منذ وجودها هنا، تنتظر بالشرفة لساعات، تُمني نفسها قدومه ولا يأتي حتى ينتهي اليوم، فتيأس؛ أحقًا سافر دون إخبارها؟

"خلاص يا ستي أبشري بابا راجع الهاردة".

قالتها مها فقفزت كتري من مكانها وركضت نحوها تسأل بلهفة:

- بجد؟

اشتياق بدا واضحًا في عيون الصغيرة فرض عليها التأثر وقد تذكرت إسماعيل بدورها، فربتت على كتفها وردت:

- بجد والله، بابا راجع وهيقعد في بيت عمو بشير عشان تعبان شوية وبعد ما يخف هتروحوا على بيتكم، إيه رأيك بقى؟

عناقتها بفرحة ثم جلبت فرشاة شعرها وجلست مطالبة إليها بعمله جدائل وقد عقبت:

- أنا فرحانة جداااا أنه راجع، عارفة يا طنط مها بابا ده أصلًا أحسن راجل في الدنيا دي كلها، أنا افتكرته زعل لما لاقى ماما اتجوزت أونكل الوحش وهيسيبنا ومش هيجي تاني، بس طلع حلو ومش هيسبنا، هو عمره ما هيسيبنا مش كده.

ورد مها كان دموع وقد احتضنتها وأكدت:

- أكيد يا حبيبتي هو فعلًا بحبكم قوي.

- طيب يلا بقى عشان لما يوصل نكون هناك

قالتها وهي تجذبها من ذراعها فاستوقفتها وهي تضحك وقد عقبت:

- طيب مش نغير لتيم وبعدين نروح.

- يووووووووووه.

قالتها بتململ ولكنها لم تملك إلا مساعدة مها حتى أنهت هندامهم وقبل الخروج نظرت لكليهما ثم قالت:

- تعرفي يا كتري إني أكيد هاتضايق جدًّا لما تروحوا.

- أنا كمان حبيتك قوي.

- افهم من كده أننا ممكن نكون أصحاب.

- لا مش هينفع، أصل أنتِ كبيرة عليا قوي، بس ممكن ابقى أجي أزورك وأنتِ وطنط أمينة تبقوا تيجوا تزورونا.

ولم تملك إلا الضحك على طريقتها وقد اتجهوا لبيت بشير، عندها كان عبد الشكور قد وصل وتمدد على السرير بغرفة بشير ودون سابق إنذار قفزت هي فوقه ما إن رأته، كاد يتأوه ولكنه كتم شعوره بألم واحتضانها وتيم، وقد أصرت كتري بدورها ألا تتركه وهو بدوره شدَّد على نومهما إلى جواره رغم إلحاح المحطين على الاهتمام بهم، وبالنهاية غرق الثلاثة في سُباتٍ عميق، ودثَّرهم بشير وأغلق عليهم باب غرفته، واتجه ناحية سطح منزله، أيعقل أن يذكره عبد الشكور بجده، أو ربما هي لهفة كتري وهي تحتضن والدها فرضت عليه أن تترقرق عينه بالدموع وهو يتمتم:

- والله ليك وحشة يا جدي، أنا من غيرك مقطوع قوي.

نام هو وهي استيقظت شاردة، عقلها لا يفكر إلا فيما حدث، عجيب هو حال البشر يوما ما أحبت بشير ولكنه لم يحبها ويومًا ما أحبت حسن ولكنه غدر.

أحقًّا ما مضى كان حبًّا أم أن الحب الحقيقي قد يظهر مستقبلًا؟

ثم ابتسمت وهي تمط شفتيها حين تذكرت لهفة لوللا على عبد الشكور بالمشفى، واتصالات طليقته وكلام كتري المستمر عن أيتن.

"أمال لو تامر كان هيعمل إيه؟"

قالتها وزفرت وقد وضعت رأسها على الوسادة ونامت هي واستيقظ هو، تطلع إلى صغيراه وابتسم وقد تذكر كلماتها:

"متخافش أنا هاتصرف لحد ما نوصل لأقرب مستشفى، متخافش أنا جنبك هتعيش والله هتعيش".

وما بين امرأة خانت وغدرت وتخلت وأخرى بحثت عن مصالحها بدا له أن هناك أخريات يُقدِّرن التضحية.

تنهَّد بقوة ثم مسح على رأس كنزي وابتسم وروادە سؤال أحبطه: هل سيقدر على خوض القادم معهما وحده؟

صباح جديد على شركة الفيروز، دون زعيق من أحد، فمسعود أصبح وحده، ظل يعبث بالأوراق والغيظ يكاد يأكل قلبه من تحدٍّ واضح قد وضعوه فيه، فرشف الباقي من قهوته دفعه واحدة ثم هتف:
– ماشي إن ما ورتكم مبقاش أنا مسعود.

قالها ثم نادى بأعلى صوته على مدبولي ليحضر له فنجان قهوة آخر بدلًا من الفارغ، أعده واتجه به إليه وحين رأى حيرته عقب على ما بات يفعله، ثم حثه على مهاتفتهم.

– هو أنا كنت قلت لحد يمشي؟

- قولتلهم في ستين داهية ويجي غيركم، بس لا أنت عارف تشوف غيرهم ولا عارف تحلها، يا ابني الشركة دي أنتم الأربعة بنتوها سوا، كلمهم يا ابني الله لا يسيئك.

والرد خرج بكل عصبية وكبر:

- لا، هما فاكريني هأغرق من غيرهم، أنا هاوريهم.

- يا ابني أنت غرقان فعلًا، عوضي على الله.

قال جملته الأخيرة بفراغ صبر وتركه، وحاول هو فهم الخطأ في مجمل الحسابات ولم يستطع وبنهاية اليوم رحل وهو صدقًا لم يعد يدري، إلى أي طريق ستتجه الشركة غدًا أو بعد غدٍ، بل إلى أي طريق ستتجه حياته كلها وعلى رأس الأولويات درة.

وصل منزله ودخل ليجد الصمت مسيطر عليه، شعر بالقلق فاتجه لغرفة النوم فلم يجد أحدًا فنادى بأعلى صوته:

- درة.

ولكن لا رد.

أعادها وكررها وهو يبحث في كل مكان دون جدوى فأدرك أنها رحلت وفوق حاسوبه تركت خطابًا أدرك من قبل أن يفتحه أن تهديدها لم يكن هزل، وحين قرأه استيقن أنها ما كانت قليلة حيلة بل على النقيض.

"أنا هابعد بولادي عشان من حقهم يتربوا بفلوس حلال، ومع أب خايف عليهم، وبما إني عارفة رد ماما وكل اللي حواليا أحب

أقولك أنك مهما دورت عليا مش هتعرف أنا فين، خلي بالك من نفسك، ويا رب تفوق قبل ما يفوت الأوان...... درة".

قبض على الورقة وهوى لأقرب مقعد، هي بالتأكيد تمزح وستعود، هي أبدًا لا تستطيع تركه.

"درررررررررررة".

وكأن الصوت لو اشتد سيظهر من العدم وتقف أمامه، نادى ثم نادى ولا مجيب، خرج مُسرعًا باتجاه منزل عطيات، تشجارا وكلاهما سبَّ الآخر، هي يعتريها الشك أنه آذى ابنتها وهو على يقين أنها تعرف مكانها وتكذب، حتى أيقنا بالنهاية الحقيقة، هما لم يتركا لدرة خيرات أخرى، بحث عنها بكل مكان والمحصلة سراب.

"سراب".

"دكتور عارف".

تمتم بها بعدما أدرك أنه قليل الحيلة، فذهب إلى منزله برجاء واحد ما عاد يريد غيره:

– درة يا دكتور عارف، درة مش لاقيها.

– أنت إيه اللي جابك.

والمقابلة فاترة والنبرة محتدة والضائع كعادته يبحث عن قشة.

– أنا مستعد أعملك أي حاجة تطلبها بس درة ترجع، أرجوك ساعدني.

كان يستجديه بعيون دامعة فابتسم عارف باستهزاء وهو يعيد: أي حاجة

أشار له أن يتبعه، حيث معمله ثم أشار له بالجلوس وعندها أخرج هاتفه ليطلعه على صورة فتاة ثم قرر بعدها:

- أنا عايز أرتاح من زن البنت دي.

طالَعَ الصورة ولم يفهم فأردف عارف:

- اسمها أيتن، وهي اللي كانت بتعمل الفيديوهات ضدي.

أمسك الهاتف من يده يتطلع لوجهها فقام عارف من مكانه ودار حوله هامسًا بأذنه:

- خبطة بعربيتك، تقع متقومش.

وما قاله فرض عليه أن يقف مُحتدًّا ليَهتف فيه:

- اقتلها.

- مش عايز أمشي، وغيرك هينفذ، أنت مش مجبر بالعكس تقدر تختار اللي أنت عايزه.

والجملة فرضت عليه أن يجلس بخيبة أمل يطالع صورة أيتن التي لا يعرفها ولا تعني له حياتها أو موتها شيئًا، ثم صمت لدقائق قبل أن يرد بتردد:

- موافق.

- برافو، وليك عليا أعرفلك درة راحت فين وأساعدك لحد ما تلاقيها، اتفقنا؟

صمت ولم يعقب وقام من مكانه ليخرج وعندها استوقفه ليؤكد:

- هتنفذ بكرة الصبح.

قالها وهو يُمدُّه بعدة أوراق مكتوبٍ فيها كل ما يخصُّها، فاستلمها مسعود ورد:

- تمام.

ثم غادر وعندها ساور عارف الشك في كونه سيفعل فأمسك بهاتفه ليطلب من أحدهم أن يضع مسعود تحت مراقبته.

***

ليلة طويلة دون درة وبنتيه، وضعٌ فرضَ عليه تذكُّر الماضي، يوم طرده عمه للشارع والحجة أنهُ كبر وبات يخشى منه على بناته، يوم قرر تحدي ظروفه كي يحقق حلمه، حزن مرات وييئس مرات أكثر حتى عرفها، كان قد أيقن أنه متعوس حتى أحبته فنال من اسمه نصيب.

تنهد بمرارة وكل ما مضى بينهما يمر بعقله، حتى حين ظن أن الأيام ستمنحه رغباته ضنت عليه بالأمان معها، حين خشيَ أن يخسر ما امتلكه خسرها.

دعس سيجارته وأمسك بالعلبة المجاورة له ليجدها فارغة، لقد دخَّن كل ما بها.

فرك عينه بيده وقبل أن يقوم عن مكتبه أمسك بالأوراق التي أعطاها إياها عارف ساخرًا، المهندس سيصير قاتلًا، ويا لها من نهاية عادلة لحياة بطلها مسعود ولقبه أبو السعد!

"طلقها وغيرك يتجوزها، مش عايز الترقية غيرك يأخدها، مش عايز تدخل الجهاز غيرك يدخل، مش عايز تنفذ غيرك ينفذ".

وفي كل مرة يضعون له الاختيار بين السيئ والأسوأ ورغم كل هذا تحمل، تحمل لعل غدًا يأتي بالأفضل وها هو غد قد أتى خالي الوفاض من كل شيء حتى بقايا أخلاقه قد تخلت عنه.

"أيتن".

اسم توسط الأوراق وبين السطور بدت له قصة مشابهة، الفتاة التي مات عنها والديها وليس لها إلا أختها الصغرى، مستوى مادي مُشابه، تعمل بحضانة منتسوري لتتدبر أمر نفاقاتها وأختها بجوار معاش صغير تركه والدها.

وتلك هي من يريد قتلها عارف، فأخلاقها تؤرقه وإيجابيتها تؤذيه، وأمثالها لا مكان لهم في هذا العالم. ومع الصباح ظل بالسيارة بانتظار قدومها، هل حانت اللحظة يا مسعود؟

"إمشي وغيرك هينفذ".

وقبل دخولها علا صوت طفلة نادتها فالتفتت وقد علت الابتسامة وجهها وهي تعقب:

– كتري.

"بنت عبد الشكور".

قالها وقد اعتدل ليتأكد، ثم دقّق نظره وهو يحاول تذكر أين رأى مَن رافقتهم.

"بنت خالة بشير".

كان قد رآها بصور خطبة بشير، وبدا واضحًا الود بين الاثنتين وقد تجاورتا واتجهتا إلى الحضانة ثم تصافحتا وقد ودعت ابنة خالة بشير الصغيرين ورحلت.

وعندها نزل من سيارته وقد قرر الاتجاه نحو باب الحضانة وكأنه يريد استكمال مراقبتها حتى بعدما اختفت فوقف عند النافذة المفتوحة يتطلع للداخل، استوقفه بكاء رضيع كانت تُهدهده إحدى العاملات، فتذكر حور ونور.

تنهد بأسًى وعاد للسيارة وقد دفن وجهه بين كفيه ولا تزال كلمة عارف تردد في أذنه.

"إمشي وغيرك هينفذ".

***

تطلع مدبولي إلى المكاتب الفارغة، لم يأتِ للشركة أحد، ما عاد أحد يعبأ لأجل الفيروز.

استوقفه صوت أحد المقاولين وهو يسأل بحدة عن المسؤل عن هذه الشركة والإجابة من عم مدبولي كانت ضربَ كفٍّ بكفٍّ وهو يرد بقهر:

- مفيش يا ريس، خلاص الشركة خربت.

والمقاول بدوره ضربَ كفًّا بكفٍّ وعقّب:

- وفلوس الناس والعمارات اللي معدتش حد متابعها.

ولم يملك إجابة سوى الرحيل وهو ينظر بحسرة للمكان وقد أغلق بابه ثم نظر لليافطة الكبيرة وفرت من عينه دمعة لم يملك بعدها إلا الرحيل.

***

وقف يجمع أغراضه وعندها عقب بشير بضيق:

- طيب استنى حتى لحد ما مها تجيب ولادك من الحضانة، بدل ما تروح مشاورين.

- أنا تعبتكم معايا بما يكفي ومها أولكم.

قالها عبد الشكور وأكمل تحضير حقيبته ثم نظر لبشير وسأل بقلق: لسة حسن مظهرش

- هو يقدر؟

ثم زفر وأكمل:

- من يوم اللي حصل وهو محاولش يرجع الحتة ولا يورينا خلقته.

- مسكين.

وتعقيب فرض على بشير الدهشة، هل يعقل أنه يدافع عن حسن؟، لكن الحقيقة أنه يدافع عن نفسه التي كادت أن تسقط في فخ عارف لولا استفاقة ضميره.

تجاوروا بالشرفة المطلة على الحارة تطلعا لثوانٍ في وجوه المارين ثم أردف عبد الشكور عندها:

- عارف يا بشير لو سألت أي حد يا ترى ممكن تسرق أو تقتل أو تخون هتلاقيه بيقولك بكل حسم مستحيل، عارف ليه؟

لأن دايمًا بين الخير والشر شعرة، شطارة الشيطان أنه يسيبك تعديها من غير ما تحس، وده اللي عمله عارف معانا، دي الطريقة اللي استدرجنا بيها.

- بس ربنا أدنا عقل نميز الغلط من الصح.

- تفتكر العقل لوحده كفاية؟

تعقيب فرض على بشير التفكُّر، بينما علا صوت عيسوي من الشارع وهو يناديهم:

- طابخين إيه النهاردة وأوعى تقولي قلقاس.

وعلى وَقْعِ كلماته ضحك كلاهما وقد عقب بشير:

- اطلع وهنعملك شاي بلبن.

وعلى مقربة من بيت بشير كان هو، أوقف السيارة ونزل منها ليسأل عن بيته، ليفاجأ الثلاثة بوجوده وهو يسأل والدة بشير عنه.

"مسعود"

وخطوة كتلك كانت كفيلة أن يدرك عارف أن علاقته بمسعود باتت على المحك، ذهب مسعود للثلاثي البغيض، ولا شك هو ذهب ليحذرهم أو على الأرجح هي بداية تعاون.

جمعهم سطحُ منزل بشير، ساد صمت طويل بعدما انتهى مسعود من كلامه حتى قطع عيسوي الصمت ليقول:

- أنت متخيل بعد كل اللي عملته معانا أننا ممكن نصدقك أو نثق بك.

لم يرد فزادت حدة عيسوي وهو يكمل:

- أنت مش طردتنا جاي ليه دلوقتي، ولا دي لعبة جديدة منك عشان تستدرجنا لفخ من أفخاخ عارف.

كان مسعود يدرك كم الشروخ بعلاقتهم لكنه ردَّ بحسم: يا بني آدم اسمعني لو معندكش ثقة فيا فكر في حاجة واحدة، أنا إيه مصلحتي في إني أخاف أنه يأذي أيتن وأنا معرفهاش أصلًا.

تطلع الثلاثة لوجهه ولم يعقب منهم أحد فأردف:

- على العموم أنا عملت اللي عليا وأتمنى فعلًا تصدقوني، ولو على افتراض واحد في المية إن كلامي صح.

ظَلَّ الصمت بل أولاه الثلاثة ظهورهم، فشعر أن عليه الرحيل لكنه قبل المغادرة قال بترجٍّ:

- يا ريت لو نتجمع كلنا بكرة في الشركة، يا ريت ترجعوا لإني فعلا مش عارف أعمل حاجة لوحدي، ومش هاكدب عليكم أنا خايف الشركة تقع، أرجوكم ارجعوا يمكن نقدر نلحقها.

رحل فهتف عيسوي عندها:

- ده كداب وأكيد عارف اللي بعته.

وقبل الرد كانت مها أمامهم تنادي بشير بينما بدت ملامحها مضطربة، جاهدت نفسها التقاط أنفاسها ثم قالت:

- عربية عدت بسرعة من قدام الحضانة واضح جدًّا أنها كانت تقصد أيتن، لولا إني في آخر لحظة شدتها ووقعت قبل العربية كان زمانها راحت في خبر كان.

- معنى كده إن كلام مسعود صح.

قالها عبد الشكور فعقب عيسوي من دون تفكير:

- مش معنى إن كلامه صح إن ده كله مش ممكن يكون فخ.

- وهي فين دلوقتي؟

سألها بشير فأجابته:

- أنا وصلتها بيتها لأنها كانت مخضوضة وقلقانة واطمنت كمان إن أختها معاها.

- وبعدين هنعمل إيه؟

والسؤال من عبد الشكور لهم فرض عليهم النظر لبعضهم البعض ثم أدرك من كان يومًا ما متردد أن ثمة لحظات لا تحتاج إلا الحسم فقرر التحرك، الآن.

***

كان عليهم الذهاب لبيت أيتن لإقناعها بالمكوث مع مها ببيتها عدة أيام كي يضمنوا ألا يتعرض لها عارف بأذى، ورغم عناد أيتن

فإنها لم تملك إلا الموافقة على عرضهم فلم تعد تقدر على مواجهة الأمر وحدها.

بنفس التوقيت قرر عيسوي مراقبة مسعود ربما يتسنى له معرفة خطواته.

كانت وجهته الأولى محامي فيروز، لو كان هدف عارف ضياع الشركة فآخر خيط تبقى هو أن يتمكن أحدهم من الإدارة، فلننقذ ما يمكن إنقاذه، منح المحامي أوراق التوكيل بجوار ذلك نقل الأموال الموجودة بحسابه لحساب الشركة ثم عقّب:

– بلغ مدام فيروز تنقل الإدارة مني لأي حد من الموظفين، أنا هأفضل في الشركة لحد ما المشاكل تتحل ويتواجد مهندس بدالي وبعدها هاستقيل، قولها ترجع تشوف مالها، وقولها المال السايب لازم يعلم السرقة.

قالها مسعود وقام من مكانه ليستوقفه المحامي بقوله:

– ومن قالك إن فيروز صاحبة المال.

عقب المحامي ثم وقف قبالته وأكمل:

– يا باشمهندس الشركة في الأصل كانت ملك زوج مدام فيروز السابق ومدام فيروز أخدتها بالتحايل والسرقة، ويمكن لو دورنا هنلاقي الشركة دي من أول ما اتفتحت كل اللي أداروها كانوا حرامية.

كلمات فرضت على مسعود الاستغراب فأردف المحامي عندها:

- لو الشركة فارقة معاكم أرجعوا وقفوها على رجلها واختاروا من بينكم اللي يديرها وحطوا في دماغكم أن كل واحد فيكم له دور، وإن الرئيس والمرؤوس الاتنين موظفين في الشركة.

- تفتكر هنلحق؟

- أكيد هتلحقوا، لو فعلًا الشركة فارقة معاكم يبقى أكيد هتلحقوا.

كانت تلك الكلمات آخر ما قاله المحامي، رحل بعدها عائدًا للسيارة، مكث فيها لدقائق في شرود والخوف يساوره، هل فعل عارف بدرة وبنيته مكروهًا أما أنها رحلت بإرادتها وتركه، أمسك بيده ورقة وقلمًا وشرع في الكتابة وقد ترقرت عينه بالدموع.

"حبيبتي درة..

واحتار فيما يكتبه، هل عليه أن يعتذر أم فقط يوضح موقفه:

لم أتعمد إخافتك، بل الأمر ببساطة أنني كنت الخائف من ضياعك..

"مش هاقول آسف وسامحيني، مش كبر أو غرور قد ما هو إحساس إن الاعتذار عمره ما هيكون كافي، كل اللي أقدر أقولهولك إن مسعود القديم انتصرلك في النهاية، وإن هو اللي آسف على كل حاجة حصلت مش أنا".

والوجهة التالية كانت بيت عطيات التي إلى الآن لا تعرف عنها شيئًا بدورها، وكلاهما تبادل النظر وقد شعرا بالخوف ثم مد يده بالخطاب وعقب:

– إذا جت كلميني وأنا هأنزل أدور عليها تاني يمكن ألاقيها، أنا متأكد أنها راحت عند حد من قرايبها، متقلقيش.

نكّست رأسها وهي تمسك بخطابه ثم عقبت:

– أول ما تلاقيها طمني يا ابني، وأنا لو جت هاكلمك.

لكن ماذا لو أنها لم تعد، أو أن هناك شخصًا ما قد أذاها أو...

أمسك بهاتفه وقرر الاتصال به، وما أشبه الليلة بالبارحة! بالأمس كان بغدادي واليوم مسعود.

– فين ذرة يا دكتور عارف؟

وصوته هادئ ومتزن، وكأنه لا يخشى ضياعها، وكأن بين السطور تأكيدًا؛ أن سيناريو بغدادي لن يكتمل، لكن عارف لا يعرف اليأس.

– عايزها، طيب لو كده منفذتيش ليه.

– أنت عارف طريقها.

– لا؛ معرفش.

– متخيل إني ممكن أصدقك.

– متخيل أنه يفرق معايا.

وساد الصمت وبعدها أردف عارف:

- أنت مش انتصرت للحق، برافو، خليه ينفعك، خليه يرجعلك درة، خلي عيسوي وبشير وعبد الشكور ده إذا فرضنا أنهم ممكن يثقوا فيك يدوروا معاك يمكن تلاقيها، بس أنا عايزك تعرف حاجة، الشركة اللي متخيل أنك تقدر تحميها أنساها ومصيركم أنتم الأربعة بقى محتوم، مهما قاومتوا أو حاولتوا تصلحوا.

"it's too late"

- أنت عايز مننا إيه بالظبط؟

- سؤال ملهوش إجابة عندي، بس لو مُصِر تعرفها تعالى وأنا أجاوبك.

وكانت الجملة الأخيرة التي بعدها، انقطع الخط، وقد ترك مسعود في خضم احتمالات ما عاد يدرك أي منها في نهايته الحقيقة.

***

وصدقت توقعاته حين رآه وقد صف سيارته بجوار منزل عارف وفتح البوابة ودخل، فصف عيسوي دراجته البخارية وتحرك بهدوء وقد اختبأ خلف الأشجار التي كانت تحوط منزل عارف وعندها، رأى عارف وقد أطلق رصاصة من مسدسه بأحد إطارات سيارة مسعود أو تلك التي كانت لفيروز، ثم اتبع من دخل قبل دقائق وقد جلب من حديقة منزله عصا ثقيلة ثم تابع عارف سيره خلف من وقف في منتصف الردهة وقد دخل كونه وجد باب الفيلا مفتوحًا:

"أهلًا".

سمعها من عارف فالتفت ومع التفاتته كانت الضربة منه بكل قوة فوق رأسه وعلى إثرها أُغشي عليه.

وانزوت ابتسامة على شفتيه وهو يسحبه لجهازه، يومًا ما قد سبقك بغدادي لنفس المصير، وكانت نهايته بيده. والسيناريو بسيط يقتل الثلاثي البغيض بيده ثم ينتحر وتبقى التجربة بمأمن:

" now،the operation is ready"

– باي باي باشمهندس مسعود.

وهي ضغطة زر واحدة وبعدها سينال ما يريد، لكن صوت تكسير زجاج إحدى النوافذ حال بينه وبين كبسها، هل يوجد بالفيلا أحد عاداه، لقد تأكد صباحًا من خروج نانسي وفريد والوجود بالمحطة التلفزيونية، فمَن هنا؟

كاميرا المراقبة بتأكيد ستظهر ولكن لا أثر لدخول أحد، ربما هو طائر وقد كسره خطأً، تنفس بهدوء ولكن مرة أخرى سمع صوت كسر زجاج نافذة أخرى، ومرة أخرى لا أحد بكاميرات المراقبة، ولم يملك بُدًّا إلا الخروج من معمله للبحث، خرج للردهة ولا أثر لأحد، أيعقل أنه مجرد حادث يتكرر، والصوت مرة أخرى لنافذة أخرى فلم يملك إلا الصعود للغرف وعندها قرر عيسوي الدخول للفيلا بينما عارف صعد للطابق العلوي هاتفًا:

– مين هنا؟

ولم يجد أحد فعاد للردهة وقد أخرج مسدسه، ليجد عيسوي قد تأهب لضربه بالعصا فشحذ مسدسه ثم توقف كلاهما وقد تبادلا النظر، زفر عارف ثم قال بحدة:

– ارمي اللي في إيدك دي يا شاطر، وافتكر اللي حصل لعبد الشكور، عارف مبيهزرش مع الرصاص، وأظن مش مسعود اللي يستاهل تضيع نفسك عشانه، ولا إيه؟

ابتسم هازئًا ثم رد بتأكيد:

– تصدق معاك حق.

ثم ألقى العصا بجواره ورفع كلتا يديه لأعلى وهو يعود بخطواته للخلف وفي بغتة سحب طرف السجادة ليفرض عليه السقوط وقد سقط مسدسه بدوره فأسرع وركله بقدمه ثم التقطته وهو يعقب باستهزاء:

– لا أنت تشوفلك حل في المسدس ده، أقولك حاجة أنتم تربطه في الحزام بتاع البنطلون، بس أوعى يقع منك في الحمام.

– هات المسدس ده يا عيسوي.

قالها عارف بزعيق وقد جحظت عيناه بغضب فكان الرد:

– لا.

فعلا هتافه بعدها:

– أغبيا أغبيا، هتعيشوا أغبيا وتموتوا أغبيا، إيه اللي يخليك تحاول تساعد واحد باعك وغدر بيك؟ إيه اللي يخلي عبد الشكور

ينسى أولاده ويقرر يحافظ على مها؟ إيه اللي يخلي مسعود يرفض ملكية الشركة مع إنه مكنش يحلم بربع ده من سنة؟ إيه اللي يخلي بشير ميسلميش ويقاوح لحد آخر لحظة، غير أنكم أغبيا، أغبى أربعة قابلتهم في حياتي.

والجملة الأخيرة قيلت بكل غيظ وهو يمسح وجهه بيده ثم يتوعد:

- لو التجربة فشلت وكان التمن حياتي أنا مش هاموت لوحدي، هادفعكم التمن معايا، هاوجعكم في أعز ما عندكم، وابقوا خلوا البطولة تنفعكم.

قال ما عنده ثم ترنَّح وسقط ليظهر مسعود خلفه وقد ضربه فوق رأسه، وعندها تبادلا النظر دون كلام ثم نظرا كليهما لعارف.

وكاد مسعود أن يسقط بجواره إلا أن يد عيسوي قد أسندته وعندها تمتم:

- إحنا لازم نمشي من هنا.

- أكيد.

استند عليه ثم خطوا نحو الخارج لكن قبل رحيلهما التفت مسعود ثم نظر لعارف ثم قرر أن يعود له وقد سحب هاتفه مقررًا الحصول على ذاكرته.

***

فتح عينيه ببطء ليجد نفسه بالأرض وصوت أقدام تدور حوله، حاول أن يرفع رأسه لينظر وعندها أدرك بصدق أين وصلت التجربة.

"آدم".

- هل نجحت التجربة؟

والسؤال من آدم فرض عليه القيام من مكانه ليقف قبالته، بدا مضطربًا وكأنه قد تم تجريده من كافة أشكال الثقة.

- دكتور آدم.

قالها مضطربًا وقد استشعر الصدمة من وجوده وصدمة أخرى سيعرفها الآن، أنه منذ أول يوم وهو تحت المراقبة.

- ربح العاديون يا عارف، ربحوا حد سرقة حاسوبك وذاكرة هاتفك.

- أنا...

- دعك من التبريرات، معك ثمانٍ وأربعون ساعة لإصلاح الوضع، وبعدها لا تلم إلا نفسك.

ثم قال جملته وغادر أو للدقة اختفى وكأنه بالأساس ظهر من العدم.

***

جمعهم بيت بشير وقد توسط حاسوب عارف المنضدة وقد تمكن عماد من فتحه، وفتح ملف التجربة الرئيسي وبدأت أيتن بقراءته

"Clinical death of nations"

قرأت عدة سطور وترجمتها وبدا واضحًا مردود ما يسمعون على وجوههم، حتى هتف بشير ببالغ الضيق:

- كفاية.

- ليه يا بشير؟

سأله عيسوي فأجابه:

- لحد هنا ولازم نستوعب احنا بنواجه مين، دي مش لعبة ولا فسحة، دي أسرار تخصهم لو حاولنا نحكيها محدش هيصدقنا.

- أنت متخيل إننا هنتراجع.

قالها عيسوي فرد هو:

- يا جماعة الموضوع مبقاش براءة الحاج إسماعيل ولا إنقاذ شركة الفيروز، دول بيتكلموا في أمم.

- يبقى الأولى أننا نكشفهم، مش نخاف ونتراجع.

تعقيب من أيتن جاوره تعقيب من مها:

- لو سكتنا هيكون في مليون إسماعيل ومليون شركة زي الفيروز.

- ولو هما قاصدين يخوفونا، يبقى مينفعيش نخاف.

قالها مسعود ثم تابعه عبد الشكور:

- أنت الوحيد اللي فينا فهم عارف ورفض يسلم دماغه، أوعى تتراجع دلوقتي.

"احنا مش مطلوب مننا نحارب".

"لكن لازم نحاول".

"خوفنا مش هو الحل".

"ولا استسلمنا هينجينا".

"أوعي تبيع يا بشير".

وكان هذا آخر ما قيل، ومن بعدها قرار بإعادة التفكير ثمة قواعد بحاجة لأن ترى النور وعلى رأسها: قاعدة ذهبية

"أن على أصحاب القضية ألا يبعوا القضية مهما كلفهم ذلك من ثمن".

***

(الختام)

حصاد القواعد العشر

(لا تُحارب الخير فتستدعِ الضمائر لمواجهتك، بل اسعَ لتلبيس الباطل ثياب الحق، اسعَ لتفريغ الخير من محتواه وتلك هي أعلى مراتب الإجهاز، فلا شيء يُضاهي الموت الإكلينيكي لشيء، فلا هو حي ولا هو ميت).

"الموت الإكلينيكي للأمم".

وذاك هو الاسم الأساسي للفكرة الرئيسية، ولكن ماذا عن توقيت جرينتش أهي تجربة أخرى؟

والإجابة: لا، هي ذات الفكرة، ولكن لكل عالِم أهدافه، ولكل عالِم طريقته؟

ما فكر به عارف كانت خلاصته كيف تمحو هوية فرد؟

وما فكر به آدم كانت خلاصته كيف تمحو هوية مجتمع؟

وحين اجتمعا قرَّرا مزج الفكرتين معًا، أو هذا ما ظنه عارف، وكان النموذج حين وفرت فيروز شركتها وموظفيها. وكانت التجربة والتطبيق.

فهل نجح عارف فيما نوى أو نجح آدم حين وكَل لعارف مهمته؟

والإجابة: ما زالت دون أدنى حسم لأن الجهات الأربع حين جمعهم توقيت جرينتش وتلاشت حدود كل شيء بقي الإنسان وفطرته.

فكانت تلك المعضلة، محو الهوية لم يكن هيِّنًا، لأنهم لم يتنازلوا، وتذكروا أنهم حتى لو باتوا بـــ"توقيت جرينتش" فثمة توقيت آخر سينتصر، هو ببساطة توقيتهم

ألا يستحق ما فعلوه التصفيق؟

بل التصفيق كان من نصيب غيرهم، حيث آخر يوم تصوير لفيلم توتو اللول، وقرار باحتفال خاص جمع البطلة والبطل في أحد فنادق القاهرة، غرفة خاصة ليلة خاصة كلمات حب وهيام وشغف، تستحق السندريلا كل ما كانت تسمعه والثمن تم دفعه مُتعًا، حتى علا الصباح واستفاقت شهرزاد بعدما سقط الكلام المباح وليلة واحدة تبعتها ليالٍ مِلاح.

حتى أتت الجميلة بالبشارة، والبشارة جملتان:

"فريد احنا لازم نتجوز".

"فريد أنا حامل".

فرك رأسه وزفر ثم أقر بتزق:

– حمل إيه يا صبا، البيبي ده لازم يتزل، أنا مش بتاع جواز.

وتركها ورحل فلم تملك من أمرها إلا الاستعانة بمن سيساعد، فما كان منها إلا الذهاب لعارف.

تحكي وتبكي وتمني نفسها بحلٍّ، والحل امتلكه هيثم.

"ارفعي قضية إثبات نسب".

- والفضيحة؟

- الموضوع بقى عادي قوي، ميقاش فضيحة بالعكس دي أحسن دعايا لفيلمنا.

- تفتكر؟

- كل المواقع هتتعاطف معاكي، والكل هيدعمك والمحكمة هتحكم بنسب الطفل والفيلم هينجح، تفتكري في مكاسب أكتر من كده؟

ولمعت الفكرة برأسها، وتمت التجربة بنجاح، ولا عزاء لمن قد تم خدش حياءه.

***

"يا رب يا حنان يا منان إهدنا يا رب، ونور لنا بصيرتنا، وانصر بلدنا وارزقن...

"كاااااااااااااااااااااااااااااات".

والزعيق من مخرج برنامجها قد فرض نفسه، اتجه نحوها ثم بدأ زعيقه: قولتلك ميت مرة يا مدام رنا عايزة مشاعر عايز عياط، عايز الناس اللي بتتفرج عليكي تعيط وتتشحتف، مش ممكن كل شوية

أوقف الشغل عشان أقولك عيطي واتشحتفي، ده مبقاش برنامج ديني أبدًا، أوووووف.

شعرت ببالغ الضيق ولكنها لا تملك من أمرها حيلة، ستجتهد كي تبكي قدر استطاعتها وهو لم يترك لها مجالًا كونه نادى:

- فين الميكياج هنا؟

وأتت إليه واحدة منهن فحدد طلباته:

- حطيلها قطرة في عينيها وعايز الكحل يبوظ على قد ما تقدري، تمام.

وفعلت ما طلب وعاد هو لمكانه وهتف:

- أكشن.

وتمت إعادة المشهد وبكت، ولكنها لم تكن تفتعل، هي فقط تذكرت ما مضى.

تذكرت حياة تركتها لكي تحقق أحلامها، تذكرت بيتًا كان دافئًا دون حاجة لمكيفات غالية الثمن، وتذكرته هو وقد اجتاح صدرها القلق، لم يرد ولو مرة واحدة على مكالماتها وهي كل ما أرادته أن تطمئن على حالته، أيعقل أنه كرهها؟

وما بين رجل كانت إجاباته: "حاضر"، رغم قلة حيلته وقد تابعها بترجٍ بسيط مفاده صبرها حتى يستطيع، وآخر لا يوفر شيئًا إلا صور "السيلفي" زعمًا للجميع عداها أن حبهم أبدي، ولن يتكرر في عالم البشر. كانت هي وحيدة نادمة، باعت النفيس ورحبت البخس.

"كاااااااااااااااااات".

"هايل، هايل، هايل".

وتعالى التصفيق وقد منحتها المساعدة منديل لتجفف دموعها وعلى مقربة منها كان هو يتابعها حتى جاءته فعقب عندها:

– كنتِ هايلة.

ولم يفرحها المدح بقدر ما فرض عليها غصة، هل لو علم سر بكائها سيتضايق.

– عبد الشكور رد عليكي ولا لسة؟

شعرت بالاستغراب من سؤاله ببرود وعندها ردت بضيق:

– لا.

فعقّب هازئًا:

– كل ده عشان أخدت منه المزة.

زفرت بضيق بعدما قالها وقد اتجهت لترافقه في سيارته دون كلمة أخرى وعندها زفر:

– باقولك ايه إفردي وشك مش ناقصة نكد، بدل ما أنكد على أهلك.

وصدمت من كلامه كونه تغير مائة وثمانين درجة، لم يعد يتودد أو يمطرها بمعسول الكلمات كما عودها، وما إن وصلا منزلهما حتى استوقفها ليتحدث، وبدا واضحًا أن الأمر يخصُّ عملها وبرنامجها،

فهمت حين بدأ يتحدث عن فيلمه وتأكدت حين ذكر اسم صبا، وصاحت حين حدد ما يريد:

– أنت عايزني أبرر الزنا للناس؟

– مقلتش تبرير، إنما هي مكنتش واعية فمش متعمدة.

– عشان سكرانة.

– أم الأفورة بقى، ما تفتحي مخك معانا كده، ولا أنت صدقتي أنك داعية بصحيح؟

أهي لحظة مكاشفة مبكرة؟

– أنتِ ليكي دور قرزه دكتور عارف يوم ما فتح القناة، ومش شطارة منك تعيشي الدور وتنسي اللي المفروض تعمليه، فهماني؟

قال جملته ثم ضمَّها وقبَّل وجنتها وعقَّب:

– صبا مظلومة يا حرام، ولا إيه؟

ولم تملك ردًّا فقط ترقرت عيناها بالدموع وقد أيقنت أن الكومبارس لا يعترض على المخرج إذا أمر.

***

وكان صباح اليوم التالي استيقظ بشير مبكرًا أو ربما هو لم ينم صعد لسطح منزله وقد أعد كوب شاي بنعناع وظل يطالع المكان ومزروعاته والكتب ثم استندَ إلى السور ليطالع حارته والمقهى المجاور وشرد.

اليوم باتت كل الحقائق بين يديه كاملة، ومن حاسوب عارف بات يعرف حقيقة ما حدث لدكتور بغدادي، بعدما شاهد فيديو جمع عارف وفيروز وبغدادي بفيلا عارف، بعدما صرح عارف بفمه أنه سيدفع بغدادي للانتحار بيده.

قطعه من شرود يد وضعت فوق كتفه ونداء من بشير بأن يحضر لأنهم قد تجمعوا معًا بمنزله، وقبل نزوله سأله عيسوي:

- قلقان؟

أومأ رأسه نافيًا، ثم نزلا ليجدا والدة بشير قد أعدت الفطور، تجمعوا حول الطاولة وبدؤوا نقاشهم بصورة أخبرهم مسعود بأن عارف قد وضعها على صفحته الشخصية، وما إن رأتها أيتن حتى استشعرت ارتجافة ولن تنكر خوفها.

الآن فهمت كيف عرف عارف بقصة فيديوهاتها، لأن عارف قد أخذ الدمية التي كانت بحقيبتها وهشمها ورفع الصورة على صفحته كإشارة لما ينوي فعله، نظر بشير للصورة وفهم وعندها عقب:

- إحنا فاهمين إن اللي هيحصل أصعب بكتير من توقعتنا.

تنهدت أيتن وردت:

- هو بيلعب على مخاوفنا، بس بالطريقة دي هنوصل للحظة اللي هنكون فيها على أرض الموت.

ومن استغربت واستفسرت كانت مها وعندها أردفت أيتن:

- ده مصطلح كان في كتاب سان تزو، مبدأ الأصل فيه أنك لو قائد في معركة وعايزة جنودك يحاربوا بكل شجاعة ساومهم على حياهم، لما تكون عارف أنك مهدد هتحارب بكل طاقتك عشان مفيش قدامك حلول تانية.

"أتمنى".

تعقيب من عبد الشكور تابعه سؤال من عيسوي مفاده: من أين سنبدأ اليوم؟

سؤال كان عليهم التركيز في إجابته، خاصة وهم يدركون أن الطرق القانونية قد لا تفيدهم، فما الضامن أن القضية لن يتم التلاعب بها لصالح عارف، أو تتدخل جهات سيادية؟

"لازم تبقى قضية رأي عام، الناس تشوف كلها في التليفزيون الفيديوهات دي".

عقبت أيتن فتابعت آلاء:

- ممكن نحاول ناخد بث قناة ونبث الفيديوهات من خلالها.

رد مسعود:

- الموضوع مش هيكون بالسهولة دي.

- نتجمع في ميدان ونذيعهم من خلال بروجيكتور.

والفكرة من مها رد عليها عبد الشكور: ساعتها الأمن هيلمنا احنا ومش بعيد يلبسونا قضية.

"ممكن نرفعها على القناة بتاعتي على يوتيوب، في عدد كبير بيتفرج عليها ده غير الشير".

قالتها أيتن فكان التعقيب من بشير:

– بس هما دلوقتي بقوا عارفين إن القناة بتاعتك، واحنا منضمنش رد فعلهم، فبلاش حاجة ممكن يكون فيها أذى مباشر خصوصًا عليكم أنتم.

تحدث بصيغة الجمع حين ذكر عارف، وبنفس الصيغة ليقصدها وأختها الصغرى.

"طيب هنعمل إيه دلوقتي؟"

قالها عيسوي وصمتوا ثم قرر بشير الرد:

–إحنا نفكر في...

وقاطعهم صوت هاتف عيسوي فصمت بشير بينما رد هو وقد بدا واضحًا على وجهه أن الأمر جلل:

"شجن".

قالها وقد شحب وجهه، وما إن عرف مكان المشفى حتى أنهى المكالمة وانطلق حتى دون أن يشرح هو فقط وضح وهو يهتف بغضب:

– عربية ضربت شجن وهربت بسرعة وهي في المستشفى دلوقتي.

ثم ركض وقد لحقه مسعود ليدرك بعدها بشير والبقية أن عارف كالعادة استبقهم.

***

خطوبة تم فسخها، ثم خطوبة تم فسخها، ثم عريس جديد، ولن تتوقف فاطمة عن إلحاحها، زفرت بشدة وقد اتخذت قرارها هذه المرة بالرفض القاطع مهما يكلفها الأمر، لقد اكتفت من المواربة لإرضائهم، أو للدقة تعلمت الدرس، تعلمت أن الحياة الحقيقية تُبنى على الحسم، ونقطة أخرى حسمتها بداخلها؛ هي ما زالت تحب عيسوي.

غادرت منزلها باتجه عملها، كانت التاسعة صباحًا حين مرت سيارة مسرعة دهستها ثم هرب سائقها مسرعًا وآخر ما لمحه من سعوا أن يعرفوا هوية من فعل الحادثة رؤية السيارة وقد طُمست أرقام لوحتها المعدنية

ولم يتوقع من نفسه كل هذا الغضب والحزن وهو يطالعها نائمة بعد خروجها من غرفة العمليات، شعر بعجز امتلكه كون عارف قرر إيذاءه فيها وهو لم يستطع حمايتها أو منعه، خوف وقلق اجتاح مسعود وهو يراقب اللهفة في عين عيسوي على خطيبته ويتذكر درة ويخشى أن يكون عارف قد آذاها أو تعرضت لمكروه وهو لا يدري.

أسى جثم على صدر بشير وهو يتذكر إسماعيل، وضيق فرض على عبد الشكور الترقب.

ما القادم معك يا عارف؛ لا ندري، لكنك لم تترك لنا الخيار، فكان قرارنا؛ لن تستسلم أبدًا؟

وقبل أن يفكروا كانت المباغتة الثانية حين أتى مدبولي لمنزل بشير يرجوه المجيء معه علّه يستطيع فعل شيء حيال تلك الكارثة.

– العمارات كلها وقعت الهاردة الصبح، والناس ملمومة عند الشركة عايزين يكسروها.

وحين وصلوا لمقر الشركة أدركوا حجم الكارثة التي وقعوا فيها ولم يستطيعوا الصعود للشركة كون الناس قد هاجموها وأضرموا النار فيها، والتالي كان قرار القبض عليهم بتهمة النصب والاحتيال وتشميع شركة الفيروز بالشمع الأحمر.

لا وقت لالتقاط الأنفاس، الرباعي البغيض جمعتهم عربة الشرطة، فساد الصمت وهم يتبادلون النظرات.

الباطل لن يهدأ، الباطل لا ينتظر، الشياطين حين تباغت لا تترك فرصًا، والنهاية الحتمية لمن تحررت عقولهم بالتأكيد أسرهم.

وهو تنفس الصعداء حين وجدهم يدخلون القسم، تنفس كونه انتهى من أمرهم، وداخل القسم كانت تتوافد شهادات المقاولين والعاملين بالمشروع:

"لقد تلاعبوا بالناس، حصلوا على أموال وقاموا بالدعاية لمباني واهية"

لذا جاء القرار بحبسهم أربعة أيام على ذمة التحقيق وبطريقهم للحبس انتظرهم عارف، وقف أمامهم وقال:

- أظن كده وصلنا للنهاية، هه مين فينا اللي انتصر.

- الشاطر اللي يضحك في الآخر.

قالها عيسوي بتحدى فعقب عارف هازئًا:

- إحنا فعلًا وصلنا للآخر، وأنا اللي باضحك دلوقتي.

- يبقى الشاطر هو اللي يخلق آخر يضحك عنده، حتى لو الطريق خلص.

قالها بشير مبتسمًا فجاوره عارف وقال:

- التجربة خلصت وتمت ونتيجتها أعلنت، كمل بس متزعلش لأن النتيجة واحدة، آمن إن مفيش فايدة.

- مش هيحصل.

دفعهم العسكري ليتحركوا وعندها تبادل عارف وبشير النظرة الأخيرة ولكنه لن يعبأ، سيتجه صوب مركزه ليعد حفلًا ويسعى خلف تكريم وجائزة ولن يستوقف ما حدث للرباعي البغيض أحد، دُفع بهم في الزنزانة الواحد تلو الآخر، فوقفوا بأماكنهم من دون حول ولا قوة وقد نكسوا رؤوسهم ثم كان حديثهم بمرارة، وقد ارتموا أرضًا وتجاوروا.

"يعني مفيش فايدة".

"أيوة".

"معقول مفيش فايدة".

"لا".

وصوتهم كان مألوفًا حد أنه استوقف أحدهم، فقرر أن يقترب ليتأكد، وحين أتى وقف يتطلع بوجوهم، ورغم ظلام الزنزانة فإن قلبه قد رَجَفَ فهتف باسمه:

– بشير.

فرفع الأربعة رؤوسهم لينظروا لمن وقف أمامهم وعندها علا هتافهم:

"حاج إسماعيل".

"جدي".

***

قرابة ستة أشهر من العتمة والمتهم بريء، ولكنه لا يملك دليلًا ليثبته، حتى بشارة محاميه بالمرة السابقة قد تبخرت، فبحكم أن قضيته جنائية لا يجوز أن تزيد مدة حبسه الاحتياطي عن خمسة أشهر ولذا سيخرج وكاد يفرح، إلا أن المحكمة المختصة بقضيته قد أمرت قبل انقضاء المدة بمد حبسه والتجديد لمدد أخرى، انقضت الأولى منها فأتى إسماعيل اليوم ليتم عرضه على النيابة عند صباح اليوم التالي أو ربما هو قُدر له أن يقابلهم.

اجتمعوا حوله وكانت لحظتهم الاستثنائية، هل عليهم أن ييأسوا بعد كل ما مضى؟

- تبقوا هبل ولامؤاخذة.

- الشركة خلاص وقعت، التجربة خلاص نجحت

- وإيه يعني.

قالها محتدًّا ثم أردف:

- ثم مين اللي قالكم إنه نجح، بقى شركة موظفينها سابوها لحد ما وقعت يبقى مين اللي وقعها عارف ولا أنتم.

صمتوا وقد نظروا لبعضهم البعض، وعندها عادوا بنظرهم لوجهه، لم يتأثر إسماعيل بأسره، بل زاد يقينه وثباته بربه ونفسه وعندها أكمل:

- عارف مكنش أذكى منكم، بس عرف إزاي يلهيكم، كل واحد فيكم مكنش شايف غلطاته عشان مركز مع زمايله، صح ولا لأ؟

صمتوا ولم يردوا وقد نكسوا وجوههم فرفعها بيده وهو يعقب بقوة:

- بصولي وأنا باكلمكم، أنا لا سمح الله مش بأنبكم بالعكس أنا فرحان بيكم وعهد الله فرحان بيكم ونفسي أقوم أرقص في الزنزانة دي وأقول تربية إسماعيل مخيبتش وتربية مشيرة مخيبتش ولو أعرف مين اللي ربى الاتنين اللي معاكم أقول برضو، أنما سيبكم من اللي فات، وخلونا في دلوقتي، عارف نجح؟

- آه. "هأوووووووووووو".

قالها إسماعيل هازئًا ثم أردف:

– لو نجح عمره ما كان هيجي لحد عندكم برجيله ويقولكم أنا كسبت، من إمتى القوي بيروح للضعيف، جديدة دي.

– قصدك إنه خايف مننا.

– طبعًا، أنتم عارفين إيه أكتر لحظة لازم القائد الشاطر يعملها ألف حساب.

– إيه؟

– اللحظة اللي بيفرحوا فيها جنوده بأنهم كسبوا، اللي يتلهوا فيها بجمع الغنيمة، وياما حروب كان حسمها في آخر لحظة، مجرد بس ما القائد وجنوده ركزوا، عارفين في إيه؟

– إيه؟

وقيلت جماعية ليكمل بعدها:

– إن الفرص احنا اللي بنخلقها بإيدينا ومينفعش نستناها يا تيجي يا متجيش، فاهم ياض منك له؟

والإجابة نعم، فهموا وفكروا واستوعبوا

استوعبوا في لحظة فارقة الفارق...

بين المخلص والقائد

***

مناسبة كبرى وحفل كبير ينتظره الجميع، فالكل مدعو، حفل سيتحدث فيه عارف عن جهازه المعجزة القادر على تغيير واقع أي

شخص للأفضل، والدليل فريد ونانسي، فماضيهما اليوم لو عرفه الجميع لن يستوقف أحدًا، ولا حتى الـ"single mother"

رغم أنها قررت التخلي عن طفلها، ليس لأنه ابن صبي المقهى ولكن لأن هناك عرضًا أفضل من المنتج، وهو عقد زواج عرفي بجوار عقد فيلم جديد، وبنظرة متأنية وافقت على العرض، لكن أخبار صبا لم تستوقف مواقع التواصل لأن هناك ما هو أقوى.

"خلعت لوللا حجابها":

وستعود مع فيلم استعراضي غنائي راقص بجوار احتمالية كونه تاريخيًا جغرافيًّا حربيًّا بميزانية قد اقتربت من المئة مليون كون أجر لوللا وحده قد تخطى المليون جنيه.

وحالة إلهاء أخرى فرضت نفسها كون الشيخة رنا قد أصدرت ببرنامجها فتوى عن أن الزانية لن تكون زانية أو يحسب لها الزنا لو لم تكن بوعيها، فتوى أثارت حفيظة الأزهر لكن ثمة عددًا كبيرًا من المثقفين والمفكرين قد أثنوا عليها، فالفاقدة لوعيها لا تملك نية التعمد لذا سقط عنها التكليف.

وجمل كتلك فرضت عليها أن تكون ضيفة في عدة برامج "توك شو" لتتحدث عن فتواها، يهاجمها عدد من المشايخ فتترفع عن الرد فيتصل بها آخرون ليحيوها على جرأة مواقفها وعدم خوفها من الإرهاب الديني، هي مثال جيد للإسلام الوسطي اللذيذ، وليت كل الدعاة مثلها.

وفي خضم الفوضى أترى ذلك العالم من الممكن أن يستوقفه أن هناك خمسة رجال عالقين في غيبات السجن؟

والإجابة حتى لو صاروا مئة أو ألفًا أو عدة آلاف هم لا شيء حتى يستوقفوا أحدًا، هم العاديون والعاديون.....كُثر.

***

ليلة بالتأكيد قاسية، وأقسى ما فيها حين تتلقفك البرامج الإعلامية لتتحدث عنك كمذنب ومجرم عتيد الإجرام بينما أنت البريء.

لكن من سيصدقك أنت ويكذبهم هم، والإعلامي المخضرم حين يبدأ بالحديث عنهم سيؤكد أن ما يقوله هو الحقيقة، وكل الضيوف أو المتصلين لن يتحدثوا إلا عن طرف واحد، طرف يؤكد أنهم المذنبون والعزاء كل العزاء للمهنية والحيادية وعرض الرأي والرأي الآخر.

"الحقيقة حاولنا نكلم أي حد من طرف الأربعة لكن الكل رفض يظهر معانا".

وها هو عذر كافٍ.

استفاقت شجن لتجد مشيرة بجوارها، تبكي وهي تتذكر آخر ما طلبه منها عيسوي قبل أن يغادر المشفى، بأن تطمئن على شجن ولو أمكن تُطمئنه.

- طنط مشيرة.

- حمد لله على السلامة يا بنتي.

ودموعها فرضت على شجن الاستغراب، بالتأكيد هي لا تبك بسببها، لأنها لا تظن أن حالتها حرجة، وإن كانت مشيرة قد أتت أيعني هذا أن عيسوي قد أتى بدوره؟

ولم تحتجْ لردود كون والدها قد دخل للغرفة مقررًا تشغيل التلفاز الموجود بها وهو يسأل مشيرة بقلق:

- في أي جديد عن عيسوي؟ عماد متصلش يطمنا.

أجابته مشيرة بالنفي، ولم يكن قد التفت لاستفاقة ابنته التي اضطربت حين شاهدت صورة عيسوي بجوار الأربعة بالتلفاز وقرأت ما كتب عنهم وعندها فهمت، فلم يسعها إلا أن ربتت على يد مشيرة من دون أن تعقب بكلمة وبدورها ربتت مشيرة على يدها، علّهم يستقون بعضهم البعض.

***

وببيت عمها انزوت بغرفتها تبكي بحرقة، عارف أبو العزم قد تمكن من زوجها حد تدميره، وها هي نهايته، مسجون بتهمة نصب، وها هي المسؤولية التي ظنها هينة، واصلت بكاءها حتى قاطعها طرق الباب على غرفتها وكان الطارق والدها، عرفت عطيات من عم درة أنها قد أتت إليه وترجته المكوث عنده دون أن يخبر أحد وحين استشعر أن عطيات كادت تُجن من القلق أخبرها، وما إن رأتها وقد جلست أمامها حتى دفنت رأسها بصدرها وقد زاد بكاؤها وهي تعقب:

- مسعود اتسجن يا ماما، مسعود خلاص ضاع، يا ريتني كنت فوقت من زمان وفوقته، أنا سكت وسيبت الفرعون يتفرعن، أنا لو كنت اتحركت كان ضميره هيتحرك.

- مش لوحدك، المهم دلوقتي ادعيله، قادر ربنا يفك كربه.

ثم قدمت خطابه لها وهي تؤكد:

- عايزة أقولك إني يمكن كل اللي كان شغلني هو مصلحتك، دايمًا كنت شايفة أنك تستاهلي اللي أحسن منه، لكن أنا كنت طول الوقت باضغط، أنا من هنا ورايح مش هأدخل، والقرار بعد ما تقري جوابه بإيدك أنت.

***

بالكاد توقفت اعتماد عن البكاء وهدأت ثورتها وهي تتحدث أمامهم أنها لو رأت عارف سوف تأكله بأسنانها، ومر يومان حاولوا قدر المستطاع تجاوز الأمر على الأقل من أجل الصغار ورغم ذلك عادت الصغيرة لشرودها، وحين أرادت مها تلطيف الأجواء قررت أن تجاورها على الأريكة ليشاهدا معًا أحد برامج الرسوم المتحركة بالتلفاز، كانت مها تتنقل بيدها عبر القنوات حتى جاءت صورة رنا وعندها أشاحت كتري بوجهها كي لا تراها، موقف فرض على مها القلق حيالها فقربتها وأجلستها فوق ساقيها وضمتها إليها وهي تسأل:

- زعلانة منها.

فأومأت رأسها بإيجاب وهي ترد:

- سابتنا وراحت عند عمو الوحش، أنا زعلانة عشان هي مش بتحبنا.

ولأول مرة تستشعر مها أنها التي اعتادت التخفيف عن الجميع عاجزة عن فعل أي شيء لتلك الصغيرة، ولم تملك إلا عدم إظهار حزنها ومحاولة المزاح معها كي تُخرجها من حالتها تلك.

- باقولك إيه، تعرفي إن أوضتي فيها كيس كبير مليان حاجات حلوة، أنا جبته وخبيته أحسن آلاء تشوفه وهندخل أنا وأنتِ دلوقتي نأكله في الخباثة.

- مين جاب سيرة آلاء؟

قالتها آلاء وقد قررت بدورها المزاح من أجل التخفيف عن كنزي التي أخيرًا ابتسمت، فشعروا ببعض الراحة.

لكنها تلاشت عندما طرق أحدهم باب منزلهم، اتجهت أمينة لتفتح لتجد حسن أمامها.

كانت مها بغرفتها حين سمعت صوته وهو يسأل عنها، وكادت والدتها تطرده، لكنه أصرَّ على مقابلة مها التي حين خرجت وقفت أمامه وعقدت ذراعيها أمام صدرها وسألت بحدة:

- جاي عايز ايه تاني يا حسن؟

- أنا عارف أنك...

ولم تمهله فرصة ليكمل، صفعته بقوة فصمتت ثم تابعت هي:

- لو لسة جواك ذرة رجولة متورنيش وشك ولو صدفة، ولو فاكر إن بعد ما بشير وجدي اتسجنوا ظلم إني دلوقتي ضعيفة يبقى أنت متعرفش مها كويس، وأوعى تكون فاكر إن مش عارفة أنك لسة مع عارف لحد دلوقتي. فاطلع برة يا دكتور، كمل الطريق اللي اخترته لنهايته، وأوعى تظن للحظة إن ممكن أغير نظرتي عنك بعد ما شوفتك على حقيقتك.

رَحَلَ فاتجهت لغرفتها باكية تابعتها أيتن وآلاء وجاورتها كتري تمسح دموعها وتضع قبلة على خدها وهي تربت على كتفها، فلم تملك إلا أن تبتسم وعندها مسحت دموعها وعقبت:

- أنا كويسة متقلقوش عليا.

ثم سألت أيتن عما سيفعلونه بالصباح مع محامي شركة الفيروز ومحامي جدها، فكانت إجابتها بشارة، فربما بالغد قد تثبت براءتهم ويخرجون ومن ثم تبدأ خطتهم.

- ومن هنا لميعاد حفلة عارف يوم الخميس هنكون جاهزين.

***

صباح الإثنين

بدأت التحضيرات ليوم الخميس بحجز أحد أكبر قاعات المؤتمرات، بينما وقف محامي شركة الفيروز أمام الضابط ليضع بين يديه أوراق ملكية الشركة والتي تحمل فيروز المسؤولية كونها هربت وتركت فقط مسؤولية الإدارة على الموظفين.

دعوات لشخصيات سيادية ودبلوماسية بارزة، بالإضافة لعدد كبير من نجوم المجتمع وعلى رأسهم فريد وصبا.

ظهور أدلة جديدة قد تدين آخرين في قضية انتحار الدكتور بغدادي أيوب، والإدانة تطال اسماء حساسة على رأسها اسم عارف أبو العزم.

تدخل جهات غير معلومة لوقف النشر والتحقيق بقضية بغدادي أيوب، والاكتفاء بإخلاء سبيل إسماعيل الفولالي بكفالة مالية.

لتتعالى الزغاريد عندها وتملأ بيت بشير بل الحلمية برمتها، الحاج إسماعيل على الأسفلت، فرحة عمت شارعه فرقص الجيران وعلى رأسهم صاحب المقهى المجاور بينما حسن وقف من بعيد يراقب.

من المفترض أن جميعهم قد خرج بكفالة إلا أن الرباعي البغيض لم يظهر بعد، اختفوا ولم يعد يعرف أحد مكانهم.

***

صباح الخميس

هي المرة الأولى في حياته كلها التي يستشعر أن الأمور قد فلتت من يده، أين ذهب الرباعي البغيض؟

لا يعلم أحد!

لا رجاله ولا آدم ولا حتى حسن، والسيئ ليس أنهم اختفوا بل أنه ما عاد يدرك فيما يفكرون، ما عاد بإمكان أبو العزم التوقع

بخطواتهم التالية، فهل اختفوا لأنهم يخشوه، أم اختفوا لأنهم أرادوا أن يبغتوه بضربة قاضية؟

ومن بين حيرته تطلّع لآدم الذي يراقب ما يحدث في صمت دون تعقيب واحد، فما الذي بات ينويه هو وشركاؤه المنتظرون للنتائج؟

فالنتائج مرفوعة لأن العاديين لا يزالون يقاومون.

ورغم هذا تقدم إلى القاعة وقد علا التصفيق بقدومه، ثم نظر بجواره لشاشة العرض والتي وُضِع أمامها منضدة كبيرة وضع هو عليها جهازه وبجوارها جهاز بروجيكتور لعرض التعريف بالتجربة، وقد وقف هو على منصة يعلوها ميكروفون ليبدأ حديثه:

"ladies and gentlemen"

تحدث هو بالإنجليزية بينما بدا صوت المترجم أعلى بعض الشيء عبر التلفاز

"أيتها السيدات والسادة، إننا اليوم بصدد يوم استثنائي في تاريخ العلم والعلماء، يوم سيتحدث عنه التاريخ لاحقًا، حيث خروج جهاز توقيت جرينتش إلى النور، أعلم أن الجهاز قد دارت حوله الأقاويل منذ أن جئت إلى القاهرة، شائعات لطالما طالت شخصي وطالت مركزي وقناتي الفضائية وجهاز قد عكفت لسنوات أعمل عليه كي يُبدد الجهل الجاثم فوق العقول".

ثم تنفس لدقيقة وبعدها أكمل:

- وأنا أدرك أننا جميعًا نقاوم التغيير حتى لو كان للأفضل، فطرة النفس البشرية تميل إلى الراحة، وتطوير الذات كان ولا يزال معضلة كُثر، لكن بعدما بات عندنا جهاز كهذا، أفخر أنا عارف أبو العزم أننا نملك مثله".

رشفة ماء ثم البقية:

- لن نعد بحاجة إلى بحث ودراسة وقراءة، فقط جلسة واحدة تسحب من عقلك كل ما لوَّث أفكاره، ليعود لك أبيض ناصع البياض، ومن ثم تضع أنت السيناريو الذي تريده، وعندها ستجبر نفسك على النجاح والتطور والغنى وبالتأكيد كل ما سبق هو إكسير السعادة".

تعالى التصفيق فانحنى لتحية جمهوره، قلت حدة القلق بعض الشيء، حد ثقته بأنهم لن يؤرقوه لخوفهم، وعندها قرر أن يبدأ عرضه.

فقام بتشغيل جهازه ليرى الحاضرون كيفية عمله لكن الصدمة كمنت فيما سمعه، ما إن بدأ بتشغيله حتى صدحت منه صوت لوللا وهي تصدح بأغنية إعلانه، صدم عارف وتطلع لجهازه ولم يفهم ما الذي حدث، بينما تعالت الهمهمات الساخرة والمستهزئة وتعالى معها ضحك الناس بالقاعة وبالتأكيد مَن كان يشاهد ما يحدث عبر التلفاز.

بدا الضيق يتلقف آدم وهو يطالع عارف فقرر عندها عارف تدارُك الأمر فأوقف جهازه ثم طالع الحاضرين معتذرًا على ذلك الخطأ وقد قرر استكمال العرض بتشغيل فيديو سيشرح كيفية عمل جهازه.

زَفَرَ بشدة ثم ضغط زر التشغيل ثم برقت عيناه حين رأى، اللحظات الأخيرة بينه وبين فيروز وبغدادي أيوب على الهواء مباشرة.

***

المدخل الوحيد كان عن الطريق المبنى المجاور للمبنى الموجود به القاعة.

توقيت الدخول كان عند السابعة صباحًا، كيفية الدخول للداخل دون أن تكشفهم كاميرات المراقبة، كانت بمساعدة عماد ورشوة واحدة من المسؤولين عن أمن القاعة.

هم لا يريدون إلا القاعة المنوط بها حفل عارف، والغرفة التي وضع فيها عارف أجهزة العرض وجهازه، حصلوا على مفتاحها وقاموا بتبديل جهاز عارف بجهاز مُحاكٍ له قد صنعوه خصيصى لتلك اللحظة ثم خبؤوا جهاز عارف معهم واختبؤوا بدورهم.

***

"هأثبتله أن توقيت جرينتش حقيقة مش مجرد خيال".

"هأحدد لعقله خط سيره من النهاردة لبكرة".

"هو هيقتل نفسه بنفسه".

وكلماته التي قالها فرضت على الجميع الوقوف والصدمة، أهذا هو الجهاز الذي سيغير حياة البشر للأفضل؟

وعلى رأس المصدومين "صبا" حين وقفت واقتربت للتطلع بالشاشة أكثر ثم استدارت لتنظر لعارف وهي تزعق:

"أنت اللي قتلته".

قالتها بصدمة وقد شعرت بالخزي من نفسها لحظة لكنها سرعان ما اجتازتها، مات بغدادي أو قُتل، رحل وكفى، ومن الآن فصاعدًا هي باتت النجمة صبا لا صبا بغدادي أيوب فهي قبل الجميع "قتلته".

"الفيديو ده متفبرك وأنا هاأثبت أنه متفبرك".

صَرَخَ بها عارف وقد بات واضحًا من نبرة صوته خوفه، عندها منحه آدم نظرة أدرك منها أنه ورقة واحترقت وسيسهل عليهم التضحية بها.

"كل ده مُدبَّر لإحراجي وهز صورتي، أنا هاوديكم كلكم في داهية، ومش هاسكت على اللي حصل، وهأبلغ البوليس بنفسي".

(مش ده لو لحقت يا دكتور عارف).

والصوت لهم، والظهور لهم، إنهم هنا، وهم وراء ما حدث، التفت ليراهم وقد تجاوروا وما إن هموا ليقترب منهم حتى انقطع التيار الكهربي وكان للظلام كلمته العلا من همهمات وصراخ وخوف وفزع وما إن عادت الإضاءة حتى وجد نفسه مُقيَّدًا على أحد المقاعد وأمامه جهازه، والأربعة وهمسة بشير في أذنه ونظرة آدم لرجاله كي يتركوه يواجههم وحده.

"شوفت بقى إنه كان لسة في آخر".

تبادلا النظر فحاول فك يده إلا أنه عجز، وضع عيسوي يده على كتفه قائلًا:

– عمومًا أوعدك إن لو كان نفسك تضحك في الآخر فاحنا معانا فقرات حلوة قوي هتضحك معها.

وأول ما فعلوه هو إظهار جهاز كان مماثلًا لجهازه وضعوه بجوار جهازه وعقب مسعود:

– إيه رأيك تجرب جهازنا إحنا؟

وعبد الشكور من قام بتشغيله ثم التفت ناحية عارف وقال:

– بس يا رب تكون مؤهل لدخول الجهاز ومتكونش غبي.

"كفاية".

زعق عارف فيهم لكنهم ضحكوا وتبادلوا معه النظر.

"مصير الدكتور بغدادي".

"إيه رأيك"؟

"طباخ السم لازم يدوقوا يا دكتور".

"جاهز".

(الأجهزة دي مش بتاعتي، الأجهزة دي مزيفة).

صرخ عارف وقد زادت حدة صوته ثم أردف:

– أنا هأحاسبكم على لعب العيال ده.

– معقول تقول كده على أعظم اكتشاف عرفته البشرية.

– ده مش جهازي.

دار بشير حوله وأكد:

– يا دكتور ده جهازك فعلًا، معقول مش عارف شغلك.

– خايف؟

سأله عبد الشكور ثم أتبعه عيسوي:

– ولا مشوش؟

– ولا خايف تدخل الجهاز ومتتأثرش ونتبلك أنه جهازك، أو يأثر فيك فنتبتلك بعدها إنه النسخة المتقلدة منه؟

وتعقيب مسعود ببالغ السخرية فرض عليه أن يصمت.

هل فشلت التجربة؟

وهل كُتب لها يومًا أن تنجح؟

انقطع التيار الكهربي ولكن هذه المرة لم يكن هم مَن فعلوها بل هو، هو افترض وجودهم فوضع خطة هروب بديلة حيث آدم وهو تنتظرهم طائرة هيليكوبتر صغيرة عند سطح المبنى، ركضوا بأقصى سرعة وحين وصلوا، لوَّح بيده ليتأكدوا أنه قد هرب.

كان الجميع قد ركضوا خلفهم ليروا عارف وقد حلَّق في السماء، بينما الجهازان قد تم التحفظ عليهما من أجل إعدامهما.

وقف الأربعة بمكانهم وتطلعوا لبعضهم البعض.

هل عليهم أن يفرحوا؟

"ربما".

هل سيعود عارف يومًا ما؟

"ربما".

هل حقًا انتصروا على الدجل؟

"ربما".

ومن بعيد كانت رنا بجوار صبا بجوار حسن، يطالعونهم وقد أكلت الحسرة قلوبهم، لكنهم لن يتراجعوا.

تقابلت عين رنا بعين عبد الشكور فاقتربت منه وقد مدت يدها لتصافحه، لكنه تركها معلقة ورحل دون كلمة واحدة فنكست هي وجهها تواري الدموع، كونها تعرف أن زواجها من هيثم لم يكن يومًا مزاح، خاصة بعدما حملت في أحشائها جنينه.

نادت صبا على بشير فالتفت، ليجد النجمة تبكي، أهي دموع من أجل بغدادي أم من أجل ما طرأ على حياتها هي؟

استدركت دموعها وابتسمت ثم عقبت:

- أنا فرحانة بيك قوي يا بشير، أنت حقيقي طلعت بطل، أنا الظاهر مكونتش شايفاك كويس.

- بجد.

قالها هازئًا وشعور بالدهشة يملكه، لم يتأثر برؤيتها ولا دموعها ولا مدحها، وكأن كل ما كان يكنه لها لم يكن.

- إيه رأيك لو ننسى اللي فات ونبدأ صفحة جديدة سوا، بشير أنا...

قاطعها ورد:

- مينفعيش يا نجمة، لأن طريقنا عمره ما هيكون واحد.

هو على يقين أنها أتت لأنه لمحها وسط الحاضرين، خرج من القاعة يلتفت حوله يسعى أن يجدها، نادى بأعلى صوته حين لمحها وركض حتى لحق بها فاستوقفها، وما إن وصل أمامها حتى التقط أنفاسه وقد أمسك بوجهها بين كفيه، ثم نظر لها بعتاب وقال:

وأخيرًا ظهرتي؟

- وأخيرًا فوقت؟

- أنا عارف إني الوقت أتأخر، بس جوايا عشم متتخليش عني.

- بعد إيه يا مسعود، بعد ما حاجات كتير اتكسرت جوانا واحنا اللي كسرنها بإيدنا.

مسح بيده دموعها وعاد ليكمل:

- هنصلحها، هنحاول مرة واتنين وعشرة وأنا مش هاستعجل، المهم نرجع.

- هتقدر؟

- هحاول.

- اللي اتكسر صعب يتصلح، اللي اتكسر ثقة وعشرة.

- هحاول، وعمري ما هأجبرك نرجع، سيبي بس الباب موارب، سيبي فرصة ممكنة، وبعدها ليكي حق الاختيار، ومهما كان أنا راضي يا درة.

***

والعرض مع نهايته فرض على الرجال بالمقهى التصفيق، خلصوهم الأربعة من عارف، فاستوجب ذلك فرحتهم، الكل يريد المخلص، ها هم الأربعة قد فعلوا ما كان يستوجب على الجميع فعله نيابة عنهم.

وما فكر به إسماعيل هو استغلال الموقف ليتحدث إليهم بعقلانية وكأنه تناسى أن العقل الجمعي لا يعرف المنطق، الناس دومًا ستركض خلف ما يثير مشاعرها.

"مش آن الاوان نفوق بقى يا أخوانا، ومش كل كلمة نسمعها تودينا وتجيبنا، احنا اللي بنعمل الدجالين اللي زي عارف لما بنسمعهم، أو نعمل لهم دعايا حتى لو كنا بنشتمهم أو بنتريق، الباطل بيموت لما الناس تبطل تتكلم عنه، مش لما يزيطوا عليه ويخلوا الدنيا كلها تشوفوه، هه فهمتوا ولا لسة؟"

"فهمنا".

قالوها بأعلى صوتهم ولكنه عقب: وعهد الله شكلكم هتضيعونا

"ليه بس يا حاج إسماعيل، ده احنا فرحانين إن اللي خلصنا من عارف كان ابن حتتنا"

"قولوا ورايا يا رجالة".

ثم علا الهتاف.

"يا بشير يا بشير احنا وراك وأنت الكبير".

"يا بشير يا بشير احنا وراك وأنت الكبير".

"إسماعيل يا إسماعيل قول كمان ده أنت الأصيل".

"إسماعيل يا إسماعيل قول كمان ده أنت الأصيل".

"مفيش فايدة!"

قالها إسماعيل وهو يقلب كفًّا بكفٍّ، بينما أهل الحارة قد رفعوه على أكتافهم وقرروا، استكمال الهتاف:

فتعالت ضحكات أيتن وأختها ومها كونهم كانوا يتابعون من الشرفة، وحين اتجهت مها للداخل جلست على سريرها وقد تنهدت وشردت، بالتأكيد سيرحل الجميع الليلة إلى منازلهم وعلى رأس القائمة كتري وتيم، فهل ستشتاق إليهم؟

– عارفة يا مها، الأربعة دول لو بس كانت أساميهم روشة شوية وبعد الى عملوه النهاردة كان ممكن يتعمل منهم أساطير.

– أساطير؟

ردت مها على آلاء باستغراب فرض علي آلاء أن تكمل:

– جمع أسطورة يا ستي.

– مالها أساميهم مش فاهمة؟

سألت أيتن فأجابتها: هزلية، تحسي كأن أساميهم بتطلعلهم لسانها، بتقولوهم أنا والزمن عليكم، بالذات عبد الشكور، هو لسة في راجل اسمه عبد الشكور أصلًا.

– ماله عبد الشكور بقى.

قالتها مها وقد عقدت ذراعها أمام صدرها ثم أردفت:

- معقول إحنا وصلنا للكده، حُكمنا على الناس بقى شكلهم واسمهم وعدد الفلوورز بتوعهم، عبد الشكور بالذات أطيب واحد فيهم، طيب لعلمك بقى ده بيفكرني بجدي إسماعيل معانا واحنا صغيرين، تصرفاته مع ولاده، صبره على مراته، أنه يدافع عن واحدة ميعرفهاش، هو في حد في الزمن ده زيه أصلًا.

واستشعرت ابتسامة انزوت على شفتي آلاء فقررت أن تستدرك كلامها فأردفت:

- اللي عايزة أقوله إننا من غير ما نحس بقينا بنتسحب من إنسانيتنا في حكمنا على اللي حوالينا، وبقى الفيصل حاجات ملهاش لازمة

- معاكي حق، وللأسف، بقى بينا مشاهير اسمًا بدون تعب أو نجاح أو أي محاولة جادة أنهم يعملوا حاجة عدلة.

وكان الرد من أيتن يعقبه الرد من آلاء:

- بس بشير قدامه فرصة كويسة للشهرة، أعتقد أظرفهم اسمًا، ومش بعيد لو اتشهر يرجع لصبا.

- لا والله.

والمعقب كانت أيتن كون الجملة استفزتها وعندها زادت ابتسامة آلاء، فأدركت مها وأيتن أن الحوار كان لأغراض أخرى، وعندها زادت ضحكة آلاء، وعندها سحبوها لتتوسط سرير مها، ثم بدأتا في قذفها بالوسائد بينما هي تهتف:

- نيتي برينة أقسم بالله.

***

جمعتهم الطائرة التي كان لا يُعرف وجهتها، وعندها قرر أن يوضح:

- اللي حصل ده مش معناه إن التجربة فشلت، صدقني في أقرب فرصة هأرجع وهأدور على مكان تاني وأبدأ من جديد.

لم يرد آدم فاستشعر عارف أنهم بالتأكيد يدبرون له مكيدة فأردف:

- مينفعيش تشوفوا السلبيات من غير ما تحطوا في اعتباراتكم إن الشركة وقّعت إن الجهاز فعلًا حول نبيهة للنانسي.

وبابتسامة هازئة نادى آدم:

- سوزان، تعالى من فضلك.

وعندما أتت كانت الصاعقة، هي نبيهة هي نانسي هي سوزان، عميلة قد تم دسها لمراقبته وأما عن جهازه الذي ظن أنه باكورة أفكاره العلمية فجميع من عمل بالتجربة الفعلية كان يعلم أن الجهاز معطوب وغير قادر على فعل شيء.

- ليه؟

- كي تصدق نفسك، وتكمل ما كنا نريدك أن تكمله، ولن ننكر كنت ورقة رابحة والآن قد تم حرقك، وما يُحرق يا عارف يستلزم على الجميع أن يتخلصوا منه.

وعندها أخرج مسدسه من جيبه ليهتف عارف بخوف:

– فريد !؟ ده على الأقل.

– قد قمنا بشرائه وتدريبه قبل أن يذهب لبيتك.

نفض عنه الذهول وقال باستجداء:

– دكتور آدم، التجربة الرسمية كانت الموت الإكلينيكي وتمت، شركة الفيروز كانت النموذج المصغر لأي كيان بيفقد توقيته الرسمي وهويته وكينونته عشان يكون تابع للتوقيت العالمي، توقيت جرينتش؟

– مهمتك انتهت دكتور عارف، أعتقد أن الجحيم بحاجة إليك الآن أكثر.

– دكتور آدم أنا...

أطلق الرصاص عليه دون أن يمنحه فرصة لكلمة أخرى ثم نظر إلى جثته وسأل:

– إدوارد، هل وصلنا فوق البحر المتوسط؟

وحين أجابه بالإيجاب فتح باب الطائرة وألقى جثته ثم عقب بعدها:

– عد بنا حيث وجهتنا.

– وماذا عن التجربة دكتور آدم؟

سألت سوزان فأجاب:

– سنكملها يا سوزان، حتى نصل إلى بُغيتنا، الثغرة الوحيدة هذه المرة أن الأربعة لم يستسلموا رغم انكسارهم، بالمرة القادمة ستكون

مهمتنا محو الأمل حتى إذا انكسروا عجزوا وعندها سنعود وستنجح التجربة.

أيعقل أن يكون الخلاص من عارف هكذا سهلًا؟

والإجابة: لا.

كونه سعى حتى رفع رأسه عن الماء ثم تنفس، ولولا القميص الواقي من الرصاص، والمادة الحمراء اللون الشبيهة بالدم لما ضمن أنهم سيصدقون موته، سيعود عارف يومًا ما، ولكن بالتأكيد ليس الآن، هو لن يحتاج إلا لمكان جديد وأناس جدد ومحاولة جديدة لإلهاء غيرهم.

"شوفت القرد".

نعم ولكن بمكان جديد وأفراد جدد واسم جديد، فمن العبث أن يضيع وقته بالركض خلف الأربعة، أو "ربما" هو سيعود ولكن بالتأكيد ليس الآن.

لكن ماذا عن الأربعة؟

خرجوا من قاعة المؤتمرات ومشوا، وسؤال تلقفته عقولهم، هل بصدق انتصروا على عارف؟

تجاوروا الجلوس بالحسين وبيد كل واحد منهم كوب من "الحلبيسة"، ومن قطع الصمت كان عيسوي وهو يسأل:

- تفتكروا فيروز هترجع؟

- معتقدتش، لأنها لو رجعت وارد تتسجن.

- المشكلة مين هيأخد مكانها؟

- تفتكروا هتفرق؟

والسؤال مِن بشير للبقية فرض عليهم التفكر، هل حقًّا لو جاء إلى الفيروز مدير يشبه مَن سبقته، سيكونون قد عادوا إلى نقطة الصفر، أم أن تجربتهم مع عارف غيَّرتهم؟

"طيب هنعمل إيه دلوقتي"؟

سؤال من مسعود كان هو أول من يدرك صعوبته.

- هندور على الفرص أو هنخلقها.

قالها عبد الشكور وقد فكر، أحقًّا هو وبكل ما ألت إليه ظروفه قد يملك فرصة؟

"بعد ما خياتنا انهارت، بعد ما تجاربنا احنا فشلت".

والرد من مسعود لازمه تعقيب من بشير:

- مفيش تجربة بتفشل، لأن الآخر مش بيجي إلا لما أنت تقف مكانك وترفض تتحرك.

- هينفع أنا وشجن نرجع.

- حاول لحد ما تقدر.

والصمت ساد بينهم، حياتهم، غدًا والقادم برمته، هل باستطاعتهم إصلاحه؟

"ربما".

أم

"بالتأكيد"

الأمر يتعلق بهم؟

قطع حديثهم اتصال كان من إسماعيل، وما إن رد عيسوي حتى هتف إسماعيل بعصبية:

– أنتم فين ياض منك له.

– في الحسين.

– حسين إيه، أنا مش قايل تيجوا على البيت عشان عايزكم في موضوع مهم.

– ما هو يا جدي...

"جدي إيه وزفت إيه، المأذون قريب يحمض".

"مأذون؟"

قالها الأربعة بصوت جماعي، وعندها هتف عيسوي:

– مأذون إيه؟ ولمين؟

– هيكون لمين يا سي عيسوي؟ ليا أنا ووالدتك طبعًا.

والصدمة ارتسمت على وجوههم، إسماعيل قرر أن يحسم القادم من حياته دون انتظار لمن اتخذوا من "ربما" مسلكًا.

"اقفل التيلفون ألاقيكم قدامي، فاهمين؟"

"فاهمين".

ثم وجَّه كلامه لبشير وقد شدَّد:

- تجيب معاك علبتين جاتوه، وإياك تسترخص وصندوق حاجة ساقعة، فاهم؟

- طيب مش كنا استنينا لبكرة ورتبنا نفسنا أحسن؟

- يا عالم ببكرة يا ابن بنتي، خلينا في الهاردة، اللي نملكه واللي في إيدنا.

وعلى شفتي بشير ارتسمت بسمة وكأنه فهم المغزى، بل الأربعة قد فهموا، وعندها قال بشير قبل أن يختم مكالمته:

- أنا قولتلك قبل كده إني بحبك قوي يا جدي.

- انجز بقى يا أخي مش فاضيلك.

فلم يملك إلا الضحك وهو يقرر:

- حاضر.

وعندها همس إسماعيل بحبٍّ:

- ربنا يخليك ليا.

وما إن أنهى المكالمة حتى التفت لهم هاتفًا:

- عندنا فرح.

قالها بسعادة بينما توجهوا جميعهم بالمباركة لعيسوي، وغادروا الحسين إلى الحلمية، وبغرفة منها كانت مشيرة برفقتها شجن وآلاء وأيتن بينما بغرفة الصالون كان اجتماع البقية. لتتعالى زغاريد اعتماد وأمينة بجوار تصفيق كتري وضحكاتهم وقد تَمم إسماعيل زواجه.

وأما عنهم فثمة تجربة قد تمت ونجحت، تعلموا منها؛ أهم يملكون وحدهم منح أنفسهم الأفضل بأيديهم وسعيهم وإدراكهم، وحسم أول قرار بحياتهم بالتخلص من "ربما" بشكل أبدي.

***

شكر خاص لـــ:

سامية أحمد

منى سلامة

د. أحمد سعيد مراد

منى غيضان

هاجر حمدي



لا يحتاج أي إنسان إلي اليأس من كسب أتباع لأغرب الفرضيات، إن كان لديه ما يكفي من الفن لعرضها في ألوان ملائمة".

حكمة قالها ديفيد هيوم بينما هو آمن بها فكانت موهبته سبر أغوار البشر، وغايته تجربة قد تقلب مصائرهم رأسًا على عقب، لكن معضلته لم تكن بمن سيدخل إلى عالمه، بل من سيختار بإرادته أن يتبعه، من سيقدم التنازلات برضا، من سيقبل بكامل وعييه أن يصير مغيبًا، فيكون....بـ"توقيت جرينتش.

Cover by #ahz_art




دار اكتب للنشر والتوزيع

12 ش عبد الهادي الحلحان من ش الشيخ منصور المرج الغربية – القاهرة – مصر
E-mail : daroktob1@yahoo.com
01111947957